
الأطفال العرب
ومعوقات التنشئة السويّة



الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الأطفال العرب ومعوقات التنشئة السوية

- من يريف الوعي في الأطفال
- غياب النموذج الأضلاقي المستقبالي
- الإعاقة البدنية والإعاقة النفسية
- الأطفال في مجتمع الذكور

الكتاب السنوي الرابع

١٩٨٧ - ١٩٨٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تولى مهمة تحرير هذا الكتاب
الدكتور محمد جواد مرزا
عضو اللجنة الاستشارية للجمعية الكويتية
لتقدم الطفولة العربية



المحتويات

١١	الدكتور حسن الإبراهيم	مقدمة
١٧	الدكتور محمد جواد رضا	١ - الطفل من الفردانية إلى الشخصانية
٥١	الدكتور أحمد عبدالله	٢ - الطفل غير العادي في الخليج العربي
١٠٧	الدكتورة جوليندا أبو النصر	٣ - تنمية أدب الأطفال في العالم العربي
١٥٣	الدكتور جورج طعمه	٤ - نحو نموذج أخلاقي للطفل العربي في القرن الحادي والعشرين
١٧٧	الدكتور قاسم الصراف	٥ - نحو أسلوب أفضل لتربية الطفل الخليجي
٢١٣	الدكتور علي الطراح	٦ - التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور



مقدمة

الدكتور حسن الابراهيم

- ١ -

كان الملتقى العلمي الرابع للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية (٨٦/٨٧) مكرساً لخطاب من نوع خاص في قضايا أكثر خصوصية مما كان قد أثير في الملتقيات العلمية الثلاثة المتقدمة عليه . وقد امتد أفق الخطاب الجديد من الأسئلة الابستمولوجية الأساسية حول معنى الطفولة كالتساؤل في طبيعة الطفل هل هو فرد؟ أم شخص؟ وماذا يعني التفرد Individuation؟ وماذا يعني الشخص personation؟ وأيهما يقود إلى الآخر؟ وماذا يترتب - تربوياً - على التعامل مع الطفل كفرد أو كشخص؟ . . . إلى الأسئلة البراكمانية ذات التوجه اللصيق بالواقع كالبحث في أوضاع الأطفال غير العاديين في الخليج العربي والتماس أساليب أفضل لتربية الأطفال الخليجيين . وعندما قامت اللجنة العلمية الاستشارية للجمعية باختيار هذه الموضوعات كمادة درس وتدارس في الملتقى العلمي الرابع كنا متهيئين أن لا يقود البحث المنظم فيها إلى نوع من الوحدة الداخلية فيما بينها وهذا ما تجتهد الجمعية اجتنابه دائماً حذر الوقوع في شرك التناول التجزيئي للاشكاليات العامة للطفولة العربية . ولكن كم كانت دهشتنا عظيمة أن نكتشف أن الطفل - بحض طفولته - كان عنصر التوحيد الخفي بين الموضوعات المقترحة للدرس وأن الحقيقة الاجتماعية للطفولة تجعل كل الطروحات المتعلقة

- ١١ -

بأزمات الأطفال العرب تتجمع في النهاية في بؤرتين فكريتين تفسران هذه الاشكاليات تفسيراً تكاملياً، هاتان البؤرتان هما وجوب الفهم العلمي لطبيعة الطفل من جهة ومعرفة الأوضاع الاجتماعية التي تتحكم في تقرير أنصبة الأطفال من الاكتفاء أو الحرمان من فرص البناء النفسي والاجتماعي السوي ، من جهة أخرى .

- ٢ -

ففي بحثه عن (الطفل . . . من الفردانية إلى الشخصية) يستخلص الدكتور محمد جواد رضا أن الأطفال يولدون مفطورين على الحرية في فهم الظواهر والعلاقات الإنسانية ولكن عنعنات الكبار وتنقضاتهم المسلكية هي التي تغتال الحرية في هذه الموجودات الجديدة المفتحة للحياة . . . (إن الكبار يتغنون دائماً بحق الصغار في التعبير عن آرائهم ولكن حق التعبير عن الرأي يكون ذا معنى إذا كان هناك رأي خاص بالأطفال يستطيعون التعبير عنه وهذه مسألة غير مضمونة لا دائماً ولا غالباً . الأطفال كثيراً ما يزقون أفكار الآخرين فإذا استدخلوها ظنوها أفكارهم الخاصة وهذا هو المراد بتزييف الشعور الإنساني فما قيمة التعبير عن الرأي؟) . وتأسيساً على هذا اللون من ألوان اغتيال الحرية يبني الدكتور جواد نتيجة منطقية (أن الحرية من القيد أو القيود الخارجية يمكن أن تكون مكتسبات حقيقية في حالة واحدة فقط هي أن تكون أوضاعنا النفسية الداخلية حرة بحيث نستطيع أن نؤسس فرديتنا ولكن هذا ليس هو الحال دائماً فهناك مواحق لعملية التأسيس هذه وفي مقدمتها الأوضاع الاقتصادية التي تؤدي بالفرد إلى مزيد من العزلة والشعور بالعجز والتراجع وهذا كله يقود إلى نوع من الهرب إلى النظم السلطوية والخضوع لها أو في حالات أخرى يقود إلى التوافق القسري وبموجب هذا النوع من التوافق يتحول الإنسان إلى كائن آلي يفقد روحه ومع هذا يتوهم ذاته كائناً حراً ممارساً لارادته هو) . وتجد طروحات التفرد والتشخص رجعاً قوياً فيما يؤكده الدكتور علي الطراح في بحثه عن (التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور) من أن تنشئة الأطفال في المجتمعات العربية المهيمن عليها بقيم الذكور (ترتبط بقيم

- ١٢ -

اجتماعية وثقافة المجتمع الذي انتج لنا ذهنية وسلوكاً إنسانياً قائماً على التمايز اللاموضوعي فيما أننا نتحدث عن ارث ثقافي وذهنية وسلوك فالأمر ليس بالسهل وإعادة بناء الإنسان مهمة صعبة تحتاج إلى جهود منظمة، جهود توجه إلى بناء وتصحيح مسار المؤسسات الاجتماعية التي تقوم وبشكلها الحالي بدور الداعم والمساند لمثل هذا التمايز اللاموضوعي). وإذ يقترب الدكتور الطراح من إيضاح القواعد الاجتماعية للسلوك المتعلم يتجاوب معه الدكتور جورج طعمة في بحثه عن (نموذج أخلاقي للطفل العربي في القرن الحادي والعشرين) منبهاً إلى حقيقة تاريخية ثابتة وهي (أن معظم فلاسفة الحضارة ودارسيها يؤكدون أن التراكم الحضاري خلال التاريخ يحمل معه للإنسان رغم آلامه وعذابه عزاء يتولد عن التراث التحرري والقيم المنبثقة عنه، التراث الذي خلفته الحضارات المتعاقبة للإنسان والذي ساهمت فيه عبر الأجيال والعصور رسالات الأنبياء والمصلحين والشهداء والمفكرين، والإقبال على هذا التراث التحرري ودراسته وتفهمه بأعمق ما فيه قيمة حضارية ثقافية أخلاقية كبرى ولا يتم ذلك إلا إذا نمي لدى الطفل الذي يتكون شعور بالتواضع أمام الحقيقة وانفتاح روحي وفكري لها يؤهل الطفل لأن ينمو كحقيقة إنسانية بحيث تظل رفعة الإنسان الروحية والخلقية هي الهدف الأخير وهي الضمانة المثل. هنا نتعلم جميعاً كيف يجب أن نعيش مع الآخرين الذين يختلفون عنا وكيف نتقبلهم رغم اختلافهم).

- ٣ -

في بحثيهما عن (الطفل غير العادي في الخليج العربي) و(الأسلوب الأفضل لتربية الطفل الخليجي) يتكامل تفكير الدكتورين أحمد عبدالله وقاسم الصراف. فالأول يحاول أن يحدد معنى الطفل غير العادي في تسعة قطاعات من الأطفال هي:

١ - الطفل المتفوق عقلياً.

٢ - الطفل الذي يعاني من صعوبات في التعلم.

- ١٣ -

- ٣ - الطفل الذي يواجه مشكلات في اللغة والنطق .
- ٤ - الطفل المعاق سمعياً .
- ٥ - الطفل المعاق بصرياً .
- ٦ - الطفل المضطرب انفعالياً .
- ٧ - الطفل المصاب بالعجز الجسدي .
- ٨ - الطفل المحروم ثقافياً .
- ٩ - الطفل المتخلف عقلياً .

ومن ثم يعرض لأحدث ما في المكتشفات العلمية حول التعامل مع الأطفال هذه القطاعات التسعة وكيفية ملاقة احتياجاتهم ومساعدتهم على تجاوز العقبات التي تقف في سبيل عيشهم عيشاً طبيعياً مثمراً . أما الدكتور قاسم الصراف فإنه يطالب بتربية جديدة للأطفال الخليجيين تربية مبنية على وعي روح العصر الذي يولد فيه هؤلاء الأطفال ووجوب تهيتهم للعيش فيه (فلا شك أن زماننا هذا هو زمن العلم . . . فلنجعل تربية ابنائنا قائمة على أسس علمية مدروسة بدلاً من الطرق العشوائية المتبعة الآن) . ووعياً منه للظروف التاريخية التي تحكم تفكير الأسرة الخليجية في تربية أطفالها، يوجه الدكتور الصراف الاهتمام إلى أن (الأسرة الخليجية بحاجة ماسة إلى التوعية في أساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال وعلى المؤسسات التربوية والجمعيات النسائية والجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية وأجهزة الإعلام أن تعي في سياساتها الحاضرة والمستقبلية أهمية الاهتمام بتوعية الآباء والأمهات بكيفية تربية النشء تربية سليمة والقضاء الضوء على المشكلات التي تواجه الأسرة الخليجية في مجال تربية الابناء) .

- ٤ -

أخيراً يُترك للدكتورة جوليندا أبو النصر أن تؤطر الاحتياجات الأدبية للأطفال العرب من خلال نتائج المشروع الكبير (تنمية أدب الأطفال في العالم العربي) الذي استغرق العمل فيه ثلاث سنوات وحملت الجمعية الكويتية لتقدم

الطفولة العربية مسؤولة توفير إمكانيات تمويله من خلال العون السخي الذي قدمته (لجنة المصارف الكويتية) ورئيسها السابق الفاضل الأستاذ (فهد عبد الرحمن البحر).

لقد تمخض هذا المشروع عن أربعة مشاريع فرعية مبتكرة هي :

١ - مسح عام لأدبيات الأطفال في العالم العربي ووضع معايير انتقائية لكتب الأطفال ذات التأثير الإيجابي.

٢ - قاموس للغة الأطفال استمدت مفرداته ليس من الكتب المدرسية ونظائرها بل من التجارب الميدانية على ما يدركه الأطفال فعلاً من المفردات وما يعونه من التراكيب اللغوية فهماً واستعمالاً.

٣ - دورة تدريبية لمؤلفي كتب الأطفال ورسامي الصور الإيضاحية لهذه الكتب.

٤ - ست دورات تدريبية لامناء وأمينات مكاتب الأطفال غطت العالم العربي من المغرب إلى دول الخليج العربية.

- ٥ -

إن الكتاب السنوي الجديد الذي نقدمه لجمهور المثقفين العرب وللاباء والأمهات على وجه الخصوص لا ينحصر غنائه في بحوثه الرئيسية بل أن الوجه الآخر لغناه يكمن في الحوار العلمي الذي أثاره كل واحد من هذه البحوث وسيجد القارئ في هذه الحوارات ينابيع ثرة من المعارف والأفكار النفاذة في قضايا الطفولة العربية على الصعيدين الفردي والاجتماعي وقد اسهم بها علماء ومفكرون كويتيون وعرب شاركونا ملتقانا العلمي الرابع باخلاص وجعلوا منه تجربة ناجحة نضيفها باعزاز إلى تجاربنا الماضية دون أن يفوتنا تسجيل الشكر على أنفسنا لهؤلاء الأفاضل من الباحثين والمعقبين والمناقشين الذين لولا عطاؤهم الدائم ولولا مساهماتهم الناضجة في أنشطة الملتقى العلمي لما أمكن لهذا الجهد العلمي الجديد أن يظهر إلى الوجود.

الدكتور حسن الابراهيم

رئيس الجمعية

- ١٥ -



الطفل .. من الفردانية إلى الشخصية

الدكتور محمد جواد رضا

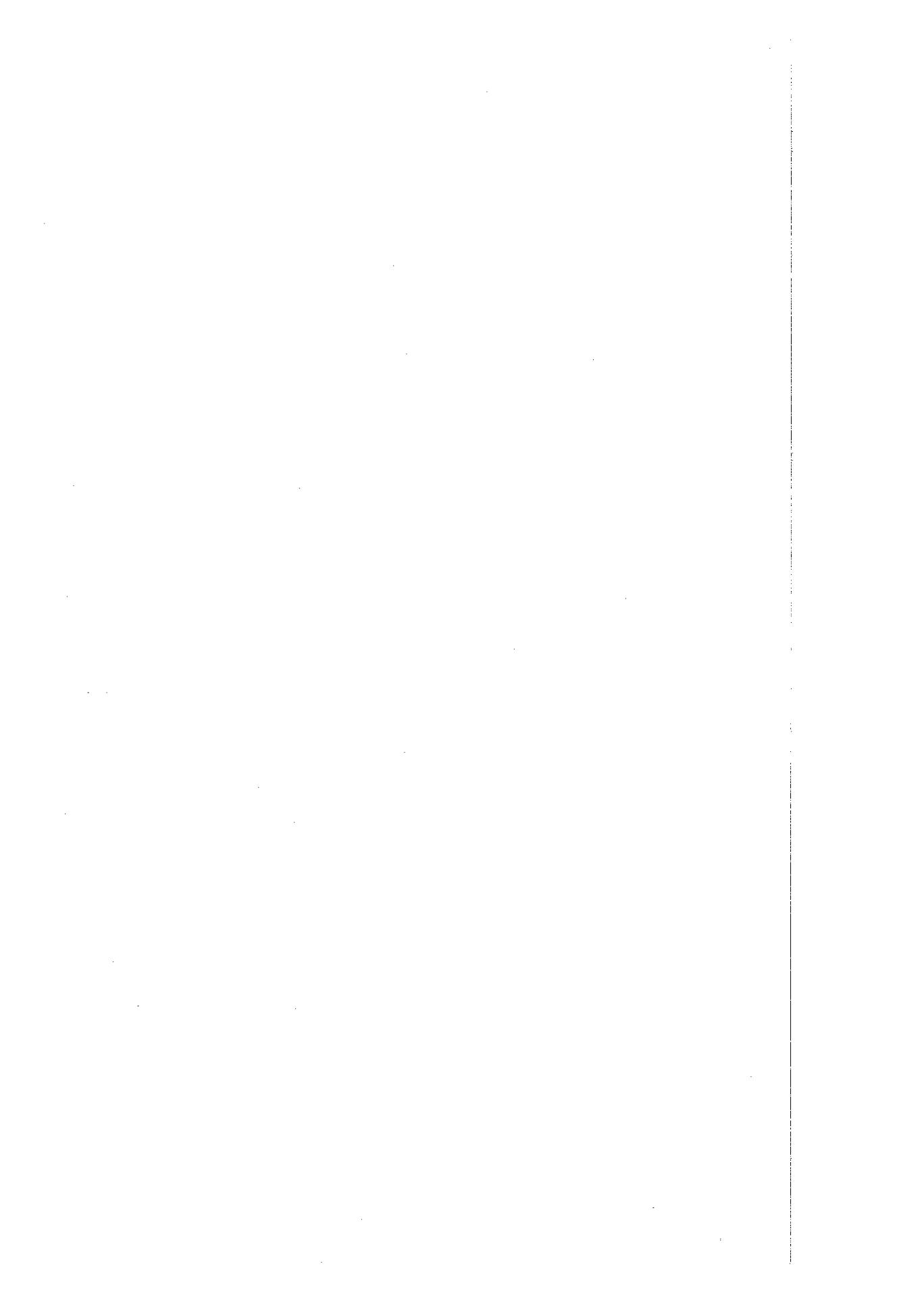


الندوة الأولى

- موضوع الندوة : الطفل من الفردانية إلى الشخصية .
تاريخها : ٢٤ نوفمبر ١٩٨٦ .
رئيس الندوة : الدكتور حسن الابراهيم رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية .
المتحدث الرئيسي : الدكتور محمد جواد رضا .

المشاركون :

- ١ - الدكتور أسامة الخولي - مستشار أول في معهد الكويت للأبحاث العلمية .
- ٢ - الدكتور أحمد عبد الله - مساعد العميد - كلية التربية - جامعة الكويت .
- ٣ - الدكتور سعد عبد الرحمن - جامعة الكويت .
- ٤ - الدكتور قاسم الصراف - جامعة الكويت .
- ٥ - الدكتور عبد الله عبد الدايم - خبير أقدام في وزارة التربية الكويتية .
- ٦ - الأستاذ عبد الرزاق البصير - وزارة الاعلام الكويتية .
- ٧ - الدكتور محمود بستان - كلية الطب - جامعة الكويت .
- ٨ - الأستاذة منيرة المطوع - الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين .
- ٩ - السيد هاشم تقي - الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين .



الطفل . . . من الفردانية إلى الشخصية

د. محمد جواد رضا

الطفل . . . فرد؟ أم شخص؟ وماذا يترتب على التعامل معه (فرداً) أو (شخصاً)؟

هل يبدو التساؤل فلسفياً؟ أو ضرباً من ضروب التمرينات العقلية؟ ربما. ولكن هذا هو سؤال مفتاح إلى وعينا للطفولة.

التعامل مع الطفل على أنه (فرد) يحمل معه مضامين من نوع خاص. التفرد يعني الانفصال . . . يعني العزلة أو الاعتزال. يعين حدود الوجود الفرد ويرسم أبعاده، ولكنه يقطع وشائجه مع الأفراد الآخرين . . . يعترف للفرد بحدود مميز ولكن يترابطه أو روابطه بواقع الآخرين وقد يضعه في موقع التضاد معهم . . . يزرعه في قاع صفصف تسفّ فيه رياح الوحشة ويذرى فيها الزمهرير . . . يقول الفيروزابادي في (القاموس المحيط) شجرة (فارد) أي متحية . . . وظبية (فارد) أي منفردة عن القطيع وناق (فارد) أي تنفرد في المرعى وأفراد النجوم - التي تطلع في آفاق السماء أي أمامها البعيدة وراكب مفرد - ما معه غير بعيره، وجاءوا فرادى - أي واحداً بعد واحد وأفرده - أي عزله.

لعل هذا هو الذي جعل (القاموس المحيط) يخلو من النسبة إلى (فرد) فليس فيه (فردى) ولا (فردية). ولعل هذا يفسر أيضاً مصاحبة شعور الوحشة والاستيحاش لاستعمالات كلمة (فرد) واشتقاقاتها في القرآن الكريم. ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ (مريم/ 95) ﴿وزكريا إذ نادى ربه ربّ لا تذرنى فرداً

وأنت خير الوارثين ﴿ (الأنبياء/ ٨٩) ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ (الأنعام/ ٩٤) . هكذا دائماً الفرادية هي في صحة الوحشة والانقطاع .

وليست كلمة (فرد) Individual بأكثر وعداً بالدفع والتواصل في الانكليزية منها في العربية . فهي مأخوذة من اللاتينية IN-DIVIDUS أي غير قابل للقسمه ولا التجزئة وهو هذا ذات موجودة وجوداً غير ممتد في سواه وحدة غير قابلة للقسمه ولا التجزئة لا في الواقع ولا في النظرية وإذا قسمت هذه الفردية على أي من الصعيدين فإنها تفقد كيانها ولهذا فإن انشطار الفرد أو ذاته يعتبر مرضاً .

على أن القاموس الفلسفي يشتق من كلمة الفرد Individual فعل التفريد To Individuate بمعنى التمييز أو التعيين أو الفصل . . . أي فصل شيء من أشياء أخرى تنتسب هي والمفرد منها إلى طبقة من نوع واحد^(١) .

ماذا عن الطفل (شخصاً) ؟ هل يقربنا هذا المفهوم من النبض الإنساني في الطفولة؟ لا ضمانة . ولكن الشخصية Personhood أكثر ديناميكية من التفرد . . . (الشخص) هو كما يقول الفيروز ابادي (سواد الإنسان وغيره تراه من بعد وشخص من بلد إلى بلد . . . ذهب وسار في ارتفاع^(٢)) . على أنه ليس عند الفيروز ابادي الاسم (شخصية) كما أنه لا يورد مفهوم (التشخيص) على حين أن الزمخشري في (أساس البلاغة) يُعمل صيغة (التفعيل) في الشخص (على سبيل المجاز) فيقول (شخص الشيء إذا عينه وشيء مشخص أي معين)^(٣) .

وفي كل الأحوال . . . مفهوم الشخصية مفهوم اصطلاحي لأن الشخص أو الشخصية بمعناها العام المتداول لا وجود لها في الواقع ومفهوم الشخصية مفهوم هلامي يتشكل وفق ما يراه المتكلم بالضبط كما تفسر الأشباح وفق ما يريده المتوهم لها أي يسقطه عليها .

وتعزز الانكليزية اللغة العربية في هذا التوجه حين تشتق كلمة (الشخصية Personality) من الجذر اللاتيني Persona وهو القناع الذي يضعه الممثل على

وجهه ليمثل ذاتاً من نوع ما . . . إنساناً أو حيواناً أو جنّاً. وبإزاء هذه الزبئية اللغوية في معنى الشخص والشخصية اتجه علم النفس المعاصر إلى استعمال شمولي واسع المرونة لمفهوم الشخصية يقوم على تعريفها بأنها . . . التنظيم الحركي Dynamic المتكامل لخصائص الفرد البدنية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية.

أما في التحليل الأكثر عمقاً فإن مفهوم الشخصية يوحد في إطاره النوازع الطبيعية والمكتسبة والعادات والمصالح ومركبات شتى من العواطف والمثل والآراء والمعتقدات كما تتحدّد في علاقات الفرد مع الوسط الذي ينتسب إليه. ومن هنا فإن الشخصية قد تكون مزدوجة Dual أو متعددة. وتتنظم عناصر تكوّن الشخصية في أطر مختلفة تكون الشخصية بموجبها تارة بسيطة وتارة معقدة.

في الحالة الأولى تظهر الشخصية الأولية Primary Personality وفي الحالة الثانية تظهر الشخصية الثانوية أو الشخصية المنفصلة Dissociated Personality^(٤). على أن اللغة الانكليزية تستعمل مصطلحاً آخر لرسم حدود الشخصية هذا المصطلح هو Character ويراد به الدور الذي يمثله الفرد للآخرين سواء كان ذلك على المسرح أم في واقع الحياة ويريد من الآخرين أن يرسموه أو يترسموه به. وهذا المفهوم إذا ما استعمل بمضمون بايولوجي فإنه يعني أي معلم من معالم كائن عضوي Organism يمكن بموجبه مقارنة هذا الكائن بكائن آخر.

أما إذا استعملت كلمة Character بدلالة نفسية فإنها تعني تكامل العادات والعواطف والمثل التي تجعل أفعال شخص من الأشخاص مستقرة نسبياً وقابلة للتنبؤ. . . وهذا ما يقع على المسرح فإن المؤلف لا يرسم شخصية وإنما هو يرسم دوراً يتمصه فرد وهذا الدور مغزول من مادة متناظرة العناصر مستقرة المعالم - سلباً كان الاستقرار أم إيجاباً - وقابلة للتنبؤ.

أما على حلبة الحياة الحقيقية فإن علماء النفس يميلون إلى استعمال كلمة Character بمعنى أكثر محدودية لتشير إلى تلك الميول Tendencies الثابتة في الإنسان مدى الحياة مع التسليم باحتمال تقلب تلك الميول بين وجودها الأصلي - الوجود الطبيعي - وبين وجودها في حالة من التسامي Sublimation.

ويفرّع النفسانيون من كلمة Character مصدراً هو Characterisation ويريدون به وصف أو تشخيص تلك المعالم الأساسية لموضوع ما أو لذات إنسانية معينة . بمعنى أكثر دقة في الاستعمال الاجتماعي يشير هذا الاستعمال إلى تطور معالم الشخصية من خلال تفاعلاتها الاجتماعية^(٥) .

هنا كما في اللغة العربية . . . لا وجود للشخصية في الواقع . . . وإنما هي توجد كمفهوم مصطلح عليه . وإذا كان ما هو (مصطلح عليه) مشروطاً باعتبارات يعرفها المصطلح . . . وإذا كانت هذه الاعتبارات تتباين من مُصطلح إلى آخر فإن مفهوم الشخصية يظل رجراجاً صعب الضبط عسير التحديد ولهذا يفضل علماء النفس أن يتكلموا عن (الكيان الشخصي) أكثر من الحديث عن (الشخصية) . فما هو الكيان الشخصي؟ الكيان الشخصي Personal Entity هو إحساس الفرد أو شعوره بأنه الشخص ذاته في أكثر من موقف واحد رغم تقلب طبيعة تلك المواقف وذلك بناء على ثبات شيء ما فيه . . . مشترك بين تلك المواقف واستمراره مثل الأهداف التي يطمع إليها أو الأغراض التي ينوي تحقيقها أو المثل التي يتعلق بها أو الذكريات التي يستطيعها .

وفقاً لحالات التشكل المشار إليها Formation أو حالات إعادة التشكل بين مقومات الشخصية Re-formation المتنوعة ، أو بعبارة أخرى وفق أنماط الاستجابة من الفرد للمؤثرات الخارجية فإن شخصية الإنسان لا تظل على حال واحدة أي من المتعذر وسم الفرد بأن له شخصية واحدة ثابتة .

من هذا المنظور اعتمد يونك Carl Jung معياراً منتهى لتعريف الشخصية سماه (اتجاه المصلحة Direction of Interest) وبموجب هذا المعيار صنف الناس في نمطين الشخصية الانبساطية Extrovert والشخصية الانطوائية Introvert وأضاف ستاكنر Stagner نمطاً ثالثاً سماه الشخصية البينية Ambi - Vert أي الشخصية التي تتقمص أياً من الشخصيتين الأوليين حسب الظرف الذي يحكمها .

على أن علماء النفس اللاحقين ينظرون إلى هذا التصنيف على أنه استقطاب

يمثل الحالات المنحرفة عن الوسط المعقول الذي عليه أغلب الناس الاعتياديين

. Normal

وهناك من ينقد هذا التصنيف على أنه تصنيف للأمزجة Temperments وليس للشخصية ومن ههنا فإنهم يفضلون الحديث عن (التشخص Personation) وهو انتحال ذاتية غط إنساني مصطفي في وقت معين لغرض يعرفه المتحل نفسه . وعلى هذا يمكن القول ان مفهوم الشخصية هو أقرب - كما يرى يونك - إلى الـ Persona اللاتينية (القناع) والذي يمكن فهمه جيداً بمعارضته بمفهوم الـ (Anima) . . . الحياة أو الشيء الحي . ومن التسليم بمفهوم (قناعية) الشخصية يمكننا أن نتحدث عن الشخصية على أنها (المركب الوظيفي Function Complex) الذي يقرر ردود فعل المرء لحالة معينة أو لموضوع معين .

هل يمكننا أن نستخلص إذاً، أن الشخصية هي غط في السلوك؟
يبدو أن هذا هو الخيار الوحيد المفتوح أمامنا . . . فكيف نتعامل مع مفهوم لا يتجسد في شيء ملموس؟

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نلتمس تعريفاً وظيفياً للشخصية نتقضى مقوماته على ثلاثة أصعدة:

- ١ - الصعيد البيولوجي .
- ٢ - الصعيد النفسي .
- ٣ - الصعيد الاجتماعي .

وسنعمد في التماس هذا التعريف على اثنين من الرواد في هذا المجال هما روس ستاكنر Ross Stagner وأريك فروم Eric Fromm

- ٢ -

ستاكنر والأسس البيولوجية للشخصية

يقول ستاكنر إن الشخصية هي نتاج مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما

- ٢٥ -

بينها . وبعض علماء النفس يؤكدون أن الطبيعة الإنسانية هي طبيعة اجتماعية من حيث الجوهر وأن الأسس البيولوجية للفعل الإنساني هي أشياء مشتركة بين الإنسان والكائنات الحية الدنيا . ولكن هؤلاء ينسون أن التأثيرات الاجتماعية تستطيع أن تفعل فعلها في كائن عضوي فقط وأن الاختلاف في البنية العضوية organic structure تؤدي بالضرورة إلى اختلاف في ردود الفعل للمؤثرات الاجتماعية ولذا فإننا لانفهم استجابة الفرد لهذه المؤثرات الاجتماعية إلا إذا فهمناه على ثلاثة مستويات عضوية هي الوراثة أولاً ثم مستوى الأنظمة العضوية العاملة داخل الوجود الإنساني العضوي ويحاول هذا المستوى إيجاد ترابط من نوع ما فيما بين هذه النظم وبين نمط الشخصية الذي نتعامل معه .

أما المستوى الثالث فهو مستوى أنظمة السوائل الجسدية أي الكيمياء العضوية للإنسان وتركيبه الهرموني .^(٦)

هل في هذا تخفيض للإنسان إلى كائن مادي تتحكم أنظمتها العضوية فيه ليس الأمر كذلك تماماً ولكنه قطعاً مقارنة للواقع العضوي ومصدرته في تشكيل السلوك الإنساني . وإذا كان الأمر كذلك فلننظر في كيمياء الإنسان وأثرها في سلوكه المعين لبعض جوانب شخصيته أو كيانه الشخصي . لننظر في التركيب الغدي (أو الغدي) للإنسان . هناك خمس غدد صم Endocrine Glands تتحكم في سلوك الإنسان هي :

١ - الغدة الدرقية Thyroid

٢ - الغديتات فوق الدرقية para-Thyroid

٣ - الغدة الكظرية Adrenal

٤ - الغدة التناسلية The Gonad

٥ - الغدة النخامية The pituitry Gland

المقام لا يحتمل التعامل مع كل هذه الغدد فلننظر في واحدة منها وفعلها في السلوك الإنساني . .

لننظر في الغدة الدرقية Thyroid

هناك غدتان درقيتان في الإنسان تقعان قرب الحنجرة واحدة على كل جهة من جهتي العنق وهي تغرز هرمون الثايروكسين Thyroxin ، وإحدى الوظائف الأساسية لهرمون الثايروكسين هي تنظيم استهلاك الجسم للاوكسجين ومن ثم تعيين مستوى الطاقة في الجسم الإنساني .

إن معدل الأيض القاعدي (BMR) Basal Metabolic Rate . رغم أنه لا يتقرر بعمل الثايرويد (الغدة الدرقية) وحدها . . . ولكنه يعتبر مؤشراً جيداً على إنتاجية الثايروكسين . فإذا كان إفراز الغدة عادياً لم تظهر اشكالات سلوكية عند الفرد أما الأفراد الذين يصابون بنقص في إفراز الثايروكسين Hypo - Thyroidism فيتميز سلوكهم بالكسل والخمول والسماجة . وفي الأطفال بشكل عام يقترن نقص الثايروكسين بانخفاض درجة الذكاء . . وإذا ما اكتشفت الحالة في وقت مبكر ومناسب فيمكن علاجها دوائياً وتنشيط الغدة ذاتها لزيادة إفرازها من الثايروكسين وهناك حالات كثيرة نجح فيها العلاج .

أما على صعيد الشئائل والخصائص الشخصية العامة فإن نقص الثايروكسين في البالغين يؤدي إلى جعل الإنسان منوماً (كثير النعاس) ، كما يجعله بطيء الاستجابة للمنبهات الخارجية كما يجعله أحياناً سريع التهيج والانفعال . تصطبغ مشاعر هؤلاء الأفراد عموماً بالكآبة وعدم الرضا عن الأشياء وفقدان الثقة بالآخرين . وتشير البحوث العلمية إلى حالات معينة من الشيزوفرينيا يمكن علاجها باستعمال عقاقير الثايرويد .

أما في الحالة المعاكسة . . . وهي زيادة إفراز الثايروكسين Hyper-Thyroid فإن أعراض هذه الزيادة في سلوك المصاب تتمثل بارتفاع درجة التوتر العصبي والانفعالية الشديدة والقلق . وعموماً فإن المصاب بالHyper-Thyroid يتميز بالاضطراب والتفجر والتعب الدائم .

وفي كل الأحوال فإن نقص الثايروكسين أو زيادته يبدوان مرتبطين ارتباطاً مباشراً بمستوى الطاقة عند الفرد ويتفق علماء النفس والفلسفة على أن الطاقة هي نتاج مباشر للزيادة أو النقص في إفرازات الثايروكسين . غير أن الأشياء تصنع

اضدادها في الوجود الإنساني . وفي هذه العلاقة يلاحظ بعض علماء النفس أن أعراض نقص إفراز الثايرويد من الخمول والكسل والكآبة والشك تفرض على الفرد نوعاً من التعلم السلبي . بمعنى أن المصاب بهذه الأعراض تعثره حالات من الوعي للوضع الذي هو فيه فيخجل من نفسه ويندفع في تصرفات هوجاء كأنه يريد بها أن يؤكد للآخرين أنه ليس أقل منهم نشاطاً ولا حيوية ، ولكن هذه النوبات من النشاط العارض سرعان ما تتلاشى وتختفي فيعود الفرد إلى حالة الكآبة والتعاسة وعدم الرضا والشك في الآخرين .^(٧)

الغديديات فوق الدرقية وأثرها في تكييف السلوك الإنساني - Para

Thyroid

هناك أربع غديديات (فوق درقية) اثنتان على كل غدة درقية وملتصقة بها من جهتي العنق . ومن الأعراض الثابتة لنقص إفراز هذه الغديديات (التكزز العضلي - Tetany - Muscular) (من الكزاز) الذي يتدرج في التعقيد حتى يصل درجة التليّف وقد يؤدي إلى الموت في حالة تدمير واحدة من هذه الغديديات بسبب الجراحة أو المرض .

أما آثار إفراز هرمون هذه الغديديات في السلوك الإنساني فهي كثيرة وقد أثبتت بحوث علمية أن المشاكل السلوكية عند بعض الأطفال - مثل المشاكسة والعناد والتمرد والتهيج العضلي والضحج وصعوبة السيطرة على الذات - إنما تنجم عن نقص في إفراز هذه الغديديات الدرقية . وفي كثير من الحالات ونتيجة لعدم تبصير المعلمين والمعلمات بدور إفرازات الثايرويد والباراثيرويد في سلوك الأطفال فإن هؤلاء المعلمين والمعلمات يفسرون المشاكل السلوكية لهؤلاء الأطفال على أنها نوع من الانحراف أو سوء السلوك .

لقد عولجت بعض هذه المشاكل السلوكية بحقن الأطفال المصابين بهذه الأعراض بمصل هرمون هذه الغديديات فأدت إلى تحلصهم من اشكالاتهم السلوكية .^(٨)

أثر الوضع النفسي في عمل الثايرويد :

بينما يصدق القول أن حالة زيادة أو نقص إفراز الثيروكسين يؤثر في العواطف الإنسانية وفي تشكيل شخصية الفرد فإن العكس صحيح أيضاً. بمعنى أن الحالة الانفعالية الشديدة تؤثر بدورها في إفراز الثايرويد. وهناك دراسات أكدت أن حالات من الارتفاع الشديد في إفراز الثايروكسين قد تحققت نتيجة حالة انفعالية شديدة تعرض لها الفرد. وللباحثين الطبيين أسباب وجيهة يستندون إليها في القول بأن حالة الكآبة المستدime تؤدي إلى نقص إفراز الثايروكسين وهكذا يجوز القول بأن الشخصية الإنسانية هي وحدة نفسية فسيولوجية - psychophysiological unit تصدر عنها أحداث عاطفية Emotional أو عضوية Organic يؤثر بعضها في بعض بطرق مختلفة ودرجات متباينة وهذا هو رأي ستاكنر. (٩) وهو ما نأخذ به في أطار هذه الدراسة.

- ٣ -

أريك فروم Erich Fromm وجدلية التشكل النفسي عند الطفل :

يبدأ فروم Fromm نظريته في التشكل النفسي عند الطفل بمفهوم أن الحرية نشخص Characterises الوجود الإنساني بالمعنى العام. وأبعد من ذلك فإن معنى الحرية يتغير وفقاً لدرجة وعي الإنسان ومفهومه عن نفسه كائناً مستقلاً ومنفصلاً عن الآخرين. (١٠)

الوجود الإنساني والحرية الإنسانية... إذن امران لا مهرب منهما... والحرية هنا مستعملة ليس بمعناها الإيجابي (الحرية لـ Freedom to) ولكن بمعناها السلبي (الحرية من Freedom From)... وعلى وجه التحديد... الحرية من حتمية الغريزة أي من التقريرية الغريزية للفعل الإنساني. (١١)

ويفسر فروم قوله هذا بأن الإنسان عند الميلاد هو أضعف الكائنات الحية اطلاقاً. أن تكيفه للطبيعة مبني جوهرياً على عملية التعلم وليس محكوماً بحتمية

- ٢٩ -

الغريزة . . . أن الغريزة Instinct تتضاءل إن لم نقل تختفي في الكائنات الحية العليا وبخاصة في الإنسان . ومن ههنا يكون ضعف الإنسان هو حافزه إلى طلب التماسك والقوة في وجه القوى الطبيعية الأخرى كما يكون الضعف دافعه إلى الاختيار الثقافي .

كيف يقع ذلك؟ الجواب يمكن أن يرد على النحو التالي : الإنسان يولد مجرداً من العدة أو الأداة اللازمة للفعل المشروط لعملية التكيف . . . هذه العدة يملكها الحيوان .

الإنسان يولد معتمداً على أبويه لفترة طويلة أطول من اعتماد أي كائن آخر . . . وردود فعله لما يحيط به أبطأ وأقل فاعلية من استجابات الكائنات الحية الأخرى المقررة بالغريزة .

إنه يمر خلال كل الأخطار والمخاوف المتضمنة في هذا الافتقار إلى العدة الغريزية . . . ومع هذا فإن هذا العجز بالذات . . . هو الأساس الذي ينجم عنه النمو الإنساني . . . أن عجز الإنسان البيولوجي هو الشرط اللازم لحدوث الثقافة الإنسانية . كيف تتولد هذه العلاقة بين العجز والاختيار الثقافي عندما يواجه الإنسان وضعاً متحدياً . . . وليست له غريزة توجهه لمقابلة ذلك الوضع . . . يتحتم عليه أن يزن الخيارات المفتوحة أمامه . . . يزنها في عقله . . .

هنا هو يبدأ يفكر . . .

ومع ممارسة التفكير يغير الإنسان دوره إزاء الطبيعة من التكيف السلبي المحض إلى التكيف الإيجابي . . . إنه يبدأ ممارسة الإنتاج .

إنه يبدأ بانتاج الآلات والأدوات التي يكيف بها الطبيعة لنفسه وبهذا الفعل الإنتاجي يفصل نفسه أكثر فاكثراً من الطبيعة . وهو بهذا يبدأ يعي - ولو بصورة مغشاة - ذاته أو جماعته التي ينتسب إليها كشيء غير مقترن بالطبيعة . وهنا يبلغ التحدي مداه . . . إن الإنسان يدرك أنه جزء من الطبيعة ولكن عليه أن يتسامى عليها .

إن التاريخ الاجتماعي للإنسان عند فروم يبدأ بخروجه من حالة التوحد Oneness مع العالم الطبيعي إلى حالة من الوعي لذاته . . . كياناً منفصلاً عن الطبيعة المحيطة به ومن البشر الآخرين .

ولكن هذا الوعي بقي باهتاً عبر فترة طويلة من التاريخ واستمر الإنسان مربوطاً إلى النظام الطبيعي والاجتماعي الذي حاول الخروج منه بينما ظل يعي أنه - جزئياً - كيان مستقل رغم تسليمه بأنه جزء من العالم حوله .

والظاهر أن عملية انسلاخ الفرد المتعاضمة - عبر التاريخ - من قيوده الأصلية والتي نطلق عليها اسم (التفرد Individuation) وصلت قمته في العصر الحديث أي في القرون الواقعة بين عصر الإصلاح والزمن الحاضر (١٢).

في حياة الفرد الواحد نجد العملية التاريخية ذاتها تختزل بشكل متكرر .

يولد الطفل فيفقد توحيده مع أمه . . . كان جزءاً منها . . . بضعة من بدنها جنيناً في رحمها . . . كان هو وهي شيئاً واحداً . . . فلما ولد غداً كياناً عضوياً منفصلاً . ولكن الانفصال ليس الاستقلال . وعلى حين أن هذا الانفصال العضوي هو بداية الوجود الإنساني المستقل فإن الطفل يظل متوحداً مع أمه وحدة من نوع جديد ولفترة طويلة . . . هذه المرة الوحدة وحدة وظيفية . ولكنها غير دائمة ففي مكان ما وفي وقت ما لا بد أن تحين ساعة الاستقلال - ساعة التفرد بالانفصال كليةً من الأم وهنا يتوجب على الطفل - هذا الفرد الجديد - أن يعيد رسم موقفه من العالم وأن يبحث لنفسه عن الأمن في هذا العالم بطرق مختلفة عن تلك التي خرج منها .

هنا تكتسب الحرية معنى جديداً . فإذا كانت في الحالة الأولى تعني الانفصال فإنها في هذه الحالة الثانية تعني إعادة التلاحم مع العالم ولكن بكيفية تجعل العالم أكثر أمناً وراحة للفرد .

جدلية الانفصال - الارتباط وعملية التفرد الإنساني :

إن التحول المفاجيء من النطفة Foetal وقطع الحبل السري الذي ربط الطفل إلى جسد أمه هو علامة على الاستقلال الأول . . . استقلاله عن بدن أمه .

من الناحية الوظيفية . . . سيظل الطفل لفترة أخرى جزءاً من أمه . . . أنها ترضعه . . . تحمله . . . تعني به من كل ما يهدد وجوده . ولكنه يبدأ يدرك شيئاً فشيئاً أن أمه والآخرين من حوله هم (كيانات) معزولة عن (كيانه) هو . ويعينه على هذا الإدراك جهازه العصبي المتنامي ونمو جسمه . . . هذان الجهازان العضويان يعينانه على أن يقبس بوعيه الأشياء من حوله - مادية أم غير مادية - وأن يسيطر عليها . ومن خلال جهوده الخاصة يبدأ يجرب عالماً خارج عالمه الداخلي . . . أي يبدأ الانفصال بينه وبين العالم المحيط به . . . هنا تبدأ عملية التفرد بالحدوث .

إن هذه عملية صعبة وعلى التربية أن تعينه أن يصل فيها إلى غايتها القصوى . . . لكي يكون ما يمكن أن يكونه . ولكن الأمور لا تسير كما ينبغي . ويتعرض الطفل إلى عدد من الاحباطات والنواهي التي تغير دور الأم في وعيه وتحولها من مصدر للأمن والتشجيع إلى مصدر للخطر والتهديد والعقاب . . . من دور الصديق إلى دور الخصيم . هذا الانقلاب في وعي الطفل لدور الأم هو أحد العوامل الأساسية في شحذ الاحساس بالفرق بين الـ (نا) والـ (أنت) والـ (هم) . (١٣) .

وكلما نما الطفل وتقدم في العمر، وكلما تقطعت روابطه الأولية مع أمه . . . بذلك المقدار تتعاضم حاجته إلى الحرية والاستقلالية . ولكن مصير هذا التطور في العلاقة بين الطفل وأمّه - ومن ثم بينه وبين العالم - يمكن فهمه فهماً تاماً فقط في حالة واحدة هي وعينا للنوعية الجدلية Dialectical الكامنة في عملية التفرد ذاتها .

عملية التفرد هذه لها جانبان . . . الأول هو أن الطفل يزداد قوة في بدنه وعقله وعواطفه مع تقدمه في العمر . وفي كل أفق من هذه الأفاق يظهر التوتر

والحيوية . وفي الوقت ذاته فإن هذه الأفاق تتداخل في بعضها ويبرز من هذا التداخل بناء فكري منظم يقوده عقل الطفل وإرادته . فإذا سمينا هذا الككل المنظم والمتكامل «ذاتية الطفل» (النفس) فإننا نستطيع أن نقول إن أحد جوانب عملية التفرد المتنامية يتمثل في (قوة النفس) . إن الحدود التي يقف أو يتوقف عندها نمو عملية التفرد حدود مفروضة بالقدرات الخاصة للطفل نفسه إلى حد كبير، ولكنها وإلى حد أكبر هي ظروف اجتماعية تحد من نمو عملية التفرد في الطفل . . . لأنه على الرغم من أن الفروق بين الأفراد في هذا الصدد تبدو عظيمة . . . فإن كل مجتمع من المجتمعات يتميز بالإذن بدرجة معينة من التفرد لا يجوز للأفراد أن يتعدوها . وهنا تقع أول مواجهة بين النزوع إلى (التفرد) وبين إرادة (التطابق) التي يفرضها المجتمع .

أما الجانب الآخر من عملية التفرد . . . فيتمثل في تعاضم وحدانية الطفل Alonenss وانفصاله عن العالم الذي ولد فيه . . . بمعنى أن الروابط الأولية التي ولد فيها كانت - رغم كل شيء - تعطيه الإحساس بالانتساب والإحساس بالأمن . كان هو وأمه شيئاً واحداً ثم انفصل . ثم ولد وصار هو والعالم شيئاً واحداً . . . ثم وعى وجوده المتفرد في العالم فانفصل عنه . . . أي عن العالم . وهكذا تظل أوثقته الأولية تتقطع . . . وكلما تقطعت أوثقته تعاضم شعوره بالوحدة في العالم . . . شعر أنه كيان منفصل عن الكيانات الأخرى . . . هذا الانفصال يكون غامراً ومكتسحاً خطراً وخطيراً . . . إنه يشعر الطفل بالعجز والخوف من مفاجئات العالم له . . . إنه الآن يواجه العالم وحده . . . العالم بكل مجهولياته وغموضه . . . هذه المعاناة تنصدي له في كل مكان . . . في قاعة امتحان . . . أو مباراة رياضية أو علاقة حب مع شخص آخر أو الاستسلام لمشروط جراح على طاولة جراحه باردة . . . أو . . . أو . . . كيف يواجه الطفل هذا العالم ؟

هنا يلاحظ Erich From تولد النوازع Empulses للعودة إلى الالتحام بالعالم مرة أخرى طلباً للأمن ولاجتناب حالة الإحساس بالضعف والقلق . وهكذا

يعود الفرد فيدخل في روابط جديدة مع العالم الذي انفصل منه وظن أنه تحرر منه . . .

نعم انه يهرب من الحرية التي كافح من أجلها ليعود إلى الارتباط بالعالم . . . ولكن كيف ؟

من الخطأ الظن بأن عودة التلاحم مع العالم ستقع ضمن الروابط القديمة . فكما أنه لا يستطيع أن يعود فيتوحد مع أمه عضواً . . . لا يستطيع العودة إلى رحمها فإنه كذلك لا يستطيع أن يعكس عملية التفرد التي بدأت واستقرت فيه .

أحياناً يستجد الحنين إلى تلك الروابط الأولى وتقع العودة إليها في صورة خانعة خاضعة لمصدر العلاقة الأولى . . . ولكن هذه العودة ذات طبيعة تعويضية ما كان ينبغي لها أن تقع لولا انكسار قوة النفس في مكان ما . ولو قدر لهذا الانكسار أن يستقر في الذات فهنا تقع الكارثة . . . يكون الاستسلام والتخلي عن الاستقلال وما يحمله ذلك كله من التخلي عن (قوة النفس) وتكامل الشخصية .

على أن الكارثة هنا لا تعني محق الحنين إلى الحرية وإنما تعني كبته وطمسه في أعماق الذات . . . في اللاشعور إذا أردنا المصطلح الفرويدي . . . فيظل الشوق إلى الحرية يحيا أحرس مكبوتاً في ظل السلطة الجديدة التي رجع إليها الفرد . . . وهكذا تنخلق حالة صراع بين الحرية المتنازل عنها كرهاً وبين التعلق بها من جهة ، وبين الفرد والجهوية السلطوية التي استسلم لها بحثاً عن الأمن وليس زهداً في الحرية من جهة أخرى . وهكذا تنتهي الأمور إلى نقائضها تماماً . . . فإن نتيجة الاستسلام هي عكس ما كان يفترض أن تقود إليه . . . الاستسلام يزيد من حالة عدم الأمن عند الطفل وفي الوقت ذاته يخلق شعوراً من العداة الصامتة والثمرد ضد الذين أخافوه حتى اضطروه إلى التنازل عن الحرية . . . وهذا وضع أكثر إخافة . . . لأنه موجه ضد هذا الشخص أو الأشخاص الذين يعتمد عليهم الطفل . وهنا تتراكم احتمالات السلوك المزدوج^(١٤) .

التشخيص

من هذا التناقض الخفي والمعقد بين التوق إلى الحرية والتنازل عنها والذي يقع في وسط اجتماعي يكون (التشخيص Personation) . . . أي بروز الكيان الشخصي . وهنا أيضاً يتوجب على الطفل أن يعاني تجربة دقيقة جديدة هي مقدمة لميلاد جديد .

الروابط الأولية التي يعود إليها الطفل تحول دون تحقق النمو الكامل في وجوده الإنساني . إنها تعترض سبيل النمو الكامل لعقله وقواه التحليلية الناقدة . إنها تجعله يتبين ذاته والآخرين من خلال وسط اجتماعي هو (وسطهم) الاجتماعي . . . إنه عضو في عائلة . . . عشيرة . . . جماعة دينية . . . ولكنه لا يفهم وجودهم في كيانات إنسانية مستقلة . بعبارة أخرى . . . إن هذه الروابط تمنع تكامله أو اكتماله فرداً حراً منتجاً صانعاً لمصيره . هذا جانب واحد . . . أما الجانب الآخر . . . فإن هذا الاقتران بالآخرين . . . بالطبيعة . . . يعطي الإنسان شعوراً بالأمن . . . إحساساً بالانتساب إلى جهة ما والتجذر فيها . . . التجذر في بنية كلية له فيها مكان غير مزعزع ولا مشكوك فيه . إنه قد يقاسي الجوع والقهر داخل هذه البنية الكلية . . . ولكنه لن يقاسي الأسوأ . . . الإحساس بالوحدة والشك . . .

هل يتحقق الأمن نهائياً مع هذا الدخول المجدد في الروابط الأولية؟

مرة أخرى تعود العضلة تطرح نفسها ولكن بشكل أكثر حدة وأكثر قسوة . المزيد من الغرق في الآخرين . . . المزيد من الذوبان الالتحامي مع الطبيعة والأشياء والأنظمة . . . يعني المزيد من الإحساس بفقدان الذات والوحدة والعزلة . . . أن يستمد الفرد وعيه لذاته من الآخرين والأشياء يعني مقاساة التفاهة ومكابدة انمحاء الذات والهوان على النفس . . . وهنا يأتي الخطر الحقيقي . . . الهرب من الحرية والوحدة معاً . الحرية تصبح عبثاً . . . ويكون البحث معها عن شيء يلغي فردية الذات إلغاء تاماً والاستراحة من وعي الفرد

والذوبان في الآخرين مع غياب الوعي . . . هنا تبيح الفرصة الذهبية نفسها للنظم التسلطية لتلعب دور المستجيب المخلص للفرد من معاناة التفرد ومسؤولية الحرية . هتلر لم يكن غيباً حين بلور فلسفته النازية . لقد كان له ولفلاسفة النازية الآخرين حس غامض بثقل الحرية على الألمان تحت ضغوط زمنهم الذي ظهر هو فيه والتهيو للذوبان في شيء أكبر منهم وأكثر غموضاً من معاناة الحرية وتكاليقها ولكنه أقل مطالبة بحمل واجب البحث عن حلول لأزمات الحرية . لقد ارتضوا بـ (الحرية) من التعامل مع الأزمات الاقتصادية والاجتماعية ورفضوا (الحرية لحمل المسؤولية) ولم تكن الأولى بديلاً عن الثانية بأي معيار من معايير المبادلة . وهذه قضية تربوية .

ليس بالاستسلام وحده

هل هناك موجب لليأس؟ كلا

إن الاستسلام ليس الطريقة الوحيدة لاجتناب الوحدانية والقلق . هناك طريقة أخرى . . . هي الطريقة الوحيدة المنتجة والإيجابية والتي لا تنتهي بالضرورة بحالة صراع مع العالم أو الانتحار أمام ضغوطه .

هذه الطريقة هي الاقتراب التلقائي من العالم والدخول في علاقة حميمة مع البشر والطبيعة . . . علاقة تربط الفرد إلى العالم دون أن تحو فرديته . هذه العلاقة التي تتمثل مطالعها الأولى في رابطة حب وعمل مثمر . . . هذه الطريقة هي التي تتواشج مع عناصر تكامل الشخصية الكلية للفرد وقوتها . ولكيلا تحبط هذه الطريقة يجب التنبيه إلى شيء مهم . إذا كانت كل خطوة من خطوات عملية الانفصال والتفرد تقابل Matched بنمو مماثل في نمو النفس . . . فإن تطور الطفل سيكون متناغماً في وجوهه كلها . ولكن هذا لا يقع دائماً . فبينما تقع عملية التفرد Individuation بصورة آلية . . . فإن نمو النفس يتعثر لأسباب فردية أخرى اجتماعية .

الفجوة التي تقع بين هاتين العمليتين . . . التفرد . . . ونمو النفس . . .

ستتمخض عن حالة مبهظة من الانعزال والعجز وهذه الحالة تقود بدورها إلى ميكانيزمات عصابية Psychic Mechanisms يمكن وصفها بـ (ميكانيزمات الهرب Mechanisms of Escape كما يقول فروم . . . وهذا من صنع الكبار بالصغار. الطفل يولد تواقاً إلى الحرية . . . والكبار من حوله - إن لم يؤتوا الحكمة - هم الذين يدفعونه إلى الهرب من الحرية. وغالباً ما تكون لهم طرائقهم المباشرة أو الملتوية في هذا المجال. لنقف عند بعض هذه الأفانين المستعملة لقتل تلقائية الطفل في فهم العالم والتناغم معه بحرية.

اغتيال الحرية في الطفل

يتغنى الكبار دائماً بحق الصغار في التعبير. ولكن حق التعبير عن الرأي يكون ذا معنى إذا كان هناك رأي خاص بالأطفال يستطيعون التعبير عنه. وهذه مسألة غير مضمونة دائماً ولا غالباً.

الأطفال كثيراً ما يزقون أفكار الآخرين فإذا استدخلوها ظنوها أفكارهم الخاصة . . . وهذا هو المراد بتزييف الشعور الإنساني . . . فما قيمة التغني بحرية التعبير عن الرأي؟ إن الحرية من القيد أو القيود الخارجية يمكن أن تكون مكتسبات حقيقية في حالة واحدة فقط هي أن تكون أوضاعنا النفسية الداخلية حرة بحيث نستطيع أن نؤسس فرديتنا. ولكن هذا ليس هو الحال دائماً. فهناك مواحق لعملية التأسيس هذه . . . وفي مقدمتها الأوضاع الاقتصادية التي تؤدي بالفرد إلى مزيد من العزلة والشعور بالعجز والتراجع . . . وهذا كله يقود إما إلى نوع من الهرب إلى النظم السلطوية والخضوع لها (كما هو الحال في سيطرة بعض الأنظمة على تجارة الأطعمة واستغلالها سياسياً) أو في حالات أخرى تقود إلى التوافق القسري Compulsive Comformity وبموجب هذا النوع من التوافق يتحول الإنسان إلى كائن آلي يفقد روحه . . . ومع هذا يتوهم ذاته كائناً حراً ممارساً لإرادته هو.

التربية وقمع الذاتية الفردية - ثلاثة أساليب

إن قمع المشاعر التلقائية ومن ثم تعويق نمو الفردية الأصيلة يبدأان في وقت مبكر جداً... في المراحل الأولى من تربية الطفل أو تدريبه على ضرورات التكيف الاجتماعي.

لقد كشفت بعض الدراسات على سلوك الأطفال من عمر ٣ سنوات في رياض الأطفال. ومن خلال استعمال اختبار الرورشاك Rorschach كشفت هذه الدراسات عن وجود صراع مبكر بين مشاعر الأطفال التلقائية وسلطة الكبار (أنا هارتوك وآخرون - ١٩٤١). إن هذا لا يعني بطبيعة الحال أن التربية أو التدريب يقضيان بالضرورة على النوازع العفوية والتلقائية عند الطفل.

إن التربية يمكن أن تمنع هذا كله إذا كانت تهدف إلى تعزيز وتوسعة مساحة الاستقلال الداخلي والتوجه المستقل عند الطفل وبهذا تكفل نموه السوي ووحدة شخصيته. ولكن الواقع الثقافي الذي يحيط بالطفل يميل في الغالب إلى إلغاء التلقائية العفوية في الطفل ويميل إلى التعويض عن الأفعال النفسية الأصيلة بمشاعر وأفكار ورغبات مقبولة من الآخرين. ويتخوف البعض من مصطلح المشاعر الأصيلة أو يتطيرون منها باعتبارها شيئاً يقع خارج المستراكم من التجارب الموروثة... وليس الأمر بذلك. فما المراد بالمشاعر الأصيلة؟ ليس المراد هنا أن تكون الفكرة الأصيلة تولد في عقل الطفل لأول مرة وأنها لم تجرب من قبل إنسان آخر.

المراد أن الفكرة تنبع من الفرد نفسه وأنها تأتي نتيجة فعاليته الخاصة... اختياره الخاص... وبهذا تكون الفكرة فكرته هو.

التخوف من هذه الخصوصية يجعل الكبار يسقطون في مأثمة قتل احتمالات الفكر المستقل عند الأطفال... أي قتل العفوية والتلقائية فيهم. وللكبار أساليبهم الخاصة في عملية القتل هذه...

١ - أحد أساليب قتل العفوية في الطفل... تحقير العواطف الإنسانية...

والتأكيد على العقلانية . . . على حين أن العواطف الإنسانية هي جزء طبيعي من الوجود الإنساني .

إن كبت العواطف يؤدي في النهاية إلى السلوك المزدوج . . . سلوك يقوم على التنصل الظاهري من العواطف والتظاهر بعقلانية مرائية . . . ولكن هذه العقلانية المرائية تظل محكومة بصورة من الصور بالعاطفة المكبوتة التي تعبر عن ذاتها في مراحل لاحقة . خذوا مثلاً ظاهرة التسري أو اتخاذ العشيقات فالزوجة الشرعية هي تجسيد للمسلك الاجتماعي فهي مستودع الحب الحقيقي . . . العاطفة . . . هذا إذا لم ينحرف الرجل إلى حب الغلمان .

٢ - قتل الفكر الأصيل عند الطفل

وكما يقع للعاطفة الأصيلة يقع للفكر من اغتيال وللمؤسسة التربوية أساليب مراوغة كثيرة في هذا المجال .

منذ البداية تتجه التربية إلى تشييط الطفل عن أن يفكر لنفسه لكي تزقه الأفكار الجاهزة . . . وليس في هذا عسر بالغ . أن رؤوس الأطفال تكون مواراة بحب الاستطلاع حول العالم وعلاقتهم به لأنهم يريدون أن يكتشفوه ويملكوا ناصيته مادياً وعقلياً . انهم يريدون أن يعرفوا . . . أن يعرفوا الحقيقة لأن ذلك هو السبيل الأكثر أمناً وضماناً للوجود في عالم غريب وقوي يحيط بهم .

وبدلاً من أن تلبى نوازعهم هذه فإنهم لا يحملون على محمل الجد . . . إنهم يواجهون بالازدراء أو السخرية في أفكارهم أو بالتجاهل المراوغ . . . إن من بعض شروء هذه الطريقة في التعامل مع الأطفال أنها تزرع فيهم الاحساس بالخيانة عندما يكبرون ويكتشفون أن المدرسة علمتهم ما ينفيه العالم أو يكذبه الواقع . . . بماذا تجيب الأم طفلها الأول حين يسألها من أين جاء أو كيف تكون الطفل الثاني الذي ما يزال في بطنها؟ هذا مثل واحد . وهناك أمثلة أكثر تعقيداً .

٣ - ومن الأفانين المتعبة تربوياً في قتل الفكر الأصيل في الطفل النماذج

التالية :

أ - التأكيد على معرفة الحقائق المنعزلة أو المعلومات المتفرقة التي لا تعطي تفسيراً لظواهر الحياة . وهذا ما يسميه علم النفس (الوهم المرضي Pathetic Superstition) .

إن معرفة المزيد من المعلومات لا يؤدي بالضرورة إلى معرفة حقائق الأشياء ما لم تبرز الوحدة الداخلية بين جزئيات المعرفة لتعطي تفسيراً واحداً لحدوثات العالم .

إننا عندما نضحّ في عقل الطفل مئات بل آلافاً من المعلومات غير المترابطة فإننا نستنزف وقته وطاقاته في جهد آلي لا يترك له فرصة للتفكير . طبعاً أن التفكير بمعزل عن المعلومات (الحقائق) يظل خاوياً . ولكن من الناحية الأخرى إن المعلومات المجزأة وحدها تكون مانعاً في التفكير الصحيح . إن هذه (التجزئية) في التعامل مع الحقيقة هي أخطر أساليب رمي (الإرادة) والقدرة على التفكير بالشلل عند الأطفال لأنها تدمر كل نوع من أنواع حيازة الصور المركبة عن العالم في ذهن الفرد .

إن الحقائق تكتسب قيمتها من كونها أجزاء في كل مركب فإذا فصلت عن هذا الكل المركب فإنها تفقد قوتها على (الفاعل) في عقل الفرد من أجل استيعاب العالم كلاً . عندئذٍ تصبح كل حقيقة مجرد معلومة لا يربطها رابط ببقية الحقائق وهذا ما تبرّع فيه الكتب المدرسية الآن كما تبرّع فيه وسائل الإعلام .

إن تقديم خبر في التلفاز مثلاً عن مجزة في مخيم للاجئين الفلسطينيين وخبر آخر عن مقتل زنوج يطلبون التحرر في جنوب أفريقيا دون الربط بينهما ودون بيان أن الاستغلال هو مصدر الظلم . . . وهو واحد هنا وهناك ، هذه التجزئة تجعل المعرفة مصطنعة وتزيف الوعي .

ب - من أساليب قتل الفكر الأصيل عند الطفل . . . أسلوب تضبيب To Befog المسائل المطروحة على عقل الطفل . أحد أساليب التضبيب هذه هو التأكيد للطفل أن المشاكل الاجتماعية هي فوق مستوى إدراكه الآن وهي أكثر تعقيداً من

أن يدركها وعليه أن ينتظر حتى يبلغ مستوى إدراكها . يقع هذا في وقت تكون فيه تلك المشاكل بسيطة جداً بحيث يستطيع كل إنسان أن يفهمها .

إن أسلوب التعجيز هذا غالباً ما ينتج عنه واحد من نوعين من السلوك . . . الأول هو حالة من السخرية والشك في كل شيء مقول أو مطبوع . . . الشك في جدوى كل ما يعلم له . ومحصلة هذا النوع من السلوك الاستعلاء على التفكير الناقد تغطية للعجز عنه .

أما السلوك الآخر فهو العجز عن اتخاذ القرارات وترك ذلك إلى الآخرين . . . أي التنازل عن ممارسة الإرادة .

ج - تزييف الإرادة

إن ما قيل عن غياب الأصالة في الفكر والعاطفة يمكن تمديده إلى مجال الإرادة . . . إن النزعة الاستهلاكية نموذج فعال هنا .

إن الناس يدخلون في سباق مع بعضهم ومع أنفسهم أحياناً من أجل الاستكثار من المقتنيات المادية ويقلدهم الصغار في ذلك فيتبنون قيم الكبار دون أن يتساءلوا في مدى حاجتهم إلى ما يستكثرون منه . وتلعب وسائل الإعلان التجاري المتلفز دوراً بعيد الغور في خلق أوهام استهلاكية عند الأفراد . فالرجال العطاء لا يشربون إلا القهوة الفلانية والنساء اللامعات يستعملن العطر الفلاني ورجل الأعمال الناجح يخلق بشفرات كذا . . . ويظن الرجل العادي والمرأة العادية أنهما سيصبحان من العطاء إذا شربا القهوة الفلانية أو تعطرا بالعطر الفلاني كما تظن السيدة المتقدمة في السن أن استعمال أزياء الموسم تعيدها إلى صفوف الشابات الأنيقات .

الوهم المرضي

إنهم يريدون ما لا يريدونه حقاً . . . وإنما هم يريدون ما يعرض لهم بإرادة الآخرين فيتبنون على أنه إرادتهم الخاصة . . . بينما هم مسلوبو الإرادة . وهذا ما تفعله المدارس أيضاً . . . انظروا إلى ما نعلمه للأطفال من

الأناشيد والشعارات عبر العالم العربي كله وأنتم ترون عملاً منظماً في سلب الإرادة من الطفل ودفعه إلى الاقتناع بما لو ترك حراً لما اقتنع به . رأيتم كيف تحاصر إنسانية الطفل فرداً كان أم كياناً شخصياً؟^(١٥)

الآخرون هم الجحيم

كم من الصدق هناك في أننا نربي الأطفال لبلوغ ذواتهم وتحقيق وجودهم الكامل؟

ألسنا في كل هذه الأفانين الملتوية ندمر في كل يوم إمكانيات التفتح الحر المبدع لذوات الأطفال من خلال ما نحسبه تربية مثلى؟
ليوبوسكاجليا يصور عملية التدمير هذه بعفويتها وقصورها تصويراً جميلاً في كتابه (الشخصانية Personhood) .

« . . . إننا نعيش بين أفراد هم أنفسهم في حالة من الصيرورة ولذا فهم يضعوننا في حالة مستمرة من التكيف وإعادة التكيف . إننا نجد من حولنا آباء وأمّهات . . . أصدقاء ومحبين يحاولون أن يشدوا وثاقنا وأن يشوهونا لنكون على الشاكلة التي يريدون من أجل راحتهم وهنائهم . وهم يفعلون ذلك باسم الحب . إننا سوف نكتشف مجتمعاً يقسرننا على التوافق معه إلى درجة التطابق ويحاول أن يعصرنا في قالب ضيق من قوالبه . إننا سوف ندرك أن التربية في أغلب الأحيان تضخ فينا معارف لا معنى لها عندنا . . . تعلمنا ما ينبغي تعلمه ولكنها لا تعلمنا كيف نستعمل المعارف التي نتعلمها .

إننا سوف نكون واعين لمؤسسات تحاول أن تغسل أدمغتنا تملأنا بمشاعر الخوف والذنب والعار . . . فلا عجب إذن أننا نصرح بعجز كامل باستحالة تحقيق ذواتنا لأن (هم) لا يأذنون لنا بذلك . ومن ههنا يتضح لنا لماذا يصرخ جان بول سارتر في رائعته القصيرة (لا مخرج No Exit) يصرخ بصوت عال . . . الجحيم هم الآخرون»^(١٦) .

مراجع البحث

- (1) Peter A. Angeles
Dictionary of Philosophy - P. 131.
1981 - New York.
- (2) القاموس المحيط، ج ٢ ص ٣٠٦، دار الفكر - بيروت - بلا تاريخ .
- (3) الزمخشري - أساس البلاغة - ص ٣٢٣، دار بيروت للطباعة والنشر -
بيروت ١٩٦٥ .
- (4) James Drever,
A Dictionary of Psychology,
P.208, Penguin, Books,1967.
- (5) Dictionary of Psychology, Op. Cit., P. 36
- (6) Stagner, R., Psychology of Personality,
Second Edition, PP 241-256
Mcgraw-Hill Book Company, New York, 1984.
- (7) Stagner ... Ibid P. 244
- (8) Stagner ... Ibid P.250-51.
- (9) Stagner ... Ibid P.261.
- (10) Erich Fromm,
Escape from Freedom, P. 39,
Avon Books, 1961.
- (11) Ibid, P. 39-40.
- (12) Ibid, P. 41.
- (13) Ibid, P.P. 44-46.
- (14) Ibid P. 267.
- (15) لتتبع هذه الطرائق وغيرها في قتل شخصية الطفل وتشويه رؤيته عن
العالم وعن نفسه راجع أريك فروم Escape from Freedom مرجع سابق

ص. ٢٦٧-٢٨٠ وهو ما اعتمدنا عليه في النماذج التالية استكمالاً لنظرية فروم في مشوهات عملية التشخيص عند الطفل .

(16) Buscaglia, L.A., Personhood, P.16,
Fawcet Columbine, New York,
1978.

الحوار

الدكتور حسن الإبراهيم :

لا شك أن هذا الموضوع الذي افتتحنا به ملتقانا العلمي الرابع هو موضوع شائك وليس هناك - في علمي - دراسات متوفرة لا في الكويت فقط ولكن كذلك في العالم العربي ككل لمعرفة مدى تأثير المجتمع والبيئة على شخصية الطفل العربي . وهناك محاولات قليلة بدأت قبل عدة سنوات وأعتقد أن الدكتور هشام شرابي بدأها وذلك لدراسة الخلفية البرجوازية للعائلة العربية وحاول أن يتقصى فيها سمات الشخصية للفرد العربي من خلال تربيته العائلية ومعاملة المجتمع له في مقتبل عمره . كما أود أن ابين أن هذا الموضوع يحتاج إلى ملتقى علمي كامل . وقد وضعتنا ندوة هذا المساء على بداية الطريق إلى تفهم هذه القضية الشائكة . والآن أدعو الحضور للتفضل بابتداء ملاحظاتهم واسهاماتهم .

الدكتور عبدالله عبد الدايم :

هذه محاضرات لا محاضرة وموضوعات عدة لقد طافت بنا بين موضوعات عديدة وكلنا يعلم أن الدراسات النفسية التي طرقت موضوع الشخصية تعد بالئات بل بالألوف وأن الدراسات النفسية التي تعرضت إلى تكوّن نفسية الطفل وشخصيته والعوامل المكونة لهذه الشخصية والصلة بين شخصيته العضوية وشخصيته الاجتماعية والذاتية ، هذه الدراسات أكثر من أن تحصى والذي أدركته لكي ييسط الأمر بعض الشيء ، هو أن المتحدث يريد أن يبين كيف يمكن أن يكون

الطفل الكائن الفردي في البداية كائناً يحقق ذاته ويحقق وجوده ، كائناً يكون من هو، كيف نستطيع أن نصل بالطفل إلى أن يكون من هو أي أن يحقق ذاته بكاملها أي بتعبير آخر الطفل يولد ولديه استعداد أو امتلاك لأنواع ثلاثة من الطباع :

- ١ - الطبيعة الغريزية التي يشترك فيها مع الحيوان .
- ٢ - الطبيعة الاجتماعية التي يشترك فيها مع أقرانه وأبناء جنسه .
- ٣ - الطبيعة الإنسانية .

هدف أي تكوين صحيح أن يتغلب الطفل بفضل الطبيعة الاجتماعية بفضل انخراطه بمجتمعه وانغماسه في بيئة مجتمعه أن يتغلب على طبيعته الغريزية . . . أن يتمثل القيم الاجتماعية المختلفة التي تكونت عبر التاريخ وبذلك يرتقي في مصاف الإنسانية . ولكن - وهنا تقوى المشكلة وتقوى مهمة التربية الحقيقية والعميقة - لا يكفي أن ينتقل الطفل من الطبيعة الغريزية إلى الطبيعة الاجتماعية التي تنقل إليه تراث الأجيال والإنسانية والثقافية عبر مجتمعه بل لا بد له أن يرقى إلى مستوى آخر هو المستوى الذي يحقق الشخصية، مستوى الارتباط والاتصال بالقيم الإنسانية الحقة التي تملو حتى فوق المجتمع لا لتكون ضده ولكن لتلقى عليه نظرة نافذة نظرة موجبة وليكون هناك تفاعل بين المجتمع وبين عطاء الأفراد لهذا المجتمع بحيث يستطيع عطاؤهم هذا أن يرقى بهم ويرقى بمجتمعهم بالتالي ، هذا المستوى الثالث المستوى الإنساني مستوى الارتباط بالقيم الإنسانية الكبرى القيم الإنسانية السامية التي هي فوق المجتمع والتي تطور المجتمعات وتطورها نحو الأفضل . . . هذا المستوى هو الذي ينبغي أن تصبح له جهود في تكوين شخصية الطفل - هذا ما ادركه من الحديث عن الشخصية . وتبقى هناك صعوبات ومشكلات يطرحها البحث فيما يتصل بتكوين الشخصية ودور المجتمع في تكوينها ولا ننسى الدراسات النفسية العديدة وعلى رأسها دراسات مدرسة التحليل النفسي التي تبين أن الشخصية بمعنى المواقف الأساسية التي يقفها الإنسان من الأشياء ومن العالم، نظرته الخاصة للأشياء وللعالم، الشخصية المتفردة بهذا المعنى هي الشخصية الفذة التي تتكون منذ نعومة الاظفار.

والاتجاهات الأساسية والمواقف الأساسية في الشخصية التي تظل ثابتة إلى حد بعيد تتكون منذ نعومة الاظفار. ومن هنا تأتي أهمية السنوات الأولى لحياة الطفل. وإذا لم نرد أن نذهب إلى حد القول مع أصحاب التحليل النفسي بأن المراهقة طبعة ثانية عن مرحلة الطفولة وبأن مرحلة الرشد بالتالي طبعة ثالثة وأن الإنسان في نهاية الأمر يتكون من خلال علاقته بشكل خاص بذلك المثلث الذي هو الأب والأم والطفل ثم عن طريق علاقته بأقرانه ثم بالمجتمع الكبير، إذا لم نرد أن نذهب إلى هذا الحد فلا شك أننا نقر بأن للسنوات الأولى- إن لم نقل خمس السنوات أو ست السنوات الأولى، فعلى أقل تقدير السنوات الأولى المبكرة من العمر- دوراً أساسياً في تكوين الشخصية ومن هنا تأتي مسؤولية التربية ومسئولية المربين.

هناك مشكلات تتعلق بالمجتمع لا بد من الإشارة إليها. هناك مجتمعات مغلقة ومجتمعات مفتوحة فالمجتمعات المغلقة لا تساعد على تفتح شخصية الطفل والمفتوحة على العكس تسمح له بالانطلاق والتفتح. وعلى العموم فإن موضوع الندوة شيق وذو شجون وجدير بالاهتمام ويمكن أن يكون أبا لموضوعات تولد منه فهو يحتاج إلى موضوعات تفصل مجمله وتبين كثيراً من جوانبه وتحدث عن تكون الشخصية وتحدث بشكل أدق عن الجوانب المختلفة للشخصية فقد كانت هناك جرأة ومخاطرة من الدكتور جواد في أن يتصدى في هذا الوقت الضيق لموضوع واسع الأبعاد وكهذا يتطلب التدقيق في النظريات المختلفة للشخصية ونظريات الشخصية الفلسفية الشخصية والتدقيق في معاني الشخصية والتفصيل في تصنيف الطباع النفسية والموضوع يصلح لدراسات أخرى وأبحاث أخرى.

الأستاذ عبد الرزاق البصير:

أحب أن أشير إلى نقطة جوهرية. الجيل الحاضر هو أسعد حظاً من جيلنا لأن الجيل الحاضر تحتضن المدرسة منذ بلوغه الثالثة أو الرابعة من العمر وليس من شك أن هذا الأسلوب من التربية يشكل شخصية الطفل ويكون لديه ثقافة وتربية لأن هذه المدارس ابتداء من الروضة أو الحضانة لم توضع اعتباراً ولكن بعد

دراسات . لقد تكونت لديّ بعض الملاحظات من عدة محاضرات بأن الطفل في هذه الأيام يحظى بسعادة لم يحظ بها الجيل الماضي حتى قبل حوالي ٣٠ سنة . واعتقد أن الطفل العربي مهما قلنا بأن هناك تقصيراً في حقه فإن الأطفال الذين يعيشون هذه الأيام ستكون شخصيتهم غير الشخصية التي عاشها الأطفال قبل ٣٠ سنة . ولا سيما في هذه المنطقة لأنها لم تكن تشهد الرياض أو دور الحضانة بل حتى الدراسة في المدرسة الابتدائية أو جميع المراحل . فجيل المستقبل أفضل بكثير من جيل الماضي ولا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه الدعوى لأنها ستفتح باباً واسعاً لا أريد الخوض فيه ولكن أتمنى أن تكون هذه التربية تربية علمية خالصة . إن التربية الحديثة التي نغبط عليها أطفالنا مشوبة بأمور تعوق هذه التربية التي كنا نتمنى أن تكون خالصة من هذه الشوائب وفي واقع الأمر فإن على علماء التربية المهتمين بهذه القضايا وعلى الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية وأمثالها بحث هذه الأمور التي تكون الأسلوب العلمي المأمول لتربية أطفالنا لاعانتهم على مواجهة العالم بعقول مفتوحة وفكر إيجابي .

الدكتور سعد عبد الرحمن :

كعادة الدكتور جواد إذا تكلم فهو لا يعلم ولكن يثير ويقدم الكثير من القضايا التي يشجع المستمع أن يدخل معه في نقاش وحوار حولها . ابتداءً أتفق مع ملاحظة الدكتور عبد الدايم بأن هذا الموضوع هو أب لموضوعات عديدة يمكن أن تتفرع منه . ولكن لي ملاحظات فيما جاء عن موضوع تكوين الشخصية والآراء التي استشهد بها الدكتور جواد (مجموعة آراء ستاجنر) والتي جمعها من مصادر متعددة ولكن هناك كما يعلم د . جواد بعض الآراء أكثر حداثة وأكثر قبولاً للدراسات الميدانية وخصوصاً آراء جلفورد وآيزنك في الخمسينات والستينات وراخن في السبعينات والثمانينات لقد تكلم هؤلاء الباحثون في كيفية تكوين الشخصية سواء منذ الميلاد أو بعدها بقليل كان يكفي في الجزء الأول الذي قدمنا للشخصية والآراء التي طرحت حول صورة الذات كيف تنمو عند الطفل؟ والحقيقة أن هذا الموضوع هو الشغل الشاغل حالياً والذي يجب أن تبقى

الدراسات في الطفولة بالذات مركزة عليه عند الطفل . الطفل ما هي صورته عند نفسه؟ هل تحوي صورته عن نفسه المكونات الرئيسية . الذات الواقعية وليس الحقيقة لأنه ليس هناك شيء حقيقي . هل الذات الواقعية فيها الذات المثالية ذات القدوة؟ تعريف ايزنك للشخصية يوضح تماماً ما ذهب إليه د . جواد في محاولته عرض مجموعة من آراء استانجر، يقول إن الشخصية هي نتاج تفاعل أربعة قطاعات مختلفة في نفس الإنسان تحددها الفطرة والوراثة والبيئة . والفطرة مثل بصمات الأصابع فيها نواح شخصية جبل عليها الفرد وهي تخصه وحده، والوراثة هي ما ورثه عن أبيه وأمه وجده . . الخ وفيما اكتسبه عن البيئة المحيطة به في هذه القطاعات الأربعة :

١ - القطاع العاطفي أو الانفعالي .

٢ - القطاع الاجتماعي أو السلوكي .

٣ - القطاع الفسيولوجي .

٤ - القطاع الاندوكرين ونشاط الغدد الصماء في جسم الإنسان .

ونأتي إلى الكيمياء العضوية الداخلة في جسم الإنسان وهي تقديم للمدرسة الحديثة حالياً وهي الكيمياء الحيوية الكهربائية في المخ والجهاز العصبي في الإنسان وأحب أن أذكر من ضمن الأشياء الطريفة أنه في بعض المعتقلات وعند اعتقال بعض الأشخاص يلبسونهم ملابس خاصة لها رائحة خاصة تغري الكلاب بالهجوم عليهم وهذه الملابس عليها مادة الادريالين وهذه المادة تدل على خوف الإنسان من الكلاب؟ لذلك نجد أن هناك كلاباً تهاجم بعض الأشخاص ولا تهاجم البعض الآخر وذلك يعود لإفراز الجسم لهذه المادة لذلك يلبسونهم ملابس خاصة بهذه المادة لتهاجمهم الكلاب . وأود لو تعرض د . جواد للغدة النخامية والتي هي ثيروموستات الجسم كله .

نتكلم عن دوافع الخير، الدوافع الفطرية والدوافع اللاشعورية والدوافع المكتسبة والدوافع الوسيطة أو الدوافع المستعرضة . التسامي فقط يجذبني بحكم التخصص القديم . أن كلمة التسامي Sublimation مستعارة من الكيمياء لأنه

توجد مواد تتحول من الحالة الصلبة إلى الحالة الغازية مرة واحدة ولا تمر بمرحلة السيولة . التسامي بالغريزة أو بالدافع هو انتقال من مرحلة الإلحاح إلى مرحلة الاتزان مباشرة بدون المرور بالاشباع . وحيث أن الدافع له ثلاث مراحل مرحلة الإلحاح و اشباع واتزان كدافع الجوع وقت الصيام الذي يرتفع بالإنسان من الإلحاح إلى الاتزان دون أن يأكل . وكذلك دوافع الجنس عند الشباب في البلاد المسلمة أو البلاد التي عندها تقاليد لاشباع هذا الدافع . فيما يتعلق بالقدرة . . . إن الطفل لا يولد وعنده القدرة ولكن عنده استعداد والاستعداد يتحول إلى قدرة . استعداده للمشي يتحول إلى القدرة على المشي والقدرة تتحول إلى مهارة كالمهارة في الجري ، والمهارة تتحول إلى موهبة كما في تعلم المشي على الحبل في سيرك بهذا يصبح اللاعب ممن يشار إليهم في هذا العالم .

النقطة الأخيرة نحن نتعلم في المدرسة الابتدائية أشياء تنسى وفي المتوسطة أشياء تنسى وفي الجامعة كذلك . لماذا؟ لأن التربية لم تساعد الطفل على عملية واحدة فقط هي استدخال المعرفة - كيف تدمج مع استعداده مع قدراته كيف تستدخل هذه المعرفة وتظل ثابتة، لأن هناك بعض المهارات وبعض المعارف استدخلها الطفل من الأب ومن الأم ومن السلطة وما زال يحفظها، لماذا، لأنه استدخلها .

الدكتور عبدالله الدنان :

لا أدري لماذا ننقل دراساتنا كلها عن البيئة الغربية، وحتى الآن لم تقم دراسات عربية أصيلة في مجتمعاتنا لتعبر عما يدور في مجتمعاتنا ويحضرني في هذا المجال في محاولة تربية الشخصية العربية مثال على ذلك والد (التقيت به) كان يتحدث بمرارة كان يقول إنه نادم جداً لأنه ربي أولاده على الصدق والشرف لأن الصدق والشرف أوصلاهم إلى السجون وكان يتمنى لو رباهم على النفاق إذن لوصلوا إلى المراكز الرفيعة في المجتمع وكانوا منسجمين مع المجتمع .

الطفل غير العادي في الخليج العربي

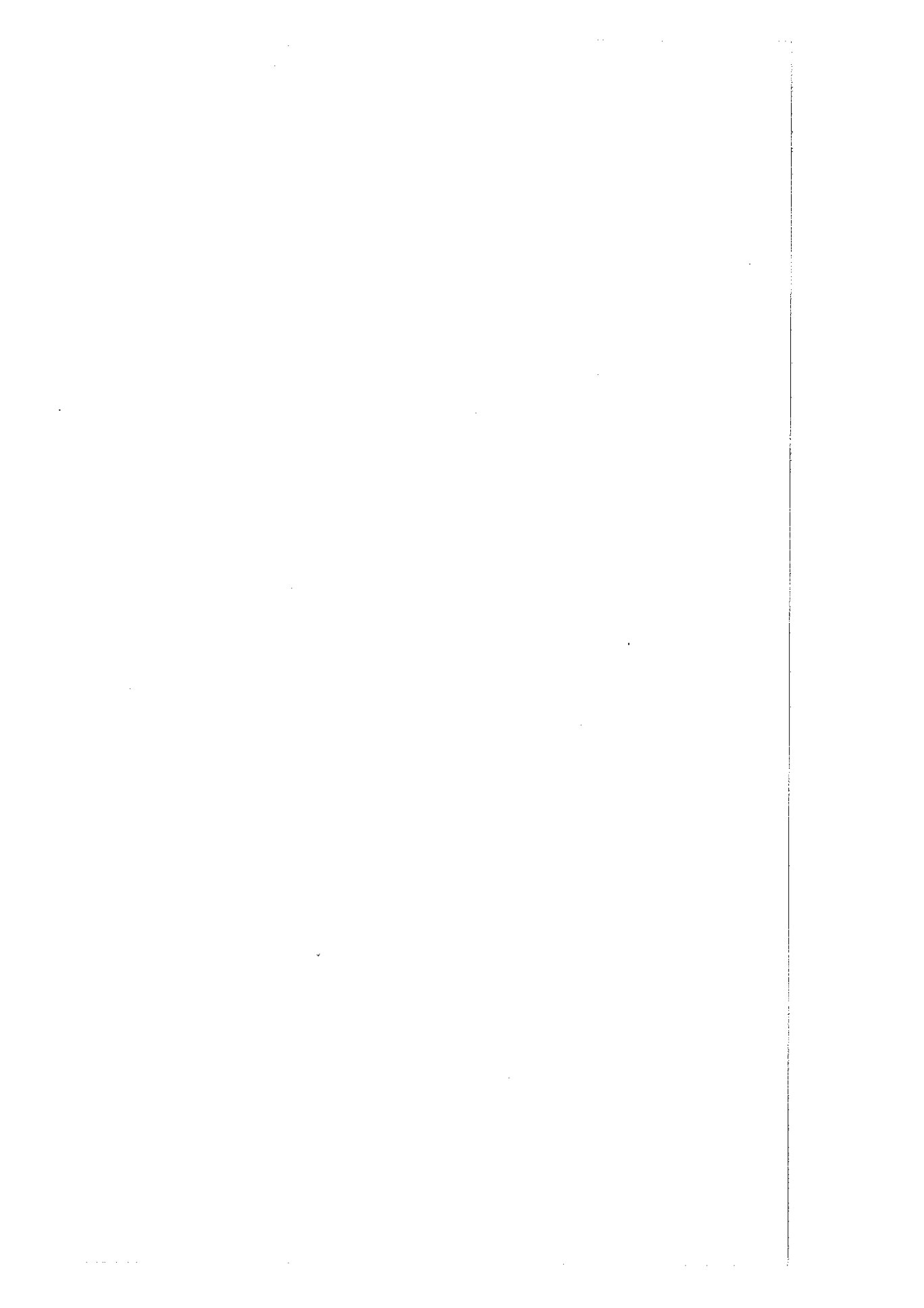
الدكتور أحمد عبد الله
هاشم تقي
منيرة المطوع

الندوة الثانية

عنوان الندوة	: الطفل غير العادي في الخليج العربي .
تاريخ الندوة	: ١٩٨٦/١٢/٢٩ .
رئيس الندوة	: د . قاسم الصراف .
المتحدث الرئيسي الأول	: د . أحمد عبد الله - جامعة الكويت .
المتحدث الرئيسي الثاني	: الأستاذ هاشم تقي - رئيس جمعية رعاية المعوقين الكويتية .
المعقبة	: السيدة منيرة المطوع - جمعية المعوقين .

المشاركون :

- ١ - د . محمد جواد رضا - جامعة الكويت .
- ٢ - د . بدر العمر - جامعة الكويت .
- ٣ - د . عبد الله عبد الدايم خير أقدم في وزارة التربية الكويتية .
- ٤ - د . كافية رمضان - جامعة الكويت .
- ٥ - د . محمود بستان - جامعة الكويت .
- ٦ - د . محمد عودة - جامعة الكويت .
- ٧ - د . عبد الله الدنان - جامعة الكويت .
- ٨ - د . جورج طعمة - جامعة الكويت .
- ٩ - د . يعقوب الحجري - جامعة الكويت .
- ١٠ - د . أحمد البستان - جامعة الكويت .



الطفل غير العادي

من هو وما هي شروط التعامل معه؟

الدكتور/ حمد عبد الله

على الرغم من بعض الاختلافات بين المتخصصين في مجال التربية الخاصة في تعريف الطفل غير العادي إلا أنه يمكن القول بأن الطفل غير العادي «هو الطفل الذي ينحرف عن الطفل العادي أو الطفل المتوسط في الخصائص العقلية، أو القدرات الحسية، أو الخصائص الجسمية أو العصبية الحركية أو السلوك الاجتماعي أو في قدرات التواصل أو في جوانب القصور أو الإعاقات المتعددة. مثل هذا الانحراف يجب أن يكون بدرجة بحيث يحتاج فيها الطفل إلى تعديل في الخبرات التعليمية أو إلى خدمات تعليمية خاصة لتحقيق الحد الأقصى من النمو» (كيرك، جالاجر ١٩٧٩).

فالطفل غير العادي بناء على هذا التعريف إذن يمكن أن يكون:

- ١ - الطفل المتفوق عقلياً.
- ٢ - الطفل الذي يعاني من صعوبات في التعلم.
- ٣ - الطفل الذي يواجه مشكلات في اللغة والنطق.
- ٤ - الطفل المعاق سمعياً.
- ٥ - الطفل المعاق بصرياً.
- ٦ - الطفل المضطرب انفعالياً.
- ٧ - الطفل المصاب بالعجز الجسدي.

٨ - الطفل المحروم ثقافياً .

٩ - الطفل المتخلف عقلياً .

نلاحظ أن هذا التعريف يتسم بالعمومية بعض الشيء أي أنه ليس بالتعريف الجامع المانع . . . ولكن الأهم من ذلك هو أن هذا التعريف يشير بعض التساؤلات فمثلاً التعريف يذكر بأن الطفل غير العادي هو الذي ينحرف عن العادي أو المتوسط . . . فمن هو هذا الطفل العادي أو المتوسط يا ترى؟ هل هناك معايير محددة للطفل العادي دائماً؟ ألا يخضع ذلك لمعايير وقيم المجتمع؟ وعلى افتراض بأننا استطعنا أن نحدد من هو الطفل العادي فما هي الدرجة التي يجب أن ينحرف عنها الطفل لكي يعرف بأنه غير عادي . . . إن هذه التساؤلات تطرح قضية فلسفية جدلية تتعلق بنظرتنا النسبية إلى الطفل المعاق وتتعلق باتجاهاتنا نحو هذا الطفل صحيح أن الإعاقة موجودة وطبيعي أن الأفراد يختلفون ولكن نظرتنا أو إدراكنا واتجاهاتنا لهذه الاختلافات هي التي تحدد إطار مشكلة المعاق وهي التي تحدد مدى المعاناة التي يمكن أن يتعرض لها الطفل المعاق وهي التي تحدد مدى تكيف الطفل في حياته وكذلك فرص نموه . . . فعلى سبيل المثال عندما يعيش طفل متخلف عقلياً مثلاً في مجتمع زراعي بسيط فإن هذه الإعاقة سوف لا تكون بارزة كما أن هذا الطفل قد يستطيع التكيف إلى حد كبير وقد لا يشعر بالضغوط الاجتماعية والنفسية التي تعوقه عن التكيف . . . ولكن هذا الطفل نفسه قد يجد صعوبة في الحياة والتكيف لو انتقل إلى مجتمع حديث متقدم . فالإعاقة أو العاهة سوف تكون بارزة وسوف تختلف ردود أفعال الناس لها . . . فالإعاقة إذن أمر نسبي يخضع للقيم والأفكار التي يحملها المجتمع . وفي ذلك يقول البعض بأن الإعاقة مصنوعة وليست مخلوقة . هذه المقولة قد تتصف بشيء من المبالغة ولكن يمكن أن نجيز لأنفسنا القول بأن الإعاقة تعتبر جزءاً من المشكلة والجزء الآخر هو نحن . . . هو اتجاهاتنا أو هو المجتمع .

ولعل تجربة الكائن الأم (بيرل بك) تعتبر نموذجاً جيداً يعبر عن هذه الحقيقة المرة . . . فالكاتبة في كتابها (الطفل الذي لم ينم أبداً) تذكرنا بأن طفلتها

ولدت متخلفة تخلفاً عقلياً شديداً وقد عاشت في الصين دون أن ينظر إليها بأنها متخلفة وقد تقبل الصينيون العاهة بشكل طبيعي وكانت الطفلة تعامل معاملة عادية لا يشوبها التحفظ أو السلبية. وتذكر الأم بأن (العاهة لم تميز وتوصم الطفلة بها إلا بعد رجوعها إلى المجتمع الغربي ولم تقف المشكلة عند (ظهور) العاهة ومعاملة الطفلة بناء عليها بل أن الأم نفسها بدأت تشعر بعاهة طفلتها وقد تعدى الأمر ذلك إلى تغيير في اتجاه الأم نحو الطفلة وكذلك معاملتها لها

ماذا يعني ذلك يا ترى؟

إن ذلك يعني أن الإعاقة تضخم وتتحول إلى مشكلة لا لأنها كانت مشكلة حادة في الأساس بل لأن اتجاهاتنا هي التي حولتها إلى مشكلة .

فالمجتمع إذن يلعب دوراً حيوياً في إثارة المشكلة وتعميقها . . . هناك دراسة مثيرة في هذا المجال قام بها المركز الطبي في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس UCLA وكان أحد أهداف الدراسة تقدير الوقت الذي يمضي بين ولادة الطفل وإحضاره للأم وقد اكتشف فريق البحث بأن عملية إحضار طفل معاق تأخذ وقتاً أطول من تلك التي تستغرقها عملية إحضار طفل عادي ويبدو أن المرضات لا يرضين بأخذ الطفل المعاق إلى الأم . . . لا أحد يرضى بنقل خبر مزعج في حين أن الأمر يختلف عندما يتعلق الوضع بطفل عادي سليم . . . يجب أن نقر بأن ذلك أمر طبيعي . . . فنحن جميعاً لا نتحمس لنقل الأخبار المؤلمة للآخرين ولكن ألا يعني ذلك أيضاً كيفية إدراكنا ونظرتنا للطفل المعاق من اللحظة الأولى وهي النظرة نفسها التي تلازمنا في تعاملنا مع هذا الطفل بعد ذلك في المجتمع؟ أعتقد ذلك!

زميلاتي . . . زملائي

إذا كنا نطمح في تطوير رعاية وتربية الطفل غير العادي فإن تغيير الاتجاهات نحو هذا الطفل يسير في خط متوازٍ، مع الجوانب الأخرى. حتى الآن ليست لدينا دراسات حول هذا الأمر. هناك جهود كبيرة في مجال خدمة ورعاية المعاقين . . .

ولكن الاتجاه الغالب هو تقديم الخدمات ضمن إطار يغلب عليه طابع الشفقة والإحسان ومع الإقرار بأهمية هذا العامل، عامل الشفقة والإحسان إلا أن خدمة المعاق يجب أن تنطلق من مبدأ حق هذا الطفل في هذه الخدمات وليس كصدقة تقدم له .

لقد تميزت فترة السبعينات والثمانينات بظهور فلسفة جديدة في التربية الخاصة كان من أبرز معالمها رفض بعض المفاهيم الخاطئة والتي كانت سائدة في هذا المجال وكذلك تطوير وسائل التشخيص والتقويم واستخدام معايير جديدة في تشخيص بعض الفئات وقد ساهمت جهود علماء النفس والطب والتربية في الارتقاء بميدان التربية الخاصة في مجالات التشخيص والوقاية والتعلم والتقييم . وقد تبلورت خلال هذه الحقيقة بعض الاتجاهات في حقل تربية الفئات الخاصة وهي تمثل ملامح الفلسفة الجديدة وتشكل محاورها الأساسية وسوف نستعرض بعض هذه الاتجاهات باختصار .

١ - الاتجاه الأول :

التربية المبكرة للطفل غير العادي (المعاق) :

لقد توصل المهتمون بالتربية وعلم النفس إلى قناعة مؤداها أن الطفولة المبكرة أو السنوات الأولى من الطفولة تعتبر ذات أهمية قصوى بالنسبة لنمو الطفل وتكوين شخصيته وهذه الحقيقة قد تكون أكثر حيوية وأهمية بالنسبة للطفل المعاق . والاعتقاد السائد الآن هو أنه عندما يصل الطفل سن المدرسة يكون قد اجتاز مراحل مهمة أو فترة حرجة من فترات التعلم والتي يمكن أن تكون قد فقدت أو أهدرت إذا لم يتم استغلالها .

ويبدو أن أحد العوامل الذي كان وراء عملية الاهتمام بالطفولة المبكرة هو ما أسفرت عنه نتائج التجارب والدراسات التي أجريت على الحيوانات وأشارت نتائج هذه الدراسات إلى وجود ما يسمى بـ (مراحل حرجة - Critical stages) لا بد أن يتعلم فيها الحيوانات أنماطاً معينة من السلوك بحيث إذا لم تيسر البيئة مثل

هذا التعلم في المرحلة المناسبة فإن الحيوان قد لا يتقن ذلك النمط السلوكي وإحدى التجارب التي توضح هذه الظاهرة هي التي أجراها هارلو (١٩٥٩) على القردة، وقد قام هارك بتربية أنواع معينة من القردة في عزلة تامة عن بعضها وعن أي كائن حي آخر. وقد كبر صغار القردة بشكل طبيعي إلا أن سلوكها كان شاذاً بعد ذلك. فقد تبين أنها لم تتفاعل مع بقية القردة حتى للأغراض الجنسية بل أن العدد القليل من أنثى القردة والتي تم تلقيحها تميزت بإهمال أو قتل أطفالها بعد ذلك. إن نتائج هذه التجربة وغيرها من الدراسات في مجال السلوك الحيواني والإنساني مهدت السبيل لقبول فكرة أن هناك فترة حرجة أو فترات حرجة يجب أن تستغل وتتخذ جميع الخطوات الضرورية لتأمين أفضل الأوضاع البيئية لأطفال المرحلة في ضوء الحاجات الضرورية للطفل.

إلا أنه يجدر بالقول أيضاً بأنه يجب أن لا نفرط في التشاؤم عند قبول هذه المقولة بمعنى آخر عندما نركز على أهمية هذه المرحلة فذلك لا يعنى بالضرورة أن فرص التعلم تتلاشى مع تلاشي هذه المرحلة أو زوال هذه الفترة المهمة إذ أن الإنسان يختلف عن الحيوان فلإنسان قابلية غير محددة للتعلم وهو في ذلك يختلف عن الحيوان وما نريد تأكيده هنا هو أهمية استغلال هذه الفترة الحيوية بالقدر الممكن طالما أنها تستطيع أن تزيد من إداء وفاعلية الفرد في السنوات اللاحقة.

وبالنسبة للإنسان فإنه يمكن توضيح مبدأ (الفتحات الحرجة) عندما نأخذ في الاعتبار بعض المهارات التي إن لم تظهر في فترة معينة من النمو فإن تأخر ظهور هذه المهارة بعد ذلك ومعاناة الطفل منها أمر واد كما هو الحال مثلاً مع الصمم الذي لا يكتشف في وقت مبكر لكي تعالج مشكلات النطق التي يتأخر علاجها إلى مرحلة متأخرة ففي مثل هذه الحالات سوف يعاني الطفل كثيراً بعد ذلك ويصبح العلاج المتأخر أمراً بالغ الصعوبة من ناحية أخرى يمكن القول بأن فترة الشهور الثلاثة الأولى من الحمل تعتبر مرحلة حرجة لنمو الطفل العادي نظراً لاحتمال إصابة الأم الحامل بمرض الحصبة الألمانية في هذه الفترة في حين أن الإصابة نفسها لا تحتمل ضرراً للجنين أثناء النصف الثاني من الحمل (عبدالرحيم وبشاي ١٩٨٠).

وللاستدلال على أهمية التربية المبكرة نورد التجربة التي قام بها ريندر (١٩٧٥) لتنمية المهارة الحركية لأطفال يعانون من متلازمة داون (المنغولية) وهي إحدى حالات التخلف العقلي والتي تنتج تكرر الكروموسوم رقم ٢١ ثلاث مرات بدلاً من مرتين ومن المعروف أن أحد مظاهر هذا النوع من التخلف هو التأخر في النمو الحركي . ولكي تنمو أية مهارة حركية فإن هذه الحالة من التخلف تحتاج إلى ضعف المدة الزمنية التي يتطلبها الطفل العادي لتعلم المهارة الحركية نفسها ولأن سبب هذا التخلف يرجع إلى اختلال في عدد الكروموسومات فقد افترض بأن تغيير مظاهر هذا النوع من التخلف أمر مستحيل وأنه ليس هناك ما يمكن عمله لتغيير الحالة إلى الأحسن إلا أن نتائج بعض التجارب تشير إلى عكس ذلك ففي إحدى التجارب أخذت مجموعة من الأطفال المتخلفين بـ (متلازمة داون) وتم إعداد برنامج مكثف لتنمية عدد من المهارات أو القدرات الحسية - الحركية - لديهم . وفي سن الثانية كان هؤلاء الأطفال يشبهون أطفال سن الواحدة والنصف إلا أنه في سن الثالثة والنصف وبعد ١٨ شهراً من التمرين تميز هؤلاء بقدرات ومهارات في تناول الأشياء كأطفال سن الثالثة والنصف . أي أنه لم يكن هناك فرق بين هؤلاء وبين العاديين .

إن نتائج مثل هذه التجربة تشير إلى أنه حتى في الحالات التي رجعت التخلف العقلي فيها إلى أسباب جينية أو وراثية فإنه عن طريق توفير البيئة المناسبة يمكننا أن نحسن من أداء المتخلف على الأقل في بعض الحالات - إن حدود التغيير غير معروف في الوقت الحاضر إلا أن النتائج تبدو مشجعة للاستمرار في هذا الخط من الأبحاث والتجارب - .

والحقيقة أن هذا المسار من البحوث والدراسات والتجارب التي استهدفت إبراز أثر التربية المبكرة على تحسن أداء المعوقين كان لها دور أساسي في بروز هذا الاتجاه الذي بدأ يتبلور بشكل أكبر في السنوات الأخيرة ومن أهم الدراسات التي ساهمت في هذا المجال هي دراسة سكيل ودي (١٩٣٩) . وقد قام الباحثان باختيار ١٣ طفلاً من الملاجئ وأودعاهم إحدى المؤسسات التي ترعى شؤون

المتخلفين عقلياً ولم يتجاوز عمر الأطفال في ذلك الوقت ٣ سنوات وتراوح
نسب الذكاء بين ٣٥ و ٨٩ بحيث كان معدل نسبة الذكاء ٦٤ .

وقد تم وضع كل طفل في جناح يضم حالات أكبر سناً لضمان الحصول على
أكبر قدر ممكن من الرعاية ممن هم أكبر منهم سناً . وتم اختبار ذكاء الأطفال بعد
سنة ونصف ولوحظ ارتفاع في معدل نسب الذكاء بحوالي ٥, ٢٧ درجة . وفي
المقابل ضمت التجربة مجموعة أخرى تضم ١٢ طفلاً والتي بقيت في الملجأ وبلغت
نسبة ذكاء هذه المجموعة ٦, ٨٧ وتراوحت هذه النسبة ما بين ٥٠ - ١٠٣ .

وقد كشفت الدراسة بأن هذه المجموعة قد فقدت ٢, ٢٦ درجة بعد ثلاثين
شهوراً . وقد قام سيكل بدراستين تبعتا هاتين المجموعتين تمت إحداها بعد ثلاث
سنوات والأخرى بعد ٢٧ سنة وقد وجد سيكل (١٩٤٢) أن المجموعة التي
أودعت المؤسسة قد حافظت على تقدمها وتحسن مستوى الذكاء لديها وذلك في
بيوت للتبني في حين استمرت المجموعة الأخرى التي بقيت في الملجأ بالتدني في
مستوى الذكاء .

وفي الدراسة الثانية (١٩٦٦) أي بعد ٢٧ سنة تم التعرف على أماكن سكن
الحالات وقد درست هذه الحالات وأسفرت عن النتائج الآتية :

١ - تبين أن جميع أفراد المجموعة التجريبية والبالغ عددها ١٣ طفلاً قد أصبحت
معتمدة على نفسها اقتصادياً ولم يكن أي فرد منها نزيلاً لأية مؤسسة خاصة أو
عامة .

٢ - بالنسبة للمجموعة الثانية (الضابطة) فقد توفي أحد أفرادها في سن المراهقة
ودخل أربعة منهم في مؤسسات خاصة بالمتخلفين عقلياً .

٣ - بلغ معدل الصفوف التي انتهت المجموعة الأولى ١٣ فصلاً في حين لم يصل
معدل المرحلة التي اجتازتها المجموعة الضابطة المرحلة الثالثة .

في هذه الدراسة نستطيع أن نلمس أثر البيئة بشكل واضح على أداء الأفراد وعلى
مستوى الذكاء وبالتالي على تكيفهم الشخصي والاجتماعي .

فوائد التشخيص المبكر :

- ١ - إن التشخيص المبكر سوف يساعد على بدء العلاج المبكر وهذا يساعد على التخفيف من حدة الاعاقة على الأقل .
- ٢ - إن التشخيص المبكر قد يساعد على تخفيف أو إزالة مشاعر القلق التي يعاني منها عادة الآباء والأمهات والتي تكون نتيجة غياب التشخيص في الوقت المناسب . ويساعد التشخيص المبكر على التركيز على المشكلة الأساسية دون تبديد الوقت والمال في أمور قد تعتبر ثانوية .
- ٣ - إن كشف الدوافع عند الطفل الصغير أسهل وأيسر منه عند الطفل الأكبر بمعنى أن الدوافع قد تكون أكثر فعالية في حالة الأطفال الصغار وبالتالي فإنه يمكن استخدام الكثير من الدوافع والحوافز أو حتى الألعاب التربوية والتي تستحوذ على انتباه الطفل ويميل إليها بشكل أكبر من الطفل الكبير .
- ٤ - إن بناء الشخصية ومفهوم الذات يمكن تعزيزهما في الطفولة المبكرة بشكل قوي ، وإذا أصبح بالإمكان تحديد إطار المشكلة أصبح بالإمكان توجيه الطفل وكذلك رسم أدوار معينة للوالدين والأخوة لكي يمكن معاملة الطفل المعاملة المناسبة .

الاتجاه الثاني :

القضية الأخرى تتعلق بما يسمى باستدماج Integration أو دمج المعاقين مع العاديين . وهذه النظرة تعتبر إفرازاً للفلسفة الإنسانية في تربية المعاقين والتي تنادي بتخفيف قيود العزلة عن هذه الفئة وإزالة العوائق التي تجعل هذه الفئة شريحة تفقد الكثير من فرص النمو في الحياة .

ويعتبر هذا الاتجاه ثورة ضد استراتيجية الإيواء في المؤسسات وسياسة الفصول الخاصة والتي كان المعاق فيها يعزل عن قريبه العادي لفترات قد تطول وقد تقصر . ونجد صدى لهذا الاتجاه واضحاً في القانون العام الأمريكي للتربية

الخاصة رقم (٩٤-١٤٢) والذي ينص على توفير «التربية المجانية المناسبة لجميع الأطفال المعاقين» وأن تكون هذه التربية قد توفرت للطفل في «البيئة الأقل تقييداً» Least restrictive Environment

- ١ - أن يتعلم الطفل مع أقرانه العاديين كلما كان ذلك ممكناً .
- ٢ - أن يتلقى الطفل العناية والخدمات الخاصة في الفصول العادية .
- ٣ - أن تتوفر للطفل الفرص الكافية للتفاعل والتعامل مع الاقران العاديين في ظل أقل قدر ممكن من القيود البيئية المفروضة .

والسؤال الذي يمكن طرحه الآن هو: إذا كان الاتجاه نحو توحيد المجرى التعليمي قد بدأ بالظهور منذ مدة طويلة واستمر في التبلور بشكل تدريجي فما الذي دفع هذا الاتجاه إلى الظهور بهذه القوة بحيث يصبح جزءاً من قانون التربية الخاصة في الولايات المتحدة . والجواب على هذا السؤال يكمن في أن ظهور هذا الاتجاه بهذا الشكل القوي يرجع إلى ردود الأفعال التي ولدها اطلاق المسميات والتصنيفات على الأطفال بشكل تعسفي في بعض الأحيان بحيث يدرج العديد من الأطفال ضمن فئة المتخلفين عقلياً وخاصة الأطفال الذين ينحدرون من خلفيات ثقافية واجتماعية واقتصادية متدنية (في الولايات المتحدة) فقد كان تعريف التخلف العقلي ينص على انخفاض ذكاء الفرد بمقدار انحراف معياري واحد أي نسبة الذكاء التي تقل عن ٨٤ أو ٨٥ (اختبار بنيه أو وكسلر) وقد أدى ذلك إلى زيادة في عدد (المتخلفين) في الفصول الخاصة من ٨٧٠٠٠ عام ١٩٤٨ إلى ١٣٥٠٠٠ عام ١٩٧٥ وعندما ظهرت الحركة المناهضة لاستخدام الاختبارات واشتد الجدل حول الأسباب التي أدت إلى وجود نسبة عالية من أطفال الأقليات والسود ضمن المتخلفين عقلياً قامت الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي بتنفيذ معيار التخلف العقلي بحيث أصبح تعريف المتخلف يستوجب انخفاض الذكاء بمقدار انحرافين معياريين في أحد الاختبارات الفردية المقننة أي أقل من ٧٠ بالإضافة إلى الأخذ بالاعتبار معيار السلوك التكيفي للفرد .

السبب الآخر الذي ساهم في بروز هذا الاتجاه الجديد بهذا الشكل القوي

هو ما أظهرته الدراسات من عدم كفاءة الفصول الخاصة في تخفيف أهدافها . وبدأ المهتمون في هذا المجال بالسؤال حول مدى جدوى هذه الفصول وما إذا كانت تستطيع أن توفر التربية الملائمة للأطفال المتخلفين أو ما إذا كانت تستطيع أن تعني بالغرض الذي من أجله أنشأت .

هل تؤدي الفصول الخاصة الغرض الذي من أجله أنشئت :

نتائج الدراسات التي أجريت لتقويم الفصول الخاصة :

تم خلال الخمسين سنة الماضية إجراء أكثر من ٢٠ دراسة استخدمت فيها تصاميم وعينات مختلفة حول مدى كفاءة الفصول الخاصة . الدراسات الأولى عالجت الموضوع عن طريق مقارنة أداء أطفال متخلفين عقلياً في فصول عادية مع أطفال ضمتهم فصول خاصة ضمن المدرسة نفسها . وأشارت نتائج هذه الدراسات إلى تدني في مستوى طلاب الفصول الخاصة في المجال الأكاديمي مقارنة بالطلاب الذين وضعوا في فصول عادية إلا أنهم كانوا بالمستوى نفسه أو أكثر قليلاً من زملائهم في الفصول العادية في مجال التكيف والشخصية . ويلاحظ أنه من الصعب الاعتماد على نتائج مثل هذه الدراسات نتيجة معاناة الطلاب المحولين إلى الفصول الخاصة من مشكلات سلوكية وصعوبات دراسية شديدة وقد كان ذلك هو سبب نقلهم إلى فصول خاصة في حين ظل الأطفال الأقل تخلفاً في الفصول العادية وبالتالي فإنه لا يمكن مقارنة أداء المجموعتين طالما لم يتم اختيارهما بصورة عشوائية ولم يتوفر فيها أي تماثل . ومن ناحية أخرى فإن الأجهزة والوسائل التي استخدمت في قياس الشخصية كانت تفتقر إلى الصدق .

الدراسات اللاحقة حاولت معالجة الموضوع بالتخلص من بعض المشكلات المنهجية التي شوهدت نتائج الدراسات السابقة إلا أن هذه الدراسات الجديدة أظهرت نتائج متضاربة فيما يتعلق بأفضلية نظام على نظام .

وقد حاول جولدشنييه وآخرون (١٩٦٥) التخلص من مشكلة انحياز العينة

المختارة في هذه البحوث باختيار مجموعة من الأطفال المتخلفين بشكل عشوائي وتوزيعهم على فصول خاصة وأخرى عادية وذلك لدى دخولهم المرحلة الأولى من الدراسة. وقد بذلت محاولات لتحسين الأجهزة المستخدمة في القياس وكذلك توحيد المناهج بالإضافة إلى تولي مدرسين ذوي مؤهلات في التربية الخاصة القيام بعملية التدريس. وبعد أربع سنوات من الدراسة أظهرت النتائج عدم وجود اختلافات ذات دلالة احصائية من المجموعتين سواء من ناحية الذكاء أو المستوى التحصيلي.

وقد أظهرت النتائج بعد ذلك بأن الأفراد الذين يزيد مستوى ذكائهم عن ٨٠ قد استفادت من الفصول العادية أكثر من الأفراد الذين انخفض مستوى ذكائهم عن ذلك (٨٠).

يمكن القول بشكل عام أن نتيجة هذه الدراسات لم تصل إلى درجة الحسم ولم توفر إلا معلومات قليلة حول مدى كفاءة الفصول الخاصة في مقابل الفصول العادية.

ويلخص نيلسون وشميدث ١٩٧١ المحصلة النهائية للدراسات بالعبارة التالية: «الأدلة المتوفرة أقل من أن تكون حاسمة وهي أساساً غير قابلة للتفسير». إن عملية دمج الفئات الخاصة مع العاديين أو توحيد الفئات الخاصة مع العاديين أو توحيد المجرى التعليمي أصبحت من الموضوعات المهمة بحيث لا تكاد تخلو من دورية أو مجلة متخصصة في التربية الخاصة من ذكر لهذا الموضوع سواء بالسلب أو بالإيجاب. ويعتبر الأمر في غاية الأهمية إذ لا يمكن أن تكون هذه العملية ذات نتائج إيجابية بمجرد التحمس لها. إن هناك أموراً كثيرة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند محاولة طرح مثل هذا الموضوع البالغ الأهمية. يجب مثلاً أن نحدد مستوى ذكاء الفئة التي ستكون موضوعاً للدمج. إن درجة التكيف تعتمد على درجة الإعاقة كما أن الجو المحيط بالبرنامج يحدد إلى حد كبير مدى نجاح البرنامج. من المهم أيضاً الأخذ بالاعتبار اتجاهات الناس نحو الفئات الخاصة في المجتمع المحلي ومدى تقبل الآباء والأمهات لعملية الدمج. بالإضافة إلى ذلك يجب أن

تكون الأهداف محددة بشكل يمكن تقويمها بعد ذلك .

إن مجرد وضع الطفل المتخلف مع الطفل العادي لا يمكن أن يعتبر دمجاً فالعملية تتطلب حداً أدنى من التفاعل والتقبل بين الأفراد . وطالما أن هذه الأمور لم تؤخذ في الاعتبار في تعميم نتائج أية تجربة فإن العملية تحمل في طياتها أخطاراً كثيرة . ومن الثابت أيضاً أن المعلومات المتوفرة لدينا في هذا المجال لا توفر لنا أي أساس قوي لوضع حلول محددة لهذه المشكلة ومن هنا تصبح القضية قابلة للجدل والدفاع عن أية وجهة نظر بل تتحول إلى مسألة سياسية أكثر منها تربوية .

ويمكن أن نذكر الآن بعض الأمور التي يجب أن نأخذها في الاعتبار عندما نتعامل مع موضوع توحيد المجرى التعليمي :

١ - التمييز بين المبادئ وتطبيقها :

يمكن الاعتقاد والإيمان بأن وجود المتخلفين عقلياً مع العاديين سيؤثر تأثيراً إيجابياً على المتخلفين إلا أن الاعتقاد أو الإيمان بذلك لا يعتبر كافياً . إن مثل هذا الاعتقاد يجب أن يكون قابلاً للتطبيق . يجب أن نسأل أنفسنا عن مدى استعداد الجهات المسؤولة لقبول مثل هذه البرامج . إلى أي حد يتوفر لدينا متخصصون في هذا الميدان . إن تنفيذ أي مشروع في الزمان الغير مناسب سيكون مدعاة لتحطيم امبدأ نفسه . سيبدأ الناس بالاعتقاد أن هناك خطأ في المفهوم أو المبدأ وليس في التنفيذ أو التطبيق لقد فشلت محاولات كثيرة في تطبيق برامج توحيد المجرى التعليمي وسوف يفشل غيرها في المستقبل بطبيعة الحال إلا أن ذلك يجب أن لا يؤخذ كبرهان على عدم جدوى الفكرة بشكل مطلق .

إن المشكلة الأساسية تكمن في أن المبدأ أو المشروع قد نبع أساساً من المختصين في التربية الخاصة وكذلك المشرعين للقوانين إلا أن الفرد الذي سوف يقوم بالتطبيق - وهو المدرس - لم يؤخذ برأيه ولم يكن ذلك رأيه بالدرجة الأولى .

٢ - استعداد المدرسة العادية في احتضان الفكرة :

المعروف أن وجود الطفل في الفصول الخاصة أو المعاهد الخاصة إنما يرجع إلى وجود صعوبات دراسية لديه لسبب أو لآخر وحتى يستطيع أن يرجع إلى المدرسة العادية أو الصف العادي لابدّ من توفر أحد الشروط الآتية على الأقل :

- أ - الصعوبة الدراسية التي تسبب في نقله قد تم علاجها أو إزالتها .
 - ب - إن المدرس العادي قد تم تأهيله واعداده بشكل يستطيع التفاعل مع هؤلاء الأفراد داخل الفصول العادية .
 - ح - توفرت خدمات مساعدة المدرس من حيث الأجهزة التعليمية والبرامج المناسبة والمدرس المساعد وبذلك أصبح بالإمكان دمج الطفل مع أقرانه العاديين .
- وهناك شك في وجود أو توفر أي من الشروط السابقة بأي شكل من الأشكال .

٣ - اتجاهات المدرسين واعدادهم :

من الأمور المهمة في نجاح برامج توحيد المجري التعليمي إعداد المدرسين للقيام بعملية التدريس داخل فصول تضم أفراداً متباينين بشكل كبير. إن إعداد المدرسين يعتمد بالدرجة الأولى على اتجاهات هؤلاء نحو العمل مع الفئات الخاصة وهذه الاتجاهات هي التي سوف تقرر وإلى حد كبير نجاح العاملين في هذا الميدان. إنه من الصعب أن نتوقع النجاح من إنسان لا يؤمن بما يقوم به وقد يؤدي اتجاهه السلبي بشكل لا شعوري إلى افشال المشروع .

استعرضنا فيما سبق بعض الأمور المتعلقة بموضوع توحيد المجري التعليمي . ونكرر هنا بأن للموضوع أهميته وقد طرح على الساحة التربوية في الكويت ويبدو أن النتائج لم تكن بالصورة المتوقعة أو المطلوبة ونحن هنا نشير إلى تجربة الأطفال المتخلفين (عرض داون) الذين وضعوا في روضة بردي، إن مثل هذه

التجربة يجب أن تقوم بشكل موضوعي للاستفادة منها بغض النظر عن جدوى أو عدم جدوى تكرارها .

إن كل فلسفة ، فلسفة الدمج وفلسفة الفصل ترى في مبادئها وأساليبها الوسيلة المثلى لتحقيق تكيف الطفل المتخلف الاجتماعي والانفعالي والاكاديمي ، أو أن كل فلسفة ترى على الأقل أنها الأفضل في اشباع رغبات وحاجات الطفل . ويمكننا التعرف على طبيعة الجدل المثار بين المدرستين أو الفلسفتين عندما نتناول الآراء الأساسية للمذهبين وكذلك الحجج والبراهين التي تقدمها كل مدرسة لتبرير موقفها ، والجدول التالي يبين باختصار بعض الأدلة والبراهين التي يقدمها كل فريق لتأييد وجهة نظره .

ثالثاً : الاتجاه الثالث :

المسميات والتصنيفات :

الاتجاهات الحديثة في التشخيص والتصنيف :

لقد كان من نتائج التطورات السريعة في مجال التربية الخاصة أن ظهرت اتجاهات جديدة في مجال التشخيص والتصنيف . فقد كانت النظرة التقليدية في التشخيص تتمثل في تصنيف الطفل ثم إيداعه في المكان الذي كان يفترض بأنه المكان المناسب . وكان ذلك يعني ضمناً بأن الإعاقة أو القصور أو أي شكل من أشكال القصور كامنة في الفرد نفسه فقط . وقد تغيرت هذه النظرة وأصبحت عملية التشخيص تهدف إلى الحصول على المعلومات التربوية الوثيقة الصلة بالطفل . ثم تطور هذا الاتجاه ليصبح التركيز على الحصول على معلومات عن الطفل وكذلك معلومات عن متغيرات بيئة الطفل والتي يُعتقد أنها تتفاعل بشكل مؤثر مع متغيرات الطفل . أي أن النظرة الحديثة ترى بأن نواحي الإعاقة أو القصور إن هي إلا نتيجة الخصائص التكوينية للطفل مع متغيرات البيئة . وقد رافق هذا التطور في التشخيص والتقييم جدل حول جدوى استخدام اختبارات

الذكاء على هذا النطاق الواسع وكذلك جدوى عملية التصنيف والتي تؤدي في الكثير من الأحيان إلى وصم الطفل بوصمة قد لا يستطيع التخلص منها وفي الوقت نفسه فإنها تؤثر على نظرة الناس لهذا الطفل فيعاملونه بناء عليها . ويمكن أن نوجز الحجج والبراهين التي يقدمها الفريق المعارض للتصنيف والمؤيد له على النحو التالي :

الفريق المعارض للتصنيف :

١ - إن التصنيفات أو التسميات والتسميات لا تعتبر وثيقة الصلة بالعملية التعليمية أو التربوية . فعندما نصم طفلاً بأنه (مضطرب انفعالياً) ما الذي تقدمه هذه التسمية للمربي . هذه التسمية أو التصنيف لا تذكر لنا متطلبات وحاجات الطفل التعليمية . هل يستطيع القراءة بشكل جيد؟ هل لديه القدرة على الانتباه؟ هل يكتب بشكل جيد؟ هل يتعامل مع الآخرين بشكل طبيعي؟ مثل هذه الأسئلة لا يجيب عنها التصنيف وعليه فإن مجرد التصنيف لا يقدم لنا كثيراً لكي نحاول علاج الصعوبة أو المشكلة .

٢ - إن التصنيفات ليست محددة بحدود دقيقة بمعنى أن هناك تداخلاً في الإعاقات في الكثير من الأحيان بحيث يصبح من الصعب وضع الطفل ضمن مجموعة معينة فعلى سبيل المثال نجد بأن الكثير من الأطفال الذين يعانون من تدنٍ في مستوى الذكاء لديهم مشكلات في الحركة أو التكيف الاجتماعي أو مشكلات في اللغة أو مجموعة من هذه المشكلات كذلك فإن الأطفال الذين يعانون من مشكلات السمع أو البصر تظهر لديهم مشكلات في التكيف الاجتماعي . وباختصار فإنه يمكن القول بأن وجود مشكلة معينة لدى الطفل قد يؤدي إلى ظهور مشكلات أخرى ومحاولة إيجاد أفضل (التسميات) للطفل أو إيجاد أفضل قالب يمكن أن يوضع فيه الطفل قد يؤدي إلى مشكلات أو مناورات إدارية في الوقت الذي ينتظر فيه الطفل مصيره .

٣ - إن عملية التصنيف أو التقسيم تميل إلى القاء اللوم على الطفل فقط

وتوحي لنا بان سبب القصور الدراسي أو العجز يقع على عاتق الطفل فقط ومثل هذا الأمر يتجاهل قضية مهمة وهي أن هذه المشكلات إنما هي محصلة لتفاعل الفرد مع البيئة . وبناء على نظرية (التفاعل) فإن القصور أو العجز لا يكمن في الفرد وحده أو في البيئة وحدها . فالمشكلة التربوية أو التعليمية في هذه الحالة إنما هي نتيجة عدم تجانس بين الخصائص المتعددة للفرد وبين الخصائص البيئية التي يجب على الطفل التعامل معها . والتركيز يجب أن يكون على مشكلات أو (أداء) الأطفال . يجب أن نستخدم التسميات أو التصنيفات (لشرح) الأداء الضعيف . فالتسميات تخلق وصمة للطفل وتجعل التوقعات بالنسبة لأدائه في المستقبل سلبية .
Once deviaut, Always Deviaut .

رابعاً: إن استراتيجيات التربية الخاصة والبرامج الدراسية ليست مصممة ومصنفة لتلائم الفئات أو التصنيفات بشكل محدد وإن كانت هناك استثناءات قليلة . فالإجراءات السليمة والمواد التعليمية المصممة بشكل جيد للعمليات العلاجية بصفة عامة يمكن تطبيقها على العديد من الفئات . إن مبادئ الدافعية للتعلم مثلاً حقيقة لا تتغير بتغير طبيعة الاعاقة وكذلك الوسائل السليمة للتعلم ستكون فعالة مع جميع الأطفال وإن كانت تحتاج إلى التعديل لتلائم الفروق الفردية وليس لاختلاف الفئة أو التصنيف .

خامساً: إن التصنيف أو التسمية قد يكون له مفعول العقار المهدىء حيث يصبح الوصول إلى هذه التصنيفات هو الهدف بدلاً من تحديد البرامج الدراسية .
سادساً: إن الوصمة إذا ما تعلق بالطفل فإنها قد تحرمه من معايشرة العاديين .

سابعاً: الوصمة قد تخلف التفكير النمطي في الحكم على الطفل الموصوم .
أما بالنسبة للفريق الآخر المؤيد للتصنيف والتقسيم فإنه يرى أن :
١ - التصنيف يحدد ويعرف الطفل وهذا يشكل أساساً لتشخيص أكثر ومن ثم العلاج .

٢ - التصنيف يخدم كأساس للمزيد من البحوث والدراسات في البحث المرضى والوقاية وكذلك علاج الاعاقة .

٣ - التصنيف يعطي زخماً قوياً للجهود التطوعية التي تساهم في مثل هذه الأعمال وبدون تحديد الاعاقة، فإنه من الصعب على المتطوع اختيار الفئة التي يفضل التعامل معها .

٤ - التصنيف يساعد على سن التشريعات والقوانين المتعلقة برعاية الفئات .

رعاية الأطفال غير العاديين في الخليج العربي

التجربة الكويتية

هاشم نقي

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ٣٢/١٣٣ في دورتها الثانية والثلاثين باعتبار عام ٨٠ / ٨١ عاماً دولياً للمعوقين، وأشارت احصائية الأمم المتحدة أن شخصاً واحداً على الأقل من بين كل عشرة أشخاص في العالم هو شخصٌ معوقٌ وحسب تلك البيانات فإن عدد المعوقين في العالم يزيد عن (٥٠٠) مليون شخص، وإن كانت الدول العربية تفتقر إلى الاحصاءات الدقيقة عن حجم الاعاقة والمعوقين وفتاتهم وأماكن تجمعهم فالمشكلة أكثر وضوحاً في منطقة الخليج، حيث ما زالت هناك الكثير من الأسر تتعامل مع الاعاقة والمعوقين على أنهم أبناء من الدرجة الثانية والبعض الآخر يشعر بالحرج في الإفصاح عن وجود معوق في الأسرة . . لذا نجد الكثير من تلك الأسر تحجم عن التصريح بوجود أبناء معوقين، وهذا بدوره ينعكس على نوع الخدمات التي تقدمها الدولة حيث لا تتوفر لها مثل تلك البيانات لتقديم خدماتها أو تطويرها .

بدأت خدمات ذلك الطفل منذ الخمسينات بافتتاح معهد النور وسوف أسرد بإيجاز خدمات المعوقين في الكويت الحكومية والأهلية :

خدمات وزارات الدولة

أولاً : وزارة التربية :

أولى خدمات المعوقين بدأتها وزارة التربية في العام الدراسي ٥٥ - ٥٦ بإنشاء مدرسة النور للمكفوفين وزادت تلك الخدمات ونمت حتى وصلت إلى ثلاث عشرة مدرسة في مختلف التخصصات مزودة بكل الوسائل الحديثة وتُعنى إدارة التربية الخاصة بأربع فئات :

- ١ - الإعاقة البصرية (المكفوفون وضعاف البصر)
- ٢ - الإعاقة السمعية (الصم وضعاف السمع)
- ٣ - الإعاقة العقلية (المتخلفون عقلياً)
- ٤ - الإعاقة الحركية (المشلولون).

(عن الأصدار الثاني عشر/ ٨٦
مدارس التربية الخاصة)

١ - مدارس التربية الفكرية .

الشروط العامة للقبول :

- أ - تتراوح نسبة ذكاء الطفل من ٥٠ - ٧٠ .
- ب - أن يكون لديه القدرة على التوافق العقلي والحسي والنفسي والاجتماعي .
- ج - أن لا يكون من ذوي الإعاقات المزدوجة .

٢ - مدارس النور

الشروط العامة للقبول :

- أ - أن لا تزيد قوة إبصار الطفل عن ٦٠ / ١ (واحد على ستين) . في أقوى العينين مع استعمال النظارة الطبية .
- ب - لا يقل السن عن ست سنوات .

٣ - مدارس الأمل

- أ - يثبت الفحص الطبي والسمعي والنفسي لياقته للدراسة .
ب - أن لا تقل نسبة الذكاء عن ٧٥٪ .

٤ - مدارس الرجاء

- أ - أن يكون معاقاً حركياً .
ب - سلباً من الناحية العقلية .
ج - لديه القدرة على التعليم .
د - أن لا يكون لديه تعدد في الإعاقات .

ثانياً: وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل

تقوم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بتوفير الكثير من الخدمات لفئات المعوقين عن طريق مؤسساتها وهي :

دار ضعاف العقول : ترعى حالات التخلف العقلي الشديد والمتوسط والخبيف . تقبل مختلف الأعمار ذكوراً وأناًءاً، ورعايتها إما إيوائية أو نهارية أو منزلية .

دار المعوقين : تقبل الدار متعددي الإعاقة وأغلبيتهم إعاقاتهم شديدة حيث يبقى النزيرل سنوات طويلة قد تستمر طوال حياته .

دار التربية للشباب : تهدف الدار إلى تعديل سلوك نزلاء الدار كما تقوم بالإرشاد والتوجيه الأسرى لإعداد أسر هؤلاء لاستقبال أبنائهم .

مركز التأهيل المهني : وهذا المركز يقوم بتدريب وتأهيل المصابين بإعاقات جسدية بهدف اكتساب مهنة تتناسب وإعاقاتهم .

ثانياً: وزارة الصحة العامة:

تختص وزارة الصحة برعاية المعوقين في تشخيص الحالات وتقديم الخدمات العلاجية لهم بمستشفياتها ومراكز العلاج الطبيعي.

١ - مستشفى الطب النفسي

يتم تشخيص حالات التخلف العقلي بمعرفة فريق يضم أخصائي الأمراض العقلية والأخصائي النفسي والاجتماعي والذين يتولون توجيه الشخص المتخلف عقلياً إلى المكان المناسب لرعايته.

٢ - قسم الطب الطبيعي والتأهيل الصحي

يختص بعلاج الذين يعانون من إصابات بالجهاز العضلي وحالات الروماتيزم والكسور والأمراض الأخرى التي يحتاجون فيها إلى علاج طبيعي ويتبع قسم العلاج الطبيعي في علاج المعوقين أسلوبين:

- الإيواء الداخلي للحالات التي تحتاج إلى مباشرة ورعاية طبية مستمرة ويصعب توفيرها في الأسرة. وكذلك الحالات التي يصعب انتقالها من وإلى المستشفى.

- زيارة المعوق للمستشفى للعلاج والتأهيل بحسب توصيات أخصائي الطب الطبيعي.

٣ - قسم الأطراف الطبية بمستشفى جراحة العظام.

يختص هذا القسم بإعداد الأجهزة الطبية التعويضية للمعوقين.

٤ - وحدة الطب التطوري.

أنشئت هذه الوحدة عام ١٩٧٩ ويتم في هذه الوحدة فحص جميع الحالات من المستشفيات والمستوصفات والعيادات الطبية الخاصة من أجل تقويم القدرات العقلية والجسمية واكتشاف حالات التعوق في المراحل الأولى قبل أن تستفحل وذلك باستعمال أحدث الأساليب العلمية.

٥ - مركز الوراثة .

يضم مجموعة من الأخصائيين في مجال اكتشاف حالات التعوق الوراثية مبكراً وإسداء النصيحة على أسس علمية للأزواج وهذه النصائح مهمة للوقاية من كثير من حالات التعوق وخصوصاً في مجتمع تنتشر فيه حالات زواج الأقارب، وتردد على المركز أصحاب حالات التخلف والمرضى المنغوليون والذين يُعانون من التشوهات الخلقية .

٦ - وحدة أمراض الجهاز العصبي .

تشرف وحدة أمراض الجهاز العصبي بقسم الأطفال على المرضى وتشخيص حالاتهم بأحدث الوسائل التكنولوجية والعلمية .

خدمات جمعيات النفع العام

أولاً : الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين

وهي جمعية خيرية تأسست في مايو عام ١٩٧١ لتقديم الرعاية والخدمات للفئات التي لا تشملهم الرعاية حتى ذلك الوقت .

ومن شروط القبول في الجمعية :

- أ- أن يكون الطفل يجمع بين إعاقتين أو أكثر وغالباً ما تكون عقلية وجسمية .
- ب - تقبل الأطفال من سنة وحتى ١٨ سنة، وهذا ينطبق على الكويتيين وغير الكويتيين .

ومن أهدافها :

أ- توفير أكبر قدر من الرعاية للأطفال الذين تواجههم مشاكل نفسية أو اجتماعية أو صحية وذلك لتوفير المؤسسات والأندية المتخصصة والإيواء والإعداد المهني

والتربوي لمن فاتتهم فرص الرعاية .

ب - تقديم المعونة المادية اللازمة والكافية لأسر هؤلاء الأطفال والتعاون مع الجهات الحكومية والأهلية بقصد التوعية .

وترعى الجمعية الآن ١٢٠ حالة بالإضافة إلى ١٨ حالة من الرعاية النهارية وتوسع حالات في المدرسة التجريبية للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ممن لا تنطبق عليهم شروط القبول في مؤسسات الدولة أو المؤسسات الأهلية كما تقوم الجمعية بتوفير بعض الخدمات المنزلية وذلك في حدود إمكانياتها بل وقد انتقلت الرعاية إلى الأسر وذلك عن طريق زيارة الأخصائية الاجتماعية وأخصائية العلاج المهني للأسرة لتبصيرها وتدريبها .

كما يقوم فريق من الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين والطبيين والمهنيين ، وأخصائيي التغذية بتوجيه الأسرة (Counselling) كما أن الجمعية قد بدأت بالتعاون مع قسم الوراثة في مستشفى الصباح بتحويل بعض الحالات لتابعها وتوجيهها .

ثانياً: جمعية المكفوفين الكويتية :

أنشئت جمعية المكفوفين عام ١٩٧٣ بهدف إدماج الكفيف في المجتمع ورعايته الرعاية الكاملة حتى يصبح عضواً مشاركاً في بناء مجتمعه وهي بمثابة منتدى للمكفوفين يمارسون فيه وسائل الترفيه والتسلية بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى .

ومن أهداف الجمعية :

- ١- التعريف بالكفيف بكل الوسائل المتاحة عن طريق إدماجه في المجتمع .
- ٢- نشر الثقافة بين المكفوفين بوساطة كتب ناطقة ومنقوطة وتعليم من فاتتهم الفرصة الكتابة والقراءة .
- ٣- العمل على تذليل العقبات والصعوبات التي تواجه المكفوفين .

ثالثاً: جمعية الصم والبكم الكويتية:

أنشئت عام ١٩٧٥ بهدف تهيئة السبل لذوي الإعاقات من الصم والبكم لممارسة أوجه النشاط وشغل أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع وتحقيق التعاون مع جميع المؤسسات والهيئات والعمل على نشر الوعي الثقافي والاجتماعي والرياضي بينهم .

من ذلك يتضح أن هناك بعض الفئات محرومة من الخدمات منها مثلاً الحالات التي تجمع إعاقتين أو أكثر وجميع مؤسسات الدولة تشترط إعاقة واحدة فقط عدا دار المعوقين التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التي تقبل مزدوجي الإعاقة والمقصود بها الإعاقة العقلية والجسمية فقط وكذلك الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين . أما إذا كان الطفل لديه إعاقة جسمية وإعاقة حسية وسليماً من الناحية العقلية فيحرم من الرعاية . ويبقى في شبه عزلة بعيداً عن أبسط أنواع التدريب وكذلك الطفل المصاب بإعاقة عقلية وإعاقة حسية . ويأتي دور الأسرة حيث تسلم باستحالة تدريب الابن وبأنه متخلف ولا أمل في شفائه، كما نجد أن هذه الأسرة تحرم ابنها من أبسط أنواع الرعاية والتدريب وتعزله بغرفة بعيدة عن أخوانه وأخواته ، فنجده يفقد القدرة على الكلام والمشي والجلوس ، ولكن بعد فترة تدريب بسيطة قد تطول أو تقصر . ومن خلال التجربة في الجمعية الكويتية لرعاية المعاقين - نجد هذا الطفل قد بدأ يجلس ويقف وأحياناً يمشي ونجد أن بعض الحالات تتكلمم وي إعادة تقييمها تعطي نتائج مختلفة تماماً وهذا ليس قصوراً أو نقصاً في الفاحص ولكن يرجع لعدم حصول الطفل على التدريب المناسب في الوقت المناسب .

أيضاً لا تتوفر حتى الآن خدمات للأطفال الذين يعانون من اضطرابات انفعالية، كذلك في حالات ازدواج الإعاقة الخفيفة فهم لا يتلقون الرعاية المناسبة خاصة إذا كانت الإعاقة مزدوجة .

كما يفتقر الطفل غير العادي إلى وجود فريق استشاري متكامل لتوجيه الأسرة

فنجدها تنتقل من جهة إلى أخرى لعدم توفّر خدمات لطفلها وتطول المدة فيصح قبوله في أية مؤسسة مستحياً وإن قُبِلَ فإن التدريب يصبح صعباً إن لم يكن مستحياً ، كذلك يُسبب عدم وجود مثل ذلك الفريق إلى التشخيص الخاطيء أو انحياز التشخيص لمجال محدود حيث يركّز أحد أعضاء الفريق على ناحية دون أخرى .

كما يفتقر حقل الرعاية إلى التعاون والتنسيق مع الجهات المختلفة وعدم تعاون الجهات المعنية بالرعاية .

من ناحية أخرى لا يوجد تعاون وتنسيق بين الجهات المعنية بالرعاية وجامعة الكويت والمعاهد العليا وإن وجد مثل هذا التعاون فهو لا يتعدى زيارات الطلبة والطالبات في حين أن هذه المؤسسات بأمرس الحاجة إلى الخبرة الأكاديمية .

ومن أسباب ذلك حرمان العاملين في مجال الرعاية من الحوافز ، ولا أقصد المادية فقط ، كما أن فرص تنمية خبرات الأخصائيين قليلة جداً وحتى الدورات والندوات والمؤتمرات غالباً ما تكون مقصورة على القيادين فقط .

أما من الناحية الإعلامية فنجد وسائل الإعلام تتحدّث عن الإعاقة فقط والخدمات دون الإشارة إلى الوقاية وأسلوب الرعاية ويفتقر المجتمع الخليجي إلى التثقيف عموماً في مجال الخدمات الخاصة بالطفل غير العادي ويجب أن لا تقتصر الخدمات الإعلامية على الناحية الدعائية بل تتعدّها إلى الجانب العملي بتوضيح أفضل السبل لرعاية مثل هؤلاء الأبناء ليكون دليلاً عملياً للأسرة يبصرها بمشكلاتها وكيفية التعامل مع أبنائها .

تعقيب

السيدة منيرة المطوع

إن مرحلة الطفولة هي أخطر مرحلة في بناء الأفراد وهي أخطر مرحلة في إعداد الجماعة ومجال التحدّث عن الطفولة - وخصوصاً الطفولة غير العادية - مجال واسع ، يقتضي من المتحدث الخبرة الكافية في شؤون الطفل حتى يكون في نطاق ما تفضّل به د . أحمد عبدالله ، وهو خبير في تخصّصه العلمي وعمل سنوات في التربية الخاصة والآن يعمل أستاذاً في الجامعة .

إننا عندما نتكلّم عن الشخص المعوق أو غير العادي فإننا نعني أن ١٠٪ من تعداد العالم معوقون (إحصائية سنة ٨٠) - منظمة الصحة العالمية - وسيصل عدد المعوقين سنة ٢٠٠٠ حوالي ٥٠٠ مليون إلى ٦٠٠ مليون (منظمة التأهيل الدولي) وحتماً فقد تزايد عدد الأشخاص المعوقين بسبب الحروب الطاحنة وسوء التغذية والتلوّث البيئي والكوارث الطبيعية الأخيرة . من هذا التعداد نلاحظ أن هناك ١٤٦ مليون طفل دون الخامسة عشرة ، وأن ٧٥٪ لا يحصلون على رعاية وثلثي المعوقين هم ضحية أمراض ممكن الوقاية منها . هناك أفكار حديثة استقرت على مفاهيم العجز أو التعوّق ونكتفي بتعريف د . أحمد عبدالله فقط الذي أوضح بأن عجز الإنسان هو عجز نسبي ، وإصابة وظيفة أو أكثر من وظائفه الاجتماعية لا يعني بالضرورة أنه عجز كلي أو شامل يسمح لنا أن نصف صاحب هذه العاهة بالعجز التام ، وقد أثبتت التجارب خطأ هذا الاعتقاد .

الشخص غير العادي أو المعوق :

عن طريق التأهيل والتدريب يمكنه القيام بأعمال مختلفة لا يقل عن الإنسان

العادي فلكل فرد سمات قوة وضعف وقدرة وعجز في ناحية من نواحي شخصيته القادرة سواء في عناصرها الجسمية أو الحسية أو العقلية أو النفسية أو الخلقية أو الاجتماعية. إذن الشخص العاجز هو في الوقت نفسه قادر تحت شروط معينة ووفق تدريبات خاصة، وأسباب العجز غالباً ما تنجم من التفاعل الدائم بين الفرد وبيئته.

تعريف التعوق :

هو العلاقة بين المعوقين وبين بيئتهم ويحدث عندما يواجهون حواجز ثقافية أو اجتماعية تمنع وصولهم إلى مختلف نظم المجتمع المتاحة للمواطنين العاديين وعليه فإن التعوق هو فقدان أو تحديد الفرص لتأدية المعوق دوره في الحياة والمجتمع على قدم المساواة مع الآخرين ، وهذا التعريف يؤكد ما جاء به الدكتور أحمد عبدالله أن اتجاهاتنا كانت صديئاً وانعكاساً لاتجاهات المجتمع ولكن علينا أن نقضي على هذه الاتجاهات عن طريق الدمج وثقيف المجتمع وتوظيف وسائل الإعلام لتحقيق فكرة اندماج المعوق داخل المجتمع ويحصل ذلك طبعاً عن طريق :

١ - تثقيف الجمهور العام عن طريق وزارة الإعلام بحقوق المعوقين احتراماً لتكافؤ الفرص .

٢- التغلب على المعوقات المعمارية ووسائل المواصلات .

٣- إشراك المعوقين في الهيئات والمؤسسات سواء على المستوى الحكومي أو الأهلي .

والطفل غير العادي سواء كان من المعوقين عقلياً أو جسدياً بصرف النظر عن درجة عجزه هو مواطن وإنسان له حقوق وعليه واجبات شأنه شأن أي مواطن عادي يعيش في مجتمع ديمقراطي يكفل له الحرية الاجتماعية ويتيح له الفرص المتكافئة . لقد أكد الدكتور أهمية التربية المبكرة للطفل غير العادي ولدينا تجارب كثيرة في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين تؤكد ما تفضل به د. أحمد عبدالله، وفي خطتنا الجديدة سوف نبدأ بصغار السن. بعد تجربة ما قبل المدرسة "Pre-Schooling" ونود أن نبدأ من البيت .

أسباب الإعاقة :

نودّ إعطاء سرد سريع للعوامل المسببة للإعاقة :

العوامل المسببة والنسب التقديرية :

عوامل خلقية (Congenital) قد تكون عوامل وراثية وتسبب التخلف

العقلي بنسبة ٢٠ - ٤٠ مليون

عوامل غير وراثية بنسبة ١٠ - ٢٠ مليون

عوامل وراثية جينية (Genetic)

العوامل غير الوراثية وهذه بدورها تؤدي إلى الإعاقة نذكر منها :

سوء التغذية

الأمراض المعدية التي تصيب الحامل

التغيرات والمضاعفات التي تحدث للحامل أثناء الولادة.

عوامل مسببة للإعاقة :

إصابة المخ

كسر العظام

التفاف الحبل السري وعدم وصول الأوكسجين إلى الجنين مما يؤدي إلى تلف

المخ .

الأمراض المعدية بنسبة ٣٠ مليون (إحصائية منظمة الصحة العالمية)

الحوادث .

وبما أن موضوعنا عن الطفل غير العادي في الخليج العربي - وقد تطرّقنا إلى

أسباب الإعاقة قبل أن نعقب على قضية الدمج - نودّ أن نبيّن أسباب وحجم الإعاقة

في الخليج «كتاب الأطفال - منظمة الصحة العالمية» .

من الصعب علينا أن نعرف حجم المشكلة في منطقة الخليج أو العالم العربي

في غياب عمليات المسح الإحصائي الدقيق ، فمن جهة لم تجر في عالمنا العربي

بحوث ميدانية تخص المعوقين ، ومن جهة أخرى لم يسبق أن تضمنت استمارات التعداد الذي يجري في دول العالم العربي أي بيانات تفصيلية عن حالات الإعاقة في الأسر والمدارس والتجمعات السكانية .

ونظراً لغياب المسوح والبحوث عن مشكلة الإعاقة في العالم العربي والخليج نستطيع الاستعانة بنتائج البحوث التي أجريت في الخارج للوصول إلى تقديرات مبدئية لرسم صورة تقريبية عن حجم مشكلة المعوقين في منطقة الخليج «أثناء نشاطات السنة الدولية للمعوقين» .

وإذا أخذنا منطقة الخليج والجزيرة العربية ككل حيث يصل تعداد سكان دولها ما يقرب من ٣٢ مليون- هذه الإحصائية كانت عام ٨٠/٨١-، وإذا اعتبرنا أن نسبة مجموع المعوقين بفتاتهم المختلفة بين مجموع السكان ١٠٪ وأن نسبة المتخلفين ٣٪ وأن نسبة الأطفال دون عمر السادسة هي ٢٠٪ وأن نسبة الأطفال ٠- ١٤ في حدود ٤٥٪ من مجموع السكان على الأقل أمكننا الوصول إلى التقديرات المبدئية التالية :

مجموع السكان ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ أما العدد التقديري للمعوقين ٣,٢٠٠,٠٠٠ إذن النسبة ١٠٪ أطفال عمر ٠- ٦ هو ٦,٤٠٠,٠٠٠ العدد التقديري للمعوقين ٢٠٪ ٦٤٠,٠٠٠
العدد التقديري للمعوقين تحت سن ٥- ٦ سنوات ٦٤٠,٠٠٠ أي ٢٠٪ .

الأطفال تحت سن ١٥ تعدادهم من الإحصائية ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ أي ١٤٠٠٠ مليون والنسبة ١٠٪ إذن التخلف العقلي كما تشير إليه الإحصائية القديمة لدى منظمة الصحة العالمية يبلغ حوالي ٣٣٢,٠٠٠ ولكن على التعداد الآن حوالي ١٢ إلى ١٥٪ .

أطفال عمر (٠- ١٤) ٤٥٪
العدد الإجمالي للأطفال ١٤,٠٠٠,٠٠٠
العدد التقديري للمعوقين ١,٤٤٠,٠٠٠
العدد التقديري للتخلف العام ٣٢,٠٠٠

من استعراضنا للتقديرات التقريبية لحجم الإعاقة في منطقة الخليج والجزيرة العربية في ضوء تقارير منظمة الصحة العالمية والمؤشرات الدولية ، نجد أن حجم المشكلة أكبر بكثير من الصورة السائدة مما يتطلب منا أولاً إجراء المسوح الميدانية لحصر المشكلة وتحديد فئات المعوقين وأسباب الإعاقة ووضع خطة للبرامج العلاجية والوقاية اللازمة وتساءل كيف يمكننا أن نقدّم خدمات للمعوقين ونضع هذه الفئة ضمن الخطة القومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية إذا كنا لا نتعرّف على حجم المشكلة . طبعاً لا بدّ أن ندرك أن الأطفال ثروة طبيعية ، فلا بدّ أن نهتم بها ، لا بدّ أن نبين عدد الوفيات التي تحدث إننا نلاحظ أن نسبة الوفيات من الأطفال نتيجة التسمم وسوء التغذية ١٥٪ .

الكويت ٤٤ لكل ألف ولادة حية

العراق ٦٩ لكل ألف ولادة حية

البحرين والإمارات وعمان ١٣٨ لكل ألف ولادة

السعودية ١٥٢ لكل ولادة حية .

الاندماج :

تطرق الأخ الدكتور أحمد عبدالله لهذا الموضوع وأعطانا فكرة شيقة عن الاندماج ، وقد ذكر أن الاندماج يتم عن طريق التربية المبكرة للطفل وتوحيد المسار التعليمي للمعاقين (Main Streaming) والذي أصبح جزءاً من قانون الفئات الخاصة في الولايات المتحدة .

والاندماج يهدف إلى أن يتعلّم الطفل في المدارس العادية ويتلقّى الخدمات الخاصة في الفصول العادية ويندمج في بيئته ، ولا بدّ أن يكون هناك تقويم لحاجات الطفل التعليمية والنفسية والاجتماعية .

والطريقة التي ذكرها عن أحد المدارس في كليفلاند سنة ١٩١٣ تتبع الآن في سويسرا كدراسة جديدة في جامعة زوريخ في قسم التربية ، وعندما حضرت

جلسة التأهيل الدولي للجمعية العمومية في أكتوبر/ ٨٦ ناقشت اللجنة التعليمية الاندماج في المدارس العادية وقدمت كثير من الدول المشاركة في المؤتمر الطرق الجديدة في التدريس منها سويسرا فقد جاءت بنظريتين للتدريس ، وهناك دول كثيرة في الغرب بدأت بتجربة الدمج قبل السنة الدولية للأشخاص المعوقين سنة ١٩٨١ .

أما عن تنزانيا فقد بدأت بالدمج حيث إنها دججت جميع حالات التعوق الجسدي والشلل في المدارس العادية . وقد بدأت الدمج في مرحلة رياض الأطفال بحيث يكون هناك فصول خاصة داخل المدارس العادية حتى يتقبل الطفل العادي الطفل المعوق .

أما العراق فبدأت بتجربة الدمج قبل السنة الدولية بمدرسة المنصور سنة ٨١ على أن تقتن في المدارس الأخرى .

وعن الإمارات ففي أواخر ٧٩ قامت وزارة التربية والتعليم بإجراء مسح شامل في مدارس الإمارات لتحديد حجم الإعاقة (نشاطات السنة الدولية) وأنشأت من جرّاء هذا المسح ١٧ من الفصول الخاصة في المدارس العادية ووفرت للمعوقين البرامج التأهيلية المركزة دون عزلهم عن بيئتهم وكما ساعدت على اندماجهم مع زملائهم العاديين لعدم وجود مدارس التربية الخاصة وكانت فكرة رائدة .

أما عن الكويت . . . ترى هل ندمج في المدارس أم لا ؟؟

في اعتقادي أننا لا نستطيع أن نقوم بتجربة طبقت في الخارج إلا إذا قمنا بتجربة في المدارس العادية ، وفق الشروط التالية :

١ - أن يقوم على هذه التجربة فريق متخصص في التعليم الخاص كذلك قبل التعيين .

٢ - تدريب الكوادر المتخصصة من مدرسين وأخصائيين نفسيين واجتماعيين متخصصين في النطق والعلاج بالنطق وإذا نجحت هذه التجربة نقوم بعملية الدمج حيث أن هذه الفئة تحتاج إلى خدمات متخصصة .

- ٣ - دمج جميع حالات الشلل في المدارس العادية .
- ٤ - القضاء على المعوقات المعمارية في المدارس ، بعض شبابنا يعاني من مشاكل نفسية وعزلة اجتماعية سواء في المرحلة الثانوية أو حتى الجامعة .

في المجتمع الكويتي بدأنا بتقبل الطفل المعوق لذا وجب أن تتاح الفرصة لجميع الأطفال المعوقين بالتمتع بأقصى الفرص المتاحة للطفل العادي ودمجهم في المدارس العادية ابتداء من التعليم في الحضانة ورياض الأطفال وأن لا يقتصر الأمر على المدرسة بل يمتد إلى جميع النشاطات الخارجية والداخلية في المجتمع .

قانون التعليم الإلزامي في مجال تربية المعوقين وتأهيلهم عام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ يقتصر على التعليم الإلزامي لذوي العاهات البدنية والعضلية (الجسدية) بينما استبعد ذوو العاهات العقلية الذين هم في أمس الحاجة للتعليم والتأهيل .

هناك فئة يعاني أصحابها من التخلف العقلي الشديد لا ترعاهم الدولة ، فلا بد من الاهتمام بوضع خطة لحل مشاكلهم . . لقد بدأنا في الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين بعمل دراسة "PILOT STUDY" لفصل تجريبي لضم ٩ حالات لمركز الرعاية النهارية الذي سيفتح قريباً .

برنامج الرعاية في دول الخليج العربي :

أود أن أتكلم بتحفظ عن دول الخليج فترة رئاسي للمركز الاقليمي ما بين

١٩٧٩ - ١٩٨٢ .

سنحاول أن نلقي نظرة على برنامج الرعاية في دول الخليج العربي ، لقد تكلم الأخ هاشم تقي عن المعوق الكويتي بما فيه الكفاية فقط سوف أتطرق باختصار لحالات التخلف العقلي الشديد سأطرق إلى الذين لا تنطبق عليهم شروط القبول بمدارس التربية الفكرية بالمعاهد الخاصة والحالات التي يبقى أصحابها في المدارس العادية ويرفضون بعدها أن يرسلوا إلى الخدمة الاجتماعية أو المعاهد الخاصة ممن

تصل نسب ذكائهم إلى أقل من ٥٠٪ ومجموعة كبيرة من هذه الحالات قد مكث أصحابها في المدارس العادية فترة ويرفضون قبولهم في المعاهد الخاصة ، فلا بد للدولة أن تحل مشكلتهم .

دولة الكويت :

تتمثل الرعاية في دولة الكويت في وزارة الصحة ووزارة الشؤون ووزارة التربية والجمعيات الأهلية ومنها جمعية المكفوفين ومركز تقويم وتعليم الطفل والجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، وقد تكلم عن هذه الخدمات السيد هاشم ، وحسب خبراتنا ولقاءاتنا الدولية تعتبر دولة الكويت في صف الدول المتطورة .

المملكة العربية السعودية :

إن سياسة الدولة هو خدمة أكبر عدد ممكن من المعوقين ووزارات الدولة الثلاث تقوم بالتنسيق فيما بينها لخدمة هذه الفئة وهي وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل - ووزارة الصحة والمعارف .تقوم الدولة بدفع ٦٠٠ ريال سعودي للعائلة التي ترغب في رعاية طفلها وهذه الطريقة بدأت تشجعها كثير من الدول في العالم المتقدم اقتناعاً بأن الأسرة هي المكان الدافئ للطفل المعوق مع توصيل الخدمات له ولأسرته .

تعمل الدولة على توفير الخدمات الخاصة بالمعوقين في البيئة التي يعيشون بها .

تشمل خدمات وزارة الشؤون في مراكز التأهيل الاجتماعي مؤسسات رعاية الأطفال المشلولين ومراكز التأهيل المهني .

أما عن وزارة المعارف فتقدم الخدمات من خلال المعاهد الخاصة التي بدأت منذ ٢٠ سنة وتضم :

- ضعاف العقول

- الصم والبكم القابلين للتعلم والتدريب
 - المكفوفين القابلين للتعلم
 - معاهد التربية الفكرية للمتخلفين عقلياً والقابلين للتعليم أو التدريب
- «EDUCATIONALLY DISABLED»

وزارة الصحة تقدم خدمات من خلال مراكز التأهيل الطبي .

وجود جمعيات أهلية ومؤسسات أهلية للأطفال المعوقين أنشئت على أحدث أساليب الرعاية ولكن هناك قصوراً في تلك الخدمات لأنها تعتمد على الكوادر الأجنبية . تعمل المملكة العربية السعودية على التغلب على هذا القصور بمحاولة تدريب الكوادر الفنية وتشجيع الشباب بالعمل في حقل المعوقين بالخوافز المادية وعمل برامج تدريب تناسب العاملين في هذا الحقل . ودراسة برامج التربية الخاصة في الجامعة .

تدريب طلبة كلية الطب في متابعة حالات التعوق حتى بعد التخرج .

دولة البحرين :

الخدمة تقدم من قبل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ووزارة الصحة ووزارة التربية بالإضافة إلى عدد من الجمعيات الأهلية ، وهناك لجتان تقومان بالتنسيق ورسم السياسة هما اللجنة العليا لرعاية المعوقين ولجنة الخدمة الاجتماعية وهذه لجنة دائمة .

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل :

تقوم بخدمات التأهيل ، ونود أن نذكر هنا مركز تأهيل يقع بمدينة عيسى يقدم خدمات لأكثر من ١٢٠ طفلاً من فئة عمر ٦ - ١٢ سنة وهم ضعاف العقول قابلين للتعليم .

خدمات المنظمات الإقليمية :

تتمثل في معهد النور للمكفوفين وهذا المعهد يقبل المكفوفين فئة عمر ٦ - ٢٠ سنة حيث يتلقى التلاميذ المناهج التعليمية .

جمعيات أهلية :

يتلقى حوالي أكثر من ٤٠ طفل الرعاية التعليمية من فئات التخلف العقلي في مدرسة الأمل وبرامجهم تعليمية وتأهيلية .

دولة الإمارات العربية المتحدة :

تنص المادة السادسة عشرة من الدستور المؤقت للدولة على أن يشمل المجتمع برعايته الطولة والأمومة ويحمي الأشخاص العاجزين عن رعاية أنفسهم بسبب العجز أو المرض الخ . .

لقد اهتمت الإمارات برعاية المعوق وكونت لجنة وزارية عليا من وزارة الصحة ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل وممثل منظمة اليونسيف وذلك في بداية الثمانينات لدراسة حجم مشكلة الإعاقة ووضع خطة مستقبلية للتنسيق بين أجهزة الدولة لخدمة تلك الفئة من المجتمع .

تقدم برامج الخدمة للمعوقين من خلال وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بعمل خطة مشروع للتأهيل بالتعاون مع منظمة اليونسيف في ٨١ - ٨٢ بديء بالمرحلة الأولى فتم إنشاء مركز لتأهيل المعوقين من عمر ٦ - ١٤ سنة في أبوظبي ودبي وعمل مركز يخدم ٥٠٠ حالة من فئات المكفوفين والصم والبكم والمشلولين المرحلة الثانية بدأت (٨٣ - ٨٥) حيث تم إنشاء مراكز تأهيل في الإمارات الخمس .

وزارة التربية :

خدمة الأطفال المعوقين في فصول خاصة في نطاق المدارس العادية دون

عزلهم عن بيئتهم الطبيعية واندماجهم مع زملائهم وهذه الطريقة الحديثة تتبع في الدول المتقدمة وقد جاءت لصالح الطفل الخليجي - حيث لم يكن هناك أي خدمات للطفل المعوق وبدأت النشاطات أثناء السنة الدولية للمعوقين وبعد المسح الذي قامت بها إدارة الخدمة الاجتماعية والنفسية تم التعرف على حجم المشكلة ولم يكن لديهم مدرسة للتربية الخاصة وكان ذلك من صالح الطفل .

النشاط الأهلي :

قامت منظمة الأسرة العربية وهي هيئة إقليمية بإنشاء مركز للمعوقين من الأطفال (٦- ١٤) من دول الخليج وذوي العاهة العقلية والجسمية .
عمل تجربة تأهيل الشباب سن ١٨ سنة .
عمل مراكز للبحوث والتدريب .

دولة قطر «الخدمات حديثة»

- ١ - وخدمة المعوقين مركزة على النشاط الأهلي وتساند الدولة هذه النشاطات مادياً .
- ٢ - الدولة تشجع الأسرة على رعاية طفلها في البيت بدفع ١٨٠٠ ريال شهرياً .
- ٣ - الدولة في صدد إنشاء مؤسسات لخدمة المعوقين .

عمان :

قبل السنة الدولية لم يكن هناك أية خدمات للأطفال ولكن منذ ٧٩ / ٨٠ تكونت لجنة وطنية للعام الدولي للمعاقين ووضعت خطة للتأهيل الطبي والتربوي والاجتماعي ، وهذه اللجنة نفذت كثيراً من المشاريع لخدمة الأطفال والشباب .

العراق :

من أقدم الدول الخليجية التي بدأت برعاية المعوقين فقد بدأت بالاهتمام

بمشكلة المعوقين عام ١٩٣٧ حيث :

١ - أنشأت جمعية لرعاية المتخلفين عقلياً والصم والبكم والمكفوفين وهي جمعية العمل الاجتماعي .

٢ - في سنة ١٩٤٩ أنشئ معهد رمزي لرعاية المتخلفين عقلياً وقد ضم المعهد ١٢٠ طفلاً .

٣ - ١٩٧٩ تكونت هيئة شبه مستقلة لرعاية المعوقين ترتبط مباشرة مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل وتضم في عضويتها وزارة التخطيط والصحة والاسكان وجمعية المعوقين العراقية وهذه الهيئة التي تنسق وتضع خطة الرعاية والتدريب .

٤ - يوجد في العراق ٦ مؤسسات ومركز تأهيل لفئات المعوقين المختلفة وهذه المؤسسات مزودة بأحدث الأجهزة والمعدات .

٥ - يوجد في العراق أكبر معهد للتأهيل والتدريب تابع لوزارة الصحة مجهز بأحدث الأجهزة المتطورة ومعدات وأجهزة تعويضية .

٦ - يوجد في العراق مصنع للملابس تابع لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل يعمل بهذا المصنع كثير من الشباب والشابات المتخرجين من مدارس الصم .

٧ - نادي معوّقي الحرب يخدم كثيراً من الشباب ويقوم هذا النادي بالتدريب والندوات والمؤتمرات الدولية .

٨ - جمعية المعوقين العراقية أعضائها من الأطباء المتخصصين مهمتهم التخطيط لرعاية المعوقين ولديهم معرض دائم للأجهزة التعويضية .

بالرغم من حداثة الاهتمام بفئات المعوقين في منطقة الخليج (بداية الستينات نود أن نلقي نظرة على نواحي القصور في مشكلة المعوقين في منطقة الخليج .

١ - التخطيط للبرامج الخاصة لفئات المعوقين يتم على أساس قطاع وزارة الشؤون

- ١ - وزارة التربية - وزارة الصحة والجمعيات الأهلية مما يترتب عليه الازدواجية والتداخل .
- ٢ - معظم المشروعات في مجال التأهيل الشامل للمعوقين تعتمد أساساً على إنشاء المؤسسات التي يعزل فيها المعوق عن بيئته .
- ٣ - معظم البرامج تركز على الجوانب العلاجية وتنسى الجانب الوقائي الذي هو أقل تكلفة .
- ٤ - أجهزة التخطيط في المنطقة تفتقر إلى الاحصاءات الدقيقة عن حجم مشكلة الإعاقة .
- ٥ - عدم وجود البحوث الميدانية في مجال الإعاقة .
- ٦ - قلة الكوادر الفنية المتخصصة .

كيف تطور هذه الخدمات لمصلحة الطفل الخليجي ؟

أولاً: تكوين مجلس أعلى لشئون المعوقين :

على شكل هيئة مستقلة تكون تابعة لمجلس الوزراء وتضم هذه الهيئة وزارة الصحة والشئون ووزارة التربية وجمعية المعوقين وجمعية المكفوفين والصم وتضم عضوية المجلس أشخاصاً معوقين وولي أمر طفل معوق .

مهمة المجلس :

- ١ - رسم السياسة العامة للشخص المعوق شباب / أطفال وتأهيلهم .
- ٢ - تحديد الفئات التي سيعد لها برنامج التأهيل .
- ٣ - وضع برنامج زمني .
- ٤ - إعداد برامج وقائية ومتابعة تنفيذها وتشجيع البحوث الميدانية .
- ٥ - التنسيق بين الأجهزة الحكومية والأهلية .

ثانياً: الحد من مسببات الإعاقة «فالوقاية خير من العلاج»

لابد من الحد من هذه الأسباب وذلك عن طريق :

١ - دعم برامج الأمومة والطفولة .

٢ - فحص الراغبين في الزواج .

٣ - التثقيف الصحي والغذائي للحامل (وزارة الصحة)

٤ - الفحص الدوري للحامل واستشارة العيادة الوراثية .

٥ - الوقاية من الأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية .

٦ - التغذية السليمة .

٧ - الاحتياطات أثناء الوضع فكثيراً ما تحدث التعوقات عن طريق الولادة

(BIRTH TRAUMA) النسبة العالمية للشلل الدماغي ١- ٢ بألف

وبالكويت هناك أكثر من ١٠ بألف .

٨ - الفحوصات الأساسية للطفل بعد الولادة مباشرة للكشف المبكر عن الحالات

المسببة للإعاقة مثل خلل التمثيل الغذائي (RKU) أو تباين دم الطفل والأم

(RH) أو التهابات الصفراوية واتخاذ اجراءات العلاج ومتابعة الطفل عند

حدوث حالات القصور في الحواس (متابعة نموه الجسمي والعقلي) ، وليس من

الضروري أن يؤدي العجز إلى الإعاقة . وكثيراً ما يؤدي عدم أخذ العلاجات

البيسيطة إلى زيادة العجز .

٩ - تشجيع الرضاعة الطبيعية .

١٠ - التطعيم والتحصين ضد الأمراض .

١١ - عدم التعرض لأشعة أكس .

١٢ - مسح جميع المواليد أثناء الولادة لاكتشاف مسببات المرض مبكراً واكتشاف

أعراض الخلل والتمثيل الغذائي الذي يؤدي إلى التخلف العقلي كذلك

أمراض الوراثة والضعف في الهرمونات .

ثالثاً: إجراء عملية مسح شامل

هذه مرحلة أساسية عن وضع الخطط التنفيذية، الهدف منها هو تحديد حجم المشكلة ونوعها.

رابعاً: تدريب العاملين

منطقتنا تفتقر للكوادر المتدربة ، ولاشك أن أساس نجاح أي مشروع من مشاريع التأهيل يتوقف على كفاءة الفنيين والإداريين . وتعوق التأهيل ناتج من ندرة المتخصصين مما يتطلب إنشاء كليات وأقسام للدراسات العليا في جامعاتنا لنستطيع توفير هذه الكوادر .

خامساً:

إعداد تشريع خاص وشامل يقدم الخدمات المنظمة والكاملة في المجالات:

الطبية

الاجتماعية

التربوية

التأهيلية

الإسكان والمواصلات

نظراً لحاجة الخدمات التأهيلية إلى جهود أجهزة متعددة وضرورة ترابط هذه الخدمات وتجنباً لأي صراع ينشأ حول اختصاصات الوزارات الثلاث ومنعاً من تكرار الخدمات وازدواجها وتضارب مصالحها على حساب الطفل ولتحقيق مصالح هذه الفئات من الأطفال والشباب لا بدّ من وجود هذا المشروع الكامل لحقوق المعوقين ويطيب لي هنا أن أقول بأننا وضعنا اللبنة الأولى لهذا المشروع وهو في طريقه إلى مجلس الوزراء وإذا ما تحققت فسنستطيع بذلك أن نشكل مجلساً أعلى لرعاية المعوقين يخدم المعوقين في الكويت ، ويكون بمثابة حلقة الوصل بين

الوزارات الثلاث . والأمر لا يقتصر على مشروع القانون فقط بل نود أن تكون هناك جهة أو هيئة في وزارة التربية شبه مستقلة في تقديم جميع خدمات المعوقين وأن يكون لها ميزانية خاصة . في أمريكا تعتبر الميزانية الكبرى هي ميزانية التربية . . . كذلك لابد من وجود هيئة خاصة في وزارة الصحة مهمتها الإشراف على الطب الطبيعي والتدريب والكوادر الفنية والأطراف الصناعية ، وبما أن في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل إدارة لرعاية المعوقين . إذن يجب أن تتكاتف هذه الجهات وأن تكون كالجسر الموصل والمساند لهذا المجلس الأعلى الذي يخدم ويحل جميع المشاكل .

المراجع /

- منظمة الصحة العالمية .
- منظمة التأهيل الدولي .
- منظمة اليونسيف .
- بحوث الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين .
- المؤتمرات الدولية .

الحوار

١ - د. عبد الله عبد الدايم :

الزملاء الذين تحدثوا (د. أحمد والأستاذ هاشم والسيدة منيرة) كلهم تحدث عن خبرة عميقة ودراية واسعة في هذا الموضوع ولا يتسع المجال للدخول في مناقشات حول مفهوم الطفل العادي والطفل غير العادي وحول الحدود بين الطفل العادي وغير العادي فهذه المشكلة لم يتفق عليها حتى العلماء في كثير من بلدان العالم حتى اليوم. لا أنوي أن أدخل في هذا الميدان فهو ميدان واسع ولكني أريد أي أشير إلى بعض الملاحظات العابرة السريعة، وللملاحظة الأولى، كما ذكرت السيدة منيرة، أن هناك اهتماماً كبيراً بالتربية الخاصة في بلدان العالم المتقدمة وأستطيع أن أقول بأن البلدان المتقدمة تردّ اليوم المؤشر الأساسي لتطور التربية في بلد من البلدان إلى شيئين : الأول هو العناية بالتربية السابقة على التعليم الابتدائي والثاني هو العناية بالتربية الخاصة، هذان مؤشران يعتبران اليوم من أهم مؤشرات تطور التربية في البلدان المتقدمة. أحب أن أشير إلى ما ذكره الأخوان وأكد عليه الزملاء من أهمية دمج الأطفال غير العاديين بأقرانهم العاديين والدمج له معنيان المعنى الأول هو الذي أشار إليه الزملاء كلهم بدقة ومن المهم أن نذكر ما يتصل بالدمج الأول وأعني به الدمج داخل الصفوف مع الأطفال العاديين لأن الأمر يتوقف في النهاية على نوع الإعاقة ومستوى الإعاقة وليست هناك قاعدة عامة فهذا ما يتصل بأنواع الإعاقات ومستواها والحديث سيطول هنا فالمستويات عديدة والتعريفات عديدة، لكن النوع الثاني من الدمج يعيننا أكثر وقد أشار إليه الزملاء

وأعتقد أنه يحتاج في بلادنا وفي هذه المنطقة بشكل خاص إلى شيء من التأكيد وهو الدمج بالمجتمع وهو الأمر الأهم . . . الدمج بالمجتمع (كما ذكر الأستاذ هاشم) يتم في الكويت مثلاً للمصابين بعاهات جسدية عن طريق مركز التأهيل المهني ويتم أيضاً للمصابين بالصمم والبكم ولكنه لا يتم بالنسبة للفئات الأخرى، والواقع أن سائر الفئات يمكن أن يتم دمجها في المجتمع مع ملاحظة مستوى الإعاقة بطبيعة الحال وفي البحرين تجربة جيدة في هذا الموضوع في مركز التأهيل الذي هو مركز حديث نسبياً حيث لم يتجاوز عمره خمس أو ست السنوات وقد شاركنا في إنشائه .

والملاحظة الثانية تتصل بموضوع التنسيق داخل المنطقة (كما ذكر د. أحمد) وبالتالي التنسيق في منطقة الخليج وأكثر من هذا أقول إننا نحتاج إلى التنسيق بين البلدان العربية ومن المثير للدهشة أنه على الرغم من أهمية هذه المشكلة ومن هذه الأعداد الكبيرة من المعوقين في البلدان العربية لا نجد حتى اليوم أي معهد لإعداد معلمي المعوقين في البلدان العربية وقد قامت جهود ومحاولات واتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ سنوات قراراً بإنشاء مثل هذا المعهد وتعاونت في هذا المجال مع منظمة اليونسكو وقدمت إحدى الدول العربية أرضاً لإنشاء هذا المعهد ومع ذلك لم يجد هذا المعهد طريقه إلى النور لأسباب مالية بالدرجة الأولى وهو أمر مؤسف حيث لا نجد أي معهد يعد معلمي المعوقين في العالم العربي وهذه مسألة كبيرة وضخمة جداً.

ومن بين المراكز الكويتية التي أشار إليها الأستاذ هاشم تقي جلب انتباهي مركز بتميز هو مركز الوراثة التابع لوزارة الصحة ولا أعلم عنه الشيء الكثير سوى ما سمعته الآن . وبهذه المناسبة أحب أن أمضي إلى جانب أشارت إليه السيدة منيرة إشارة جيدة وهو جانب الوقاية . طبعاً هي أشارت إلى جوانب عديدة من الوقاية وأشارت إلى الوقاية عن طريق الوراثة نفسها . وأحب في هذا المجال أن أشير إلى دراسات حديثة لعلها تستحق منا التوقف، دراسات حديثة جداً تتعلق بالكشف أو محاولة الكشف عن الصبغية (كروموزوم) التي تسمى بالصبغية س (xx) والتي

هي مسئلة عن معظم حالات التخلف العقلي المنغولية . إن هذه الصبغية (x) عندما توجد عند أم مؤهلة للحمل كثيراً ما تؤدي إلى ولادة أطفال متخلفين عقلياً مع اختلاف في درجة التخلف من الضعف إلى الشدة ولكن أصبح من المؤكد في الدراسات التي أجريت في فرنسا وأستراليا وانجلترا عن طريق أمثال (ترنروماتي وماندي) في السنوات الأخيرة أن الأم التي تحمل مثل هذه الصبغية (وهي كما تعلمون الصبيغات (جين) التي تحدد صفات الموروثات) تكون معرضة لتلد طفلاً متخلفاً عقلياً لهذا يوصي هؤلاء العلماء بالكشف قبل مرحلة الحمل وخلالها على نساء الأسر التي فيها تخلف عقلي من أجل التعرف قبل الولادة على مدى حملهن لهذه الصبيغات وبالتالي في حال حملهن لهذه الصبغية يصبح الإجهاض ممكناً في حال كون المولود ذكراً لأن الأناث لديهن صبيغات (x) ويمكنها أن تعوض بإحدى الصبيغتين عن الأخرى وقد بينت الدراسات أنه يمكن اجتناب عدد من حالات التخلف العقلي بفضل هذه الطريقة التي ما تزال مكلفة بعض الشيء ولكنها ليست بتكاليف الألام والمآسي التي يعاني منها الآباء الذين يصابون بأطفال متخلفين . ففي مجال الوقاية يجب الالتفات إلى دراسات علم الوراثة وعلم النسل التي تتقدم تقدماً مذهلاً اليوم ويمكن أن تقدم لنا سلاحاً جيداً في هذا المجال .

الملاحظة الأخيرة، عندما تحدثت السيدة منيرة حديثها القيم الدقيق عن الدافع . أشارت إلى تجربة البحرين إشارة عابرة لعل معرفتها بتجربة البحرين ليست وثيقة ولكن تجربة البحرين تجربة جيدة في مجال دمج المعوقين وهي تقوم بخدمات جيدة في هذا المجال .

د . محمد عودة :

أحب أن أشير إلى أن الاهتمام بالفئات الخاصة بشكل عام هو قضية حضارية فبقدر ما نتقدم حضارياً كمجتمعات بمقدار ما نلتفت إلى الفئات الخاصة . والتقدم الحضاري شامل سواء في جوانبه الأخلاقية أو الاقتصادية أو

السياسية الخ . ولقد يبدو ممكناً أن نعزو عدم الاهتمام بالفئات الخاصة في مجتمعاتنا العربية بشكل عام ليس في منطقة الخليج فقط، لهذا السبب الحضاري . هناك قضية منهجية حقيقية، مذهل جداً أن أسمع بلداً مثل الكويت بدأت بالاهتمام بقضية المعوقين منذ مطلع الخمسينات أي منذ حوالي ٣٠ سنة ثم لا توجد لدينا حتى الآن إحصائيات تعطي تصوراً بسيطاً لعدد المعوقين في المجتمع الكويتي ولهذا تمت الاستعانة بإحصائيات من دول أجنبية وشيء مذهل أيضاً أن لا توجد لدينا إحصائيات، حتى ولو بصورة تقريبية، بالنسبة لحالات الإعاقة من ناحية أخرى، ويقدر ما يتعلق الأمر بإطار المنهجية أشار الدكتور أحمد إلى قضية التشخيص المبكر وهذا لا خلاف عليه لكن لا أستطيع أن أشخص إذا لم يكن لدي معيار معتمد للتشخيص ومن خلال التعريف والتعليقات التي سمعتها من الأخوان المعقبين يتبين أنه حتى الآن لا يوجد لدينا هذا المعيار المعتمد، ومن هو الطفل العادي وما هو معياره حتى أستطيع أن أحدد من هو الطفل المعوق . ما لم نصل إلى وضع المعيار - حتى لو كانت هناك خلافات بالنسبة لعلماء التربية والنفس على مستوى عالمي له - فإننا لن نستطيع فرز الأطفال المعوقين من غير المعوقين . إذاً أية خطة مستقبلية نريد أن نضعها لا بد أن تبدأ بإحصائيات دقيقة عن أعداد المعوقين في المجتمع ومن دون هذه الإحصائيات ومن دون المعيار المعتمد كيف نستطيع أن نحصي ثم أن نشخص ثم نبدأ العملية العلاجية . لقد أثار الدكتور أحمد مسألة مهمة حين ربط قضية الإعاقة باتجاهات الناس نحو المعاق . وسؤال يُطرح ، متى تكون الإعاقة مشكلة؟ هناك من المعوقين من استطاع أن يعوض عن إعاقته ويبدأ أقرانه العاديين والأمثلة كثيرة في مجتمعنا منها أبو العلاء المعري وطه حسين وغيرهم ، وهناك الكثيرون سواء في مجتمعنا أو في غيره من المجتمعات ممن كانوا معوقين واستطاعوا أن يعوضوا عن الإعاقة بشكل مبالغ فيه .

إذاً متى تكون الإعاقة مشكلة ومن الذي يحدد كونها مشكلة هل هو المجتمع أم الفرد؟ . هذه التساؤلات لا تحتاج إلى توقيفات لدراسة سيكولوجية الإعاقة نفسها من خلال منظور الفرد للإعاقة فهناك من الأفراد من لا يعتبرها إعاقة ويستطيع أن يتعايش معها كجزء من عاداته ومن حياته وهناك من الأفراد من يعتبر الإعاقة

مانعاً ضخماً جداً لا يستطيع أن يتجاوزه . كل هذه الأمور تحتاج إلى المزيد من التعمق في درسها .

الدكتور عبدالله الدنان :

القضية الأولى عندي هي أن التخلف نسبي ، معنى ذلك أن المعايير التي توضع هي التي تتحكم في مدى التعوق وبما أن هذه المعايير غالباً ما تأتي من الخارج إذا فهي تنطبق على مجتمعات بذاتها وليس تنطبق بالضرورة على مجتمعا . لقد أشار الدكتور أحمد بأن نسبة المعوقين أو المتخلفين عقلياً في المجتمع الأمريكي كانت عالية بين الفئات السوداء أو الملونة وهذا يدل على أن المعيار الذي يضعه الرجل الأبيض في الحقيقة منحاز . والطريف جداً أنه قد وضعت معايير أخرى وطبقت على المجتمع الأمريكي فتبين أن الأبيض كان متخلفاً أكثر من الأسود بالنسبة لتلك المعايير ، والنقطة الثانية في مجال الوقاية خير من العلاج الذي أشارت إليه السيدة منيرة وسؤالي هل هناك دراسات معينة يمكن أن تثبت أن المعوق يخلف معوقاً ؟ ولا أقصد هنا بالتعوق الجسمي ، وإنما أقصد التعوق العقلي ، إذا كان الأمر كذلك فلا بد من تشريع للوقاية في هذه الحالة .

والنقطة التي أوردها الدكتور عبدالله عبدالدايم عن الاجهاض بالنسبة للمرأة التي تحمل الصبغية اكس ، والذي أعرفه أنه لم تتكرر حالات منغولية في عائلة واحدة إطلاقاً ولم يسجل غير حالة واحدة في العائلة الواحدة وأن العائلة التي فيها طفل منغولي فيها أيضاً عباقره وذوو نسب ذكاء عالية ، وأنا أحكم من خبرة مباشرة والنقطة الأخيرة التي أود أن أتحدث عنها هي توريث الذكاء ، ويوجد الآن دراسات أثبتت أن الذكاء يورث وأن العناية بالطفل منذ الصغر لا تلمع ذكاءه فقط ولكن تزيده أيضاً ، فإذا كانت هاتان النقطتان واردتين ، إذاً فالمجتمعات التي تتمتع بعناية كبيرة للأطفال منذ الصغر - وهي النقطة التي أوردها الدكتور عبدالله عبدالدايم بخصوص العناية بالطفل ما قبل المدرسة ، تدل على مدى حضارية المجتمع وتقدمه ، فإذا ما اعتنى بالأطفال قبل سن المدرسة ثم أن هؤلاء الأطفال إذا

زيد ذكاؤهم يكونون من الذين يورثون هذا الذكاء وبحركة ديناميكية زيادة الذكاء ثم توريث هذا الذكاء فإننا قد نكون مقبلين بعد لا أدري كم عام على نوع من التقسيم العجيب في الكرة الأرضية لشعوب متخلفة وشعوب ذكية ، أليس هذا وارداً ، ومن هنا لابد من الدعوة والتشديد على العناية بالطفل قبل المدرسة والعناية بالمعوقين أطفالاً وكباراً .

الدكتور / محمود بستان :

أود أن أشكر الأخ هاشم والسيدة منيرة والدكتور أحمد عبدالله على المعلومات القيمة التي قدمت حول بعض القضايا الحيوية المتعلقة بالطفل غير العادي في منطقة الخليج . ولكن هناك بعض الملاحظات العابرة أود أن أناقشها مع الإخوان وأترك لهم الإجابة عليها وهي مجرد تساؤلات . د . أحمد عبدالله عندما قال نحن نحلم بأشياء كبيرة لا نستطيع تحقيقها . ان هذه الملاحظة تجعلني اتساءل كيف لا نستطيع كتربيين أن نبدأ العمل في مكان ما وهل هذا اقرار على أنفسنا بحالة من العجز ؟ كذلك أود أن أتساءل عن أسباب التأخر في إعداد المعلمين الخاصين لهؤلاء الأطفال في مؤسسات متخصصة مثل كلية التربية . إذاً ما هو دور الكليات والمعاهد في تأهيل هذه القوى البشرية التي تعمل في مجال المعاهد؟

بالنسبة للأستاذ هاشم ، المعلومات التي قدمها كانت في الحقيقة معلومات قيمة في هذا المجال كذلك أثار الأستاذ هاشم قضية خطيرة وهي امتناع بعض الأسر عن الإفصاح عن وجود إعاقات بين أطفالها . لقد كان لي شرف رئاسة لجنة تعالج أحوال الأطفال المنغولين في الكويت ووجدنا أن ١٠٪ فقط من الأسر هي التي تفصح في وجود طفل منغولي فيها و ٩٠٪ رفضت الإفصاح مع العلم أن هدف اللجنة كان حصر هذه الاعداد . ورداً على تساؤل د . عودة حول عدم وجود إحصائيات نحن حاولنا الحصول على إحصائيات من الميدان مع مؤسسات

متخصصة مع مركز الوراثة في مستشفى الصباح ومع ذلك لم نحصل على المعلومات الدقيقة حول المعوقين في مجال المنغولية .

والسؤال الأخير الذي أود أن أطرحه هو . . . ما هو دور المؤسسات ذات العلاقة في التوعية الأسرية حول ما قلناه بأن الإعاقة هي مصنوعة وليست مولودة .
إذاً ما هو دور الجمعيات أو المؤسسات التي تعنى بالمعوقين ما هو دورها في التوعية الأسرية . لقد وضعنا اللوم على أجهزة الإعلام وربما وسائل الإعلام تضع اللوم على المشرفين اشرافاً مباشراً على المعوقين فمن هو المسؤول فعلاً؟ .

هناك سؤال أخير أرجو الأخت منيرة التفضل بالإجابة عليه . . . نسمع عن لجنة مشكلة لغرض الإشراف على المعوقين في الكويت وربما إنشاء مؤسسة وطنية تتولى رعايتهم . . فما هو دور هذه اللجنة؟ وإلى أين انتهت أعمالها؟ .

السيدة منيرة المطوع :

جواب لسؤال د . عودة : عن أين يذهب أطفال الوافدين المعوقون؟ لقد أسسنا الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، إن من أهداف الجمعية أن ترعى الحالات المعوقة التي لا تقبلها وزارات الدولة (الشؤون والتربية والصحة) وطبعاً أكثر الحالات هي من غير الكويتيين فالمسجلون في الجمعية حالياً ٤٠٠ حالة ترعاها الجمعية نصف هذه الحالات من غير الكويتيين ونحن نرعى كذلك حوالي ١٣٢ حالة غير حالات الرعاية النهارية والمدرسية وحوالي نصف هذه الحالات من غير الكويتيين .

إذاً أهداف الجمعية هي لرعاية الأطفال المعوقين الوافدين (الجنسيات الأخرى بما فيها أولاد البادية) ويمكن لك أن تتفضل بزيارتها لترى بنفسك .

أما بالنسبة لموضوع الإحصائيات؟ فإنني تمنعت عن ذكر الإحصائية بالأرقام الصحيحة عن الكويت واكتفيت بالقول ١٠٪ ولا أستطيع أن أقول مثلاً ١٥٠ ألف معوق لأن الإحصائيات متكررة . . . فلدينا في الجمعية إحصائية ولدى وزارة

التربية إحصائية ولدى وزارة الشؤون إحصائية أخرى، فيمكن أن تكون هذه الإحصائيات متكررة حيث أن نفس الطفل الذي سجل لديّ يمكن أن يكون قد سجل لدى وزارة التربية أو وزارة الشؤون. وعندما أذكر إحصائية وعدداً يجب أن يكون العدد صحيحاً. وإن شاء الله وعن طريق المجلس الأعلى سيكون لدينا جهاز متخصص وتكون هناك جهة واحدة للتسجيل وجهة واحدة لرسم سياسة الخدمات.

أما عن تساؤل الدكتور البستان حول اللجنة أود أن أبين: أن هذه اللجنة بدأت بدراسة وضع مشروع عام لرعاية المعوقين ومحاولة الوقوف على حجم الإعاقة وسبل الوقاية... الخ وكانت هناك لجنة أخرى تدرس وضع أسس للفحص قبل الزواج. وطبعاً اللجان تجتمع وترفع التوصيات إلى الجهات المختصة. وهي طبعاً ضمن مشروع القانون لقد كنت رئيسة اللجنة التشريعية العليا لرعاية المعوقين وقد وضعنا المادة (١٥) من القانون الخاص لهذا الغرض ولكنها لم تدرج كمشروع ضمن مشاريع السنة الدولية للمعوقين ثم أعدنا إحياء هذا القانون وأرسلناه إلى مجلس الوزراء ثانية ليدرس. وسوف نحتفل به في السنة الجديدة إن شاء الله أما بالنسبة لسؤال د. عبدالله الدنان: عما إذا كان الوالدان المعوقان يورثان التخلف العقلي والتعوق لأبنائهم فيوجد لدينا قسم استشارة هو قسم الوراثة ولدينا أقسام الوراثة ويوجد قسم الرعاية المركزية في مستشفى الولادة وأقسام أخرى تقدم لاستشارة الوراثة للأم الحامل ولمعرفة ما إذا كان هناك حالات متكررة للتعوق في الأسرة الواحدة ولمتابعتها بحيث يمكن الوقاية منها وحدثت حالات كثيرة أمكن تحاشيها.

د. أحمد عبدالله:

بالنسبة لسؤال الدكتور بستان برأيي ليس هناك ما يضر من أن يحلم الإنسان وأنا اتفق معكم. ليس هناك من ضرر أن يحلم الإنسان إذا كانت الأحلام هي الوسيلة لتخيل الحلول ولكن إذا كانت غاية في ذاتها فإن الأحلام

وحدها لا تحقق الغايات. والسؤال الثاني جوابه يرتبط بالقضية الأولى قضية الأحلام، أستطيع أن أقول أننا مقصرون بشكل أو بآخر بتقديم الخبرات التي يفترض أن تكون موجودة في كليتنا ومعاهدنا - كلية التربية مثلاً يجب أن يكون فيها قسم للتربية الخاصة كما هو معمول به في أماكن كثيرة من العالم - ولكن دعونا نأتي إلى الواقع. فقد يكون هناك مشروع وبرنامج للتربية الخاصة وقد نتحمس له حماساً شديداً ولكن الحماس لا يكفي فلو رجعت إلى الواقع لا أستطيع أن أجد هناك من يستطيع أن ينفذ هذا البرنامج الضخم لأننا نحتاج إلى عاملين في هذا المجال من أساتذة متخصصين في جوانب مختلفة من جوانب الإعاقة بالإضافة للتربية العملية، حقيقة أنا لا أريد أن انتقص من قدر العاملين في مجال رعاية المعاقين في المعاهد الخاصة أو أي مكان آخر ولكن هل التدريب الموجود في المعاهد الخاصة كاف لتنفيذ كبير في مجال الرعاية؟

حَقاً... أنا أشك في ذلك. أنا متحمس أكثر من أي إنسان آخر ولكن أريد بعض العاملين وأريد بعض المرتكزات.

وبإشارة سريعة إلى قضية التشخيص ومدى إمكانية التشخيص أو التنبؤ بولادة طفل معاق. الحقيقة أن العملية ليست عملية جديدة وهناك أساليب كثيرة للفحص المبكر كأن يؤخذ سائل من رحم الأم في شهر حملها الرابع ويحلل وبهذه العملية نستطيع أن نعرف كثيراً من حالات التخلف والإعاقة منذ الشهر الرابع ولكن المسألة تظل عملية أدبية وترتبط بالشرع، هل يمكن الإجهاض إذا ما تأكدنا أن هناك حياة؟ هذه قضية أنا لا أستطيع أن أفتي بها وحتى في الولايات المتحدة الشرع لا يتدخل كثيراً ولكنها تظل مسألة الأم عندما تحس بهذه الحركة وتشعر أنها لا تستطيع أن تتخلى عن هذه الحركة مهما كانت العواقب.



تنمية أدب الأطفال في العالم العربي

الدكتورة جوليندا أبوالنصر



الندوة الثالثة

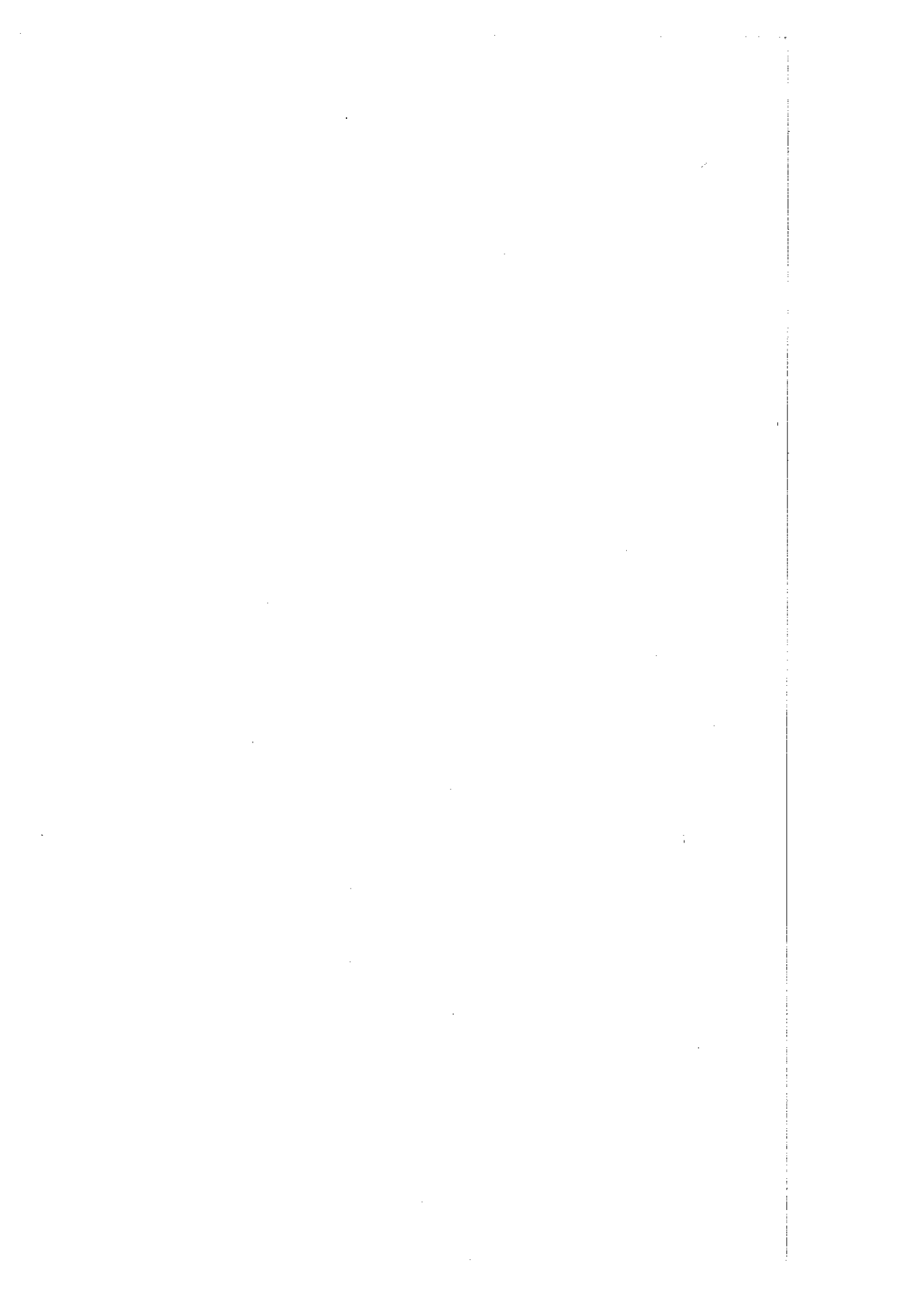
موضوع الندوة - تنمية أدب الأطفال في العالم العربي.
تاريخها - ١٩٨٧/٢/١٢.

المتحدث الرئيسي - د. جوليندا أبو النصر

مديرة معهد الدراسات النسائية في العالم العربي / كلية
بيروت الجامعية

المشاركون :

- ١ - د. محمد جواد رضا - جامعة الكويت
- ٢ - د. بدر العمر - جامعة الكويت
- ٣ - د. حامد الفقي - جامعة الكويت
- ٤ - د. كافية رمضان - جامعة الكويت
- ٥ - د. قاسم الصراف - جامعة الكويت
- ٦ - د. عادل ياسين - وزارة التربية
- ٧ - د. عبدالله عبد الدايم - جامعة الكويت
- ٨ - د. محمود بستان - جامعة الكويت
- ٩ - د. سلمى خماش - جامعة الكويت
- ١٠ - د. أحمد بستان - جامعة الكويت
- ١١ - د. أسامة الخولي - معهد الكويت للأبحاث العلمية
- ١٢ - د. رجاء أبو علام - جامعة الكويت
- ١٣ - د. محمد عودة - جامعة الكويت
- ١٤ - د. عبدالله الدنان - جامعة الكويت



تقديم الدكتور/ حسن الإبراهيم :

بسم الله نبدأ ونرحب بكم جميعاً في الندوة الثالثة من ملتقانا العلمي الرابع . موضوع ندوة اليوم أدب الأطفال في العالم العربي وهو من أول المشروعات التي تولتها الجمعية وقد تمّ الاتفاق بين الجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية ومعهد الدراسات النسائية في كلية بيروت الجامعية والذي ترأسه د . جوليندا أبو النصر على تنفيذه وقد لبّت الدكتورة جوليندا الدعوة مشكورة للمساهمة في ملتقانا هذا المساء وستحاول إعطاءكم تفاصيل المشروع والخطوات التي أنجزت حتى الآن . لقد تحمّلت الدكتورة أبو النصر الكثير في قدومها للكويت بسبب إغلاق مطار بيروت ، ووجودها بالكويت له غرض آخر هو تنفيذ أحد أجزاء هذا المشروع ألا وهو عقد دورة تدريبية لأمينات وأمناء مكاتب رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية وسوف تعقد هذه الدورة في مركز التدريب التابع لوزارة التربية وهي الدورة السادسة من هذا النوع حيث أقيمت الدورات السابقة في كل من (مصر/ البحرين/ المغرب/ عمان/ أبو ظبي). وفي بداية ندوتنا هذه لا بدّ أن ننوّه بدور لجنة المصارف الكويتية برئاسة السيد فهد عبد الرحمن البحر، فقد كان لهذه اللجنة الفضل الأكبر في تمويل هذه الدراسة التي بلغت تكاليفها (٧٥٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار كويتي، وقد تمّت موافقة لجنة المصارف بمباركة مشكورة من الأستاذ أنور النوري - وزير التربية - رئيس مجلس إدارة البنك الصناعي . وكان المفروض أن يتمّ إنجاز العمل في المشروع في ٢٣/١٢/١٩٨٥ ولكنه تأخر مدة سنة تقريباً بسبب الظروف القاسية التي يمرّ بها لبنان الشقيق . لقد كان من أهمّ نتائج هذا المشروع :

١ - دليل الكتب المختارة للأطفال .

- ٢ - دليل الكتاب والرسامين .
- ٣ - برامج تدريب أمناء مكتبات الأطفال .
- ٤ - قاموس بمفردات الأطفال .

حاضرة الإخوة والأخوات :

إننا مهما تكلمنا في أهمية أدب الأطفال فلا يمكن أن نكون مبالغين . ففي العالم المتحضر تعطى هذه القضية حقها من التقدير على أرفع المستويات ودعوني أضرب لكم المثل التالي .

في عام ١٩٥٢-١٩٥٣ كانت بريطانيا ما تزال تعاني من آثار الحرب . ولكن رئيس الوزراء المستر تشرشل طلب من الحكومة تخصيص يوم لمناقشة كتب الأطفال المطروحة في الأسواق وتأثيرها في تفكير الأطفال . وفعلاً تشكلت لجنة من ثلاثة وزراء ودرست الموضوع وكان من بعض قراراتها سحب كتب الأطفال الرديئة من الأسواق حرصاً على سلامة النشأة العقلية للأطفال البريطانيين . إن هذا درس مهم يحسن أن نعيه . يسعدني أن أترك المايكروفون للدكتورة جوليندا أبو النصر لتحديثكم عن موضوع الليلة .

دراسة أدب الأطفال في العالم العربي

تصدّر البلدان العربية سنوياً العديد من كتب المطالعة للأطفال، إلا أنها غير كافية لسدّ حاجات أطفالنا من حيث العدد والنوعية. وإن الافتقار إلى المقاييس المحددة والمطلوبة في كتب الأطفال ينعكس في نوعية الكتب المعروضة في الأسواق، فنلاحظ مدى التضارب بين ما يفضله الأطفال ويثير اهتمامهم وبين ما يجدونه بين أيديهم إذا شاءوا المطالعة.

إن تلبية تلك الحاجات توجب علينا توفير نوعية جيدة من الكتب المبنية على الأبحاث العلمية والحّد من الاعتماد على الكتب المترجمة. غير أن الأبحاث المتعلقة بأدب الأطفال في العالم العربي قليلة إن لم نقل نادرة، فإن أراد ذوو الاهتمام بأدب الأطفال الاستناد إلى المراجع العربية لتحسين نوعيته وجدوا ذلك متعذراً لقلة الأبحاث العلمية المشار إليها.

بناء على ما ذكر، وبما أن «معهد الدراسات النسائية في العالم العربي» يولي حاجات الطفل العربي الكثير من اهتماماته محاولاً تليتها، أخذ المعهد على عاتقه القيام بمحاولة رائدة في دراسة أدب الأطفال في العالم العربي آملاً بأن يكون فيها فائدة للمهتمين بهذا الموضوع. وكان «للجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية» فضلٌ كبيرٌ في تشجيعنا على القيام بهذه المحاولة وتمويل المشروع.

أهداف الدراسة:

الهدفان الرئيسيان من هذه الدراسة هو التوصل إلى توفير كتب أفضل

لأطفال البلاد العربية والتوعية بأهمية المطالعة في نمو الطفل المتكامل .
قسّمت الدراسة إلى قسمين، نظري وعملي .

القسم النظري :

يتناول هذا القسم من الدراسة المقاييس النظرية لعناصر الكتاب الجيد .
وذلك لأطفال من سن ٢ - ١٢ سنة . لقد توصلنا إلى هذه المقاييس بعد دراسة
العديد من المراجع العالمية المختصة بهذا الموضوع . يتناول هذا القسم أيضاً عرضاً
لحاجات الأطفال الأساسية من الناحية الفيزيولوجية والاجتماعية والإدراكية
والعاطفية ودور الأدب في تلبية هذه الحاجات . لقد وردت هذه المعلومات في دليل
كتاب ورسامي أدب الأطفال .

القسم العملي - التطبيقي :

يتناول هذا القسم اختبارات عملية قمنا بها لدرس المفردات والمصطلحات
اللغوية وما يفضّله الأطفال في كتب المطالعة . وقد حدّدنا مقاييس للأدب في ضوء
مقاييس علمية متفق عليها عالمياً وقومنا مجموعة كتب نتج عنها لائحة بالكتب
المختارة . كذلك أقمنا دورات تدريبية لكتاب ورسامي أدب الأطفال ولأمناء
مكتبات الأطفال في عدة دول عربية .

مصادر البحث :

تعدّدت المصادر لجمع المعلومات وأهمّها ما يلي :

- كتب الأطفال من سن ٢ - ١٢ سنة التي تمّ الاعتماد عليها لاختيار المفردات
والمصطلحات وما يفضّله الأطفال من ناحية الخط والحجم . كان عدد الكتب
١٠٧ اختيرت من لوائح مقترحة للمطالعة من قبل أساتذة ومريّين ، وحرصنا على
أن تمثّل هذه الكتب موضوعات عدة ودور نشر مختلفة .

- القواميس المدرسية في اللغتين العربية والفرنسية استعملت كمراجع إضافية لإغناء لائحة المفردات. وقد جرى اختيار المفردات منها من قبل الباحثين حسب فئة العمر المحددة للدراسة.
- عيّنت من لغة الأطفال في الروضة سجّلناها من أحاديثهم. أمّا بالنسبة إلى المرحلة الابتدائية فاخترنا عيّينات شفوية ومكتوبة من تقارير أطفال هذه المرحلة.
- سجلات الكتب المستعارة من المكتبة التي استقينها منها بعض المعلومات الخاصة بالموضوعات التي تهم الأطفال في هذه المرحلة.
- استشارات للأهل والأطفال لمعرفة ما يفضّله الأطفال من كتب وموضوعات، للمطالعة.
- كتب للمطالعة تمّ تقويمها وبلغ عددها ٨٢٦ كتاباً من ثلاث وستين دار نشر في لبنان وبلدان عربية أخرى.

منهجية العمل :

اختيار المفردات والمصطلحات :

بما أن هذه الدراسة هي محاولة رائدة في هذا الميدان توجب علينا أن نقوم ببعض الاختبارات الأولية (Pilot Test) في المرحلة الأولى لإيجاد أفضل الوسائل لجمع المعلومات. وقد بذلنا وقتاً وجهداً كبيرين في مرحلة التخطيط والاختبارات الأولية حتى توصلنا إلى وسائل مرضية للقيام بهذا العمل.

العينة :

نقّذ هذه الاختبارات في لبنان فريق عمل مؤلف من عشرين باحثاً وباحثة. تألفت العينة في المرحلة الأولى من المشتركات والمشاركين من الأطفال في مكتبة كلية بيروت الجامعية وعددهم ثلاثون. أطفال روضة كلية بيروت الجامعية وعددهم اثنان وخمسون. ١٣٣ مدرساً ومدرّسة لهم خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات في تعليم

اللغة العربية للصفوف الابتدائية في ثماني مدارس . خمس مدرّسات حضّانة ورياض أطفال ذوات خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات .

أمّا في المرحلة الثانية فأجريت الأبحاث على عينة قصديّة مؤلّفة من ٤٠٠٠ طفل تتراوح أعمارهم بين ست واثنتي عشرة سنة من تسع مدارس ابتدائية . راعينا في اختيار المدارس المستوى الأكاديمي والاجتماعي والمنطقة السكنية .

طريقة البحث ونتائجه :

إختلفت الطرائق المتّبعة في البحث باختلاف أعمار الأطفال . وبما أن العينة تشمل أطفالاً من عمر سنتين - اثنتي عشرة سنة توجّب علينا مراعاة مقدرتهم اللغوية وكذلك مقدرتهم على التركيز للإجابة عن الأسئلة المطروحة .

مرحلة ما قبل الدراسة من سن ٢ - ٥

تمّ جمع المفردات من أطفال ٣ - ٥ سنوات بطريقتين مختلفتين الأولى مشاهدة ٥٣ طفلاً من روضة كلية بيروت الجامعية أثناء اللعب وأثناء قيامهم بنشاطات مختلفة لفترة شهر بما يوازي ٣٦ ساعة . والثانية رواية القصص حيث طلب من الأطفال، كل بمفرده أن يتحدّث عن قصّة مصوّرة من مجموعة قصص اختارها الباحثون من مكتبة روضة الكلية وتتضمّن موضوعات مختلفة تمهم أطفال هذه السنّ . عند توقّف الطفل عن الكلام كان يطلب إليه أن يصف شيئاً معيناً في الصورة أو أن يتوقّع ما يمكن أن يحدث في الحبكة أو أن ينتقل إلى الصورة التالية . دوّن حديث الأطفال من قبل مراقبتين في الوقت نفسه .

أمّا في دراسة الأطفال من سن ٢ - ٣ سنوات فقد اعتمدنا على أحاديث قد سجّلتها طالبات صفوف مادة علم النفس في الكلية خلال فترة عشر سنوات (١٩٦١ - ١٩٧١) .

صنّفت المفردات التي جمعناها من أحاديث الأطفال في ثلاث مجموعات فصيحة وقريبة من الفصيحة ودارجة، فكانت النتيجة كما يلي ٣٠، ٢٠٪ دارجة،

١٢، ٢٧٪ قريبة من الفصيحة ٥٨، ٥٢٪ فصيحة . وقد اعتبرنا الكلمة فصيحة إذا وردت في ثلاثة قواميس مدرسية .

أمّا نسبة الأطفال فكانت ٢٨، ٣٤٪ والأسماء ٧٢، ٦٥٪ . وبعد تصنيف الأفعال والأسماء من المفردات حسب المواضيع تبين لنا أن معظم الأسماء التي وردت كانت تدور حول الطفل نفسه، وأشياء في محيطه كالمنزلة ومحتوياته، واختبارات اليومية في العائلة والبيئة والمدرسة . أمّا الأفعال فكثرت فيها الحركة .

أضفنا إلى الكلمات الفصيحة مفردات اختارها الباحثون من قواميس وكتب مختلفة أخرى لمرحلة ما قبل الدراسة على أساس تشابهها للغة المحكية ومدى قربها من اهتمام الأطفال مما أسفر عن لائحة تتضمن ٩٩١ كلمة .

أعطيت هذه المجموعة من المفردات إلى خمس معلّمت ذوات خبرة في تعليم أطفال هذه المرحلة وطلب إليهن اختيار ما يجدنه مناسباً لهذه السن، فأسفرت النتيجة عن لائحة تحتوي على ٩٣١ كلمة نالت موافقة ٦٠٪ من المعلّمت .

المرحلة الابتدائية من سن ٦ - ١٢

بعد تدوين وتصنيف ألف كلمة ومصطلح لغوي وردت في ١٠٧ كتب، قمنا باختبارها على مرحلتين :

المرحلة الأولى :

اختبار المفردات :

أجريت اختبارات أولية على عينة تألفت من ثلاثين طفلاً من فئة العمر (٦ - ١٢) كانوا أعضاء في برنامج خاص بمكتبة الأطفال في الكلية . قابلنا الأطفال حوالي ساعة يومياً لمدة شهر وطلبنا منهم إعطاء مرادفات للكلمات التي قرئت لهم . ولما كان قد تمّ اختيار الكلمات وتصنيفها حسب فئات الأعمار من قبل الباحثات فقد أعيد اختبار تلك الكلمات التي فهمها الأطفال في عمر معين مع فئة العمر

الأصغر سناً. الهدف الأساسي من هذه المحاولة هو تثبيت العمر للمفردات المختارة. أمّا الكلمات التي لم يفهمها الأطفال في العمر المقترح فقد أعطيت للأطفال الأكبر سناً.

أجريت هذه الاختبارات ضمن إطار ألعاب بسيطة كي لا يشعر الأطفال بأنهم في غرفة الصف أو أن الاختبار امتحان لقدراتهم وكذلك حافظنا على اهتمامهم بالمشاركة.

تمّ اختيار المفردات التي فهمها ٥٠٪ من الأطفال حسب فئات الأعمار التالية ٦-٧، ٨-٩، ١٠-١٢. وعلى ضوء نتائج الاختبار الأولي أضفنا إلى هذه اللوائح مفردات اختيرت من قواميس وكتب مطالعة أخرى فأسفرت النتيجة عن لائحة تحتوي على حوالي ١٠،٠٠٠ كلمة بين اسم وفعل. ثم قام فريق العمل بغرلة هذه المفردات وتمّ اختيار ٥،٥٩٧ كلمة قسّمت إلى أفعال وأسماء وضعت في لوائح.

أعطيت هذه اللوائح إلى ثلاث معلّّات لديهنّ خبرة في تعليم اللغة العربية في مختلف الصفوف الابتدائية في بيروت وطلب إليهن اختيار الكلمات المناسبة لفئات الأعمار المحددة. حصلنا على إجابة اثنتين منهن فقط. وكانت الموافقة بنسبة مئة بالمئة على ٢٠٧٨ كلمة.

أمّا الـ ٣٥١٩ كلمة التي اختلفت الإجابات حول تصنيفها فقسّمت إلى لوائح حسب فئات الأعمار وأعطيت إلى ٦٧ مدرّس ومدرّسة في مدارس ابتدائية مختلفة في بيروت والضواحي، كل حسب عمر الأطفال الذين يعلمهم وطلب من كل مشترك إبداء الرأي بملاءمة الكلمة للعمر المقترح أو اقتراح العمر المناسب في حال عدم الموافقة. حصلنا على معدل ١١ إجابة عن الكلمة الواحدة، وحيث كانت الموافقة في الإجابات ٥٠٪ اعتبرنا الكلمة مناسبة للعمر المذكور وكان مجموع الكلمات ٢٢١٨ كلمة.

اختبار المصطلحات

تم اختيار ١٣٧ مصطلحاً لغوياً من المصادر التي اختيرت منها المفردات .
أجري اختبار أولي على عينة من ٣٥ طفلاً بين عمر ٨ و ١٣ سنة بحيث طلبنا من كل طفل أن يفسر معنى المصطلح باللغة الفصيحة . ولما لم يتمكن من الإجابة ، شرحنا معنى المصطلح باللغة الدارجة وطلبنا منه أن يعطينا مرادفاً باللغة الفصيحة . وعند تعذر الأمر عليه أعطي المصطلح للأطفال الأكبر سناً . هذا الاختبار المبدئي سهّل علينا تقسيم المصطلحات وفق الأعمار بالشكل التالي : ١٩ مصطلحاً للأطفال من عمر ٨ - ٩ و ١١٨ مصطلحاً للأطفال من عمر ١٠ - ١٢ سنة . وذلك لتسهيل عملية اختبار المصطلحات على عينة أكبر من الأطفال في المرحلة الثانية من الدراسة .

المرحلة الثانية

تضمّنت المرحلة الثانية اختبار الكلمات والمصطلحات اللغوية مع الأطفال .

اختبار المفردات :

للتمكن من الوصول إلى المنهجية الأنسب قمنا باختبارات أولية على نطاق محدود مع عينة تتراوح بين ١٧ و ٢٥ طفلاً . اخترنا ١٠٠ كلمة من مجموعة الكلمات المصنفة لأعمار مختلفة وطلبنا من الأطفال ما يلي :

- إعطاء مرادف الكلمة بلغتهم .
- إذا تعذر ذلك ، وضع الكلمة في جملة .
- اختيار مرادف الكلمة من بين مجموعة كلمات .
- اختيار المعنى المضاد للكلمة من مجموعة كلمات .
- ملء الفراغ في الجملة بالكلمة المناسبة من مجموعة كلمات .

تبين لنا من خلال هذه التجربة المحدودة أن الوسائل الأنسب والأسهل لهذا النوع من الاختيار هي اختيار مرادفات أو أضداد أو كلمات لملء الفراغ من

مجموعة كلمات مقترحة فاعتمدنا هذه الطرائق في الاختيارات التي أجريناها وحرصنا على أن لا يستغرق ملء الإستمارة أكثر من ١٥ دقيقة .

بعد تحديد أساليب الاختبار تم تحديد المرادفات والأضداد والجمل للكلمات التي سيجري اختبارها وكان عدد الكلمات الإجمالي الذي توصلنا إليه ٢٣٨٧ كلمة أدرجت في ٢٢٤ استمارة حسب فئات الأعمار المحددة لها من قبل المعلمات والمعلمين والباحثين فاحتوت على ٣٥٧٣ كلمة بين مفردات ومرادفات وأضداد . استثنينا منها تلك الكلمات التي لا مرادف لها مثل «فلك» و «صقر» وغيرها فاعتمدنا في تصنيف الأخيرة على رأي المعلمات والباحثين وأشرنا إلى هذه الكلمات في اللائحة النهائية بعلامة (x) لتمييزها عن المفردات التي أجرينا عليها اختباراً مع الأطفال . فجاء توزيع الاستمارات كما يلي ٣٠ استمارة لعمر ٦ - ٧ سنوات ، ١١٠ استمارات لعمر ٨ - ٩ سنوات ، و ٨٤ استمارة لعمر ١٠ - ١٢ سنة .

في تحضير الاستمارات حاولنا بقدر الإمكان اختيار المرادفات والأضداد من اللائحة المقترحة للعمر الأصغر، مثلاً لتحديد مرادفات الكلمات المقترحة لعمر ٨ - ٩ سنوات ، حاولنا الاعتماد على المفردات المصنفة لعمر ٦ - ٧ سنوات . الهدف من ذلك أن لا تتأثر إجابة الأطفال على الكلمة بعدم معرفة المرادف لها . وتوزعت الكلمات التي وردت في الاستمارات على النحو التالي : اختيار المرادفات ٢١٢٧ كلمة ، معرفة الأضداد ٢١٩ كلمة ، وضع الكلمات في جمل ١٢٢٧ كلمة . وزّعت الاستمارات على تسع مدارس . أعيدت معظم الاستمارات وحصلنا على معدل ٣٥ إجابة للكلمة الواحدة لعدم اكتمال عدد الأطفال في الصف الواحد يومياً عند إعطاء الاستمارات .

ولتفادي الحصول على أجوبة استنتاجية ، أي مطابقة الكلمة الأخيرة مع الكلمة المتبقية ، أضفنا كلمة إلى لائحة المرادفات والأضداد والكلمات للملاءمة الفراغ .

نظراً لضيق الوقت وكثرة عدد الكلمات في الدراسة اضطررنا إلى اختيار كلمات مختلفة في كل من المدارس التي زودتنا بالعينات . وحرصاً على عدم إعاقه

سير المنهج الدراسي طلبنا من المعلمات والمعلمين إعطاء الاستمارات أثناء حصّة الدرس وشددنا عليهم بعدم مساعدة الأطفال في الإجابة. إلا أن عدم تمكننا من إجراء الاختبار شخصياً حال دون التأكد من هذا الأمر. لذلك عمدنا إلى استبعاد الأجوبة التي تحمل الشك والمناقشة.

جمعت الاستمارات أسبوعياً ودوّنت النتائج على قسائم معدّة لهذه الغاية. اعتبرت الكلمات التي عرفها ٥٠٪ وما فوق من الأطفال من عمر معين مناسبة لذلك العمر، أما الكلمات التي لم يعرفها ٥٠٪ من الأطفال من العمر المحدد فقد صنّفت للعمر الأكبر. وفي حال الشك في صحة الأجوبة أو تناقضها، كمعرفة أطفال السادسة كلمة لم يعرفها أطفال الثامنة، لجأنا إلى إعادة اختبارها أو اعتمادنا على رأي الباحثات.

أما اللائحة النهائية المصنّفة لفئات الأعمار المختلفة فقد تضمّنت الكلمات التي عرفها الأطفال (٢٢٢٥) بالإضافة إلى الكلمات التي حددها المعلمات والباحثات للعمر المذكور (٢٧٢٦) وألحقت بدليل كتاب ورسامي أدب الأطفال وجاءت النتائج كما يلي:

جدول ١ نتيجة دراسة المفردات

مجموع	١٣-١٠	٩-٨	٧-٦	٥-٢	الاعمار
					الكلمات
٢,٥٩٩	٨٢٨	١,١١٥	٤٥٣	٢٠٣	الأفعال
٢,٣٥٢	٣٦٩	٨٧٤	٣٨١	٧٢٨	الأسماء والصفات
٤,٩٥١	١,١٩٧	١,٩٨٩	٨٣٤	٩٣١	المجموع

إن الهدف من هذه اللاوائح هو مساعدة الكتّاب والكاتبات على تكوين فكرة عامة عما يعرفه الأطفال في مراحل النمو المختلفة دون التقييد بها حرفياً، آمليين بذلك أن تسهّل عملية الكتابة لا أن تشكّل عائقاً للكتّاب. نذكر بأن هذه اللاوائح هي نتيجة محاولة رائدة لخصر الألفاظ المناسبة للأطفال في مختلف مراحل النمو ولكن لا يمكن اعتبارها كاملة. بالرغم من ذلك فهي بمثابة بداية جيدة ونقترح الاطلاع عليها عند الكتابة للأطفال. كما نشدد على ضرورة اعتماد المفردات السهلة وعدم استعمال أكثر من ٢ - ٣ كلمات من تلك المخصصة للعمر الأكبر لكل ١٠٠ كلمة مألوفة في النص. (Bright and McGregor, 1970, p. 20)

جدير بالذكر هنا أن الاستمارات أرسلت إلى مصر والبحرين والإمارات العربية المتحدة بهدف القيام بالاختبار في هذه البلدان غير أن الدراسات في تلك البلدان لم تكتمل في الوقت المحدد ولم نحصل منها على أي إجابة بالرغم من الرسائل العديدة التي أرسلت والتلكسات والطلبات المتواصلة. لذلك اعتمدنا على الدراسة التي أقيمت في لبنان فقط آمليين أن نحصل على الدراسات من البلدان العربية الأخرى لاحقاً. كما نرجو أن تقوم البلدان الأخرى بدراسات مماثلة إكمالاً لهذه الدراسة.

اختبار المصطلحات:

طلب من ٢٤٠ طفلاً في مدرستين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ١٢ سنة تفسير ١٣٧ مصطلحاً كانت قد قسّمت تقسيماً مبدئياً وفق الأعمار في المرحلة الأولى من الدراسة. وقد تم الاختبار ضمن استمارات تحوي المصطلحات مع تعليمات للأطفال بإعادة كتابتها بلغتهم. أعطي الأطفال في عمر ٨ - ٩ سنوات ١٩ مصطلحاً فهموا ٨ منها. أمّا الأطفال في عمر ١٠ - ١٢ سنة فقد أعطوا ١١٨ مصطلحاً فهموا ٩٥ منها. وقد اعتبر المصطلح مناسباً لعمر الأطفال إذا فهمه ٥٠٪ وما فوق من الأطفال في ذلك العمر. وبذلك فإن مجموع المصطلحات التي فهمها الأطفال هو ١٠٣ وتعذر عليهم فهم ٣٤ منها كما هو مبين في الجدول.

جدول ٢
نتيجة اختبار المصطلحات مع الأطفال

العمر	عدد المصطلحات المختبرة	المصطلحات المفهومة	المصطلحات غير المفهومة
٩ - ٨	١٩	٨	١١
١٢ - ١٠	١١٨	٩٥	٢٣
المجموع	١٣٧	١٠٣	٣٤

من الواضح أن معظم المصطلحات المستعملة في كتب المطالعة كانت صعبة على الأطفال الأصغر سناً ٨ - ٩ ونلفت النظر إلى ضرورة الاستفادة من أجوبة الأطفال بين ١٠ - ١٣ لتبسيط المصطلحات عند الكتابة بدلاً من استعمال الصعبة منها.

وقد وردت لائحة المصطلحات في دليل كتاب ورسمي أدب الأطفال وصنفت تحت المواضيع التالية:

- الإنسان مع الإنسان
- عمل الإنسان المستقل
- شعور الإنسان
- وضع الإنسان
- الإنسان مع الحيوان
- الإنسان مع الأشياء
- الطبيعة: الشجر والزهر.

اختبار الجمل المناسبة :

للتوصل إلى معرفة نوعية الجمل المناسبة للأطفال من عمر ٣-١٣ سنة استعملنا ثلاث طرائق، الأولى إعطاء الأطفال جملاً اعتبرناها صعبة وطلب إعادة كتابتها بعبارتهم الخاصة. والثانية دراسة وتحليل تركيب الجمل التي وردت في مواضيع إنشاء كتبها الأطفال في الصف بطلب من معلمات اللغة العربية، والثالثة تسجيل أحاديث الأطفال الصغار وتحليلها.

وقد أسفرت دراسة ٥٠ جملة عن النتائج التالية:

جدول ٣

تحليل طول الجملة في لغة الأطفال

مصدر المعلومات	الانحراف القياسي	تراوح عدد الكلمات	معدل عدد الكلمات بالجملة	فئة العمر (سنوات)
حديث	١,٢	٦-٢	٣	٣-٣
حديث	١,٨	١١-٣	٥,٨	٥-٣
-	-	-	-	-
نصوص مكتوبة	١,٨	١٠-٣	٥,٧	٨-٧
نصوص مكتوبة	٣,٧	١٦-٢	٧	٩-٨
نصوص مكتوبة	٣,٦	١٦-٣	٩,٤	١٠-٩
نصوص مكتوبة	٤,٧	١٩-٣	١٠	١١-١٠

من الواضح أن جمل الأطفال الأصغر سناً قصيرة وطولها مرتبط بنمو الطفل الإدراكي ولكن من المهم دراسة هذا الموضوع على نطاق واسع. إن النتائج التي توصلنا إليها بشكل عام ترشدنا إلى ملاحظة مرحلة هامة في النمو اللغوي لدى الأطفال وهي مرحلة الانتقال من التعبير الدارج المحكي إلى التعبير الكتابي الفصيح. هذا الأمر يستلزم من الأطفال تعلّم نواح جديدة في اللغة لم يعهدوها في الكلام الدارج. نلاحظ تأثير هذه المرحلة على طول الجملة عند مراجعة الجدول السابق، إذ أن عدد الكلمات يبقى ثابتاً بين مرحلة ٣ - ٥ سنوات ومرحلة ٧ - ٨ سنوات. ومن المستحسن أن يراعى الكتاب هذه العوامل حين يكتبون للأطفال الأصغر سناً باستعمال جمل قصيرة ومختصرة تتلاءم مع قدرة الطفل على التعبير. أما بالنسبة للأطفال الأكبر سناً، فنلاحظ أن عدد الكلمات في الجملة يتراوح بين ثلاث كلمات وتسع عشرة كلمة. وهذا يشير إلى ضرورة التنوع في طول الجملة لدى الكتابة لهذه الفئة من العمر. وليس من الضروري أن تكون الجملة طويلة بل أن يراعى عنصر التنوع تفادياً للملل.

إضافة إلى طول الجملة تركز لغة الأطفال على مكونات أخرى وقد أدرجت المكونات الأساسية منها في الجدول رقم ٤. أما الجمل التي يستعملها أطفال مرحلة ما قبل الدراسة والمرحلة الابتدائية الأولى فتتألف من اثنتين أو ثلاث من تلك المكونات. تضاف إليها عناصر الربط أو أدوات العطف باستعمال «و، ف، ثم» كما في «حمل الثعلب الكيس وركض» واعتماد التبعية أو السببية بين العبارة الرئيسية والعبارة الفرعية باستعمال «لأن، ل (لكي) حتى، لما» . . . لأن البيت بعيد». أو باللجوء إلى الجملة المركبة باستعمال «أن وكيف» فيقال: «لا يعرف كيف يسبح»، و«عرفت أنه غائب».

وفيما تتطور مقدرة الأطفال على التعبير نلاحظ ازدياد عدد المكونات المستعملة في الجمل وظهور العبارات الظرفية وبعض الصيغ النحوية الأخرى. ويقترن طول الجملة للأطفال الأكبر سناً بتعلّم المزيد من وسائل الربط والتوسيع كالضمير العائد والاسم الموصول وصلة الموصول، والعبارات الظرفية والجمل

جدول ٤

أشكال الجمل ومكوناتها الأساسية في اللغة العربية

مثلاً	الجملة الاسمية
هذه هي الدجاجة الحمراء	اسم اشارة + جملة اسمية
عمر في بيته	جملة اسمية + شبه جملة (جار ومجرور)
عمر ولد نشيط	جملة اسمية + جملة اسمية
كان الثعلب وراء الباب	مساعد (فعل ناقص) + جملة اسمية + . . .
	الجملة الفعلية
ضحك سمير	فعل + فاعل
خرج عمر الى البرية	فعل + فاعل + شبه جملة (جار ومجرور)
تسقي أمي الأزهار	فعل + فاعل + مفعول به
	الجملة الاسمية: اسم، ضمير، مضاف ومضاف اليه، اسم مع صفة
	شبه الجملة: جار ومجرور
	اسم الاشارة: اسم اشارة + ضمير

الوصفية والتفسيرية. وفيما يلي نموذج لكتابة طفل في هذه المرحلة يظهر من خلاله اقتران طول الجملة باستعمال بعض وسائل الربط والتوسيع:

«ذات يوم أحببت أن أرافق أهلي في رحلة بالقطار إلى قرية بعيدة من قرى لبنان . . . أحب أن أركب في القطار مرة ثانية لأنه الوسيلة الوحيدة التي تجعل الإنسان قريباً جداً من الطبيعة الجميلة بعيداً عن ضجة المدينة».

أما من ناحية الصرف فنلاحظ أنه كلما كان مشابهاً للغة الدارجة سهل على الأطفال فهمه، ولذلك يستحسن تفادي استعمال المثنى ونون التانيث عند الكتابة للأطفال الأصغر سناً لبعدهما عن اللغة المحكية.

ما يفضله الأطفال في كتب المطالعة :

لدراسة ما يفضله الأطفال في كتب المطالعة من حيث المضمون والحجم والخط والرسوم وشكل الكتاب العام، قمنا باختبارات أولية مع الأطفال واستطلعنا آراءهم من خلال استمارات حول الكتب. كما تحدثنا مع البعض عن اهتماماتهم، ثم عدنا إلى المراجع الأجنبية والدراسات المحلية المحدودة ووضعنا نتائج ما توصلنا إليه في دليل كتاب ورسمي أدب الأطفال الذي يحتوي على توجيهات من شأنها مساعدة المهتمين بأدب الأطفال على تحسين نوعية إنتاج هذا الأدب في العالم العربي.

أما الاختبارات التي قمنا بها فكانت على النحو التالي :

اختبار حول حجم الكتاب المفضل :

أجرينا اختباراً محدوداً على ٣٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ١٣ و٥ سنة. حاولنا خلاله استطلاع رأيهم في الحجم المفضل لكتاب المطالعة. فطلبنا من كل طفل أن يختار الكتاب الذي يفضله من مجموعة كتب متنوعة الأحجام وضعت بشكل يمنع ظهور صورة الغلاف لتفادي إمكانية تأثر الطفل بها. ولم يتبين من خلال هذا الاختبار أن لحجم الكتاب تأثيراً أساسياً على اختيار الأطفال فقد كانت اختياراتهم متفاوتة. وبما أن التوصل إلى نتيجة أكيدة يستوجب إعادة المنهجية الاختبار وتنفيذه مع عدد أكبر من الأطفال فإنه يصعب علينا من هذا الاختبار تحديد حجم الكتاب المفضل عندهم.

اختبار حول حجم ونوعية الخط المفضل في الطباعة :

طلبنا من الأطفال الذين قاموا باختبار حجم الكتب أن يختاروا بأنفسهم حجم ونوع الخط المفضل لديهم من نماذج لخطوط مختلفة عرضت عليهم وكان قد تم تحضيرها خصيصاً لهذا الغرض فتوصلنا إلى الملاحظات التالية :

- عدم رغبة الأطفال في الحرف الكبير جداً أو الصغير جداً.
- تقبل الأطفال الأكبر سناً قراءة الحرف الصغير خلافاً للأطفال الأصغر سناً.

- تفضيل الأطفال الاعتدال في المسافة بين الكلمات وبين الأحرف، أما الإفراط في المساحات فيزيد من صعوبة القراءة، مثلاً كلمة «كتاب» تضلل الطفل إذا طبعت بالشكل التالي «كتاب».
- علامات التحريك تسهل عليهم القراءة إذا استعملت باعتدال أما الإكثار منها فيربك الطفل.

نقترح القيام بمزيد من الاختبارات للوصول إلى نتائج أدق. لقد أوردنا في دليل كتاب ورسامي أدب الأطفال بعض الإرشادات عن نوعية الخطوط وأحجام الأحرف المناسبة مبنية على دراستنا ومراجعتنا لمصادر مختصة ولمحادثاتنا مع ناشري كتب أطفال في لبنان.

اختبار حول الرسوم المفضلة:

شارك ٣٦ طفلاً من حضانة الكلية باختيار الكتب المصورة المعروضة أمامهم في مكتبة الأطفال. دعونا كل مجموعة من خمسة أو ستة أطفال على حدة لاختيار الكتاب المفضل لديهم من مجموعة كتب مختارة تمثل نماذج مختلفة للرسوم. كررنا هذه العملية لمدة ثلاثة أسابيع مع مجموعات مختلفة من الكتب في كل أسبوع ودونا أسماء الكتب التي اختارها الأطفال وحللناها. أما النتائج التي حصلنا عليها فتدل بوضوح على تفضيل الأطفال للكتب التي تتحلّى بالرسوم المبسطة، الواضحة والزاهية الألوان، القليلة التفاصيل والتي تتناسب مع محتوى القصة والشخصيات والتي تعطي الكتاب قيمة جمالية. زيادة في تأكيد النتائج التي حصلنا عليها درسنا مراجع مختصة بالموضوع فأنت النتائج مطابقة لها. وقد خصصنا فصلاً كاملاً من الدليل للرسوم لما لها من أهمية في كتب الأطفال.

مضمون الكتاب المفضل عند الأطفال :

لاستطلاع آراء الأطفال في مدى اهتمامهم بالمطالعة وما يفضلونه من الكتب القصصية وغير القصصية من ناحية المضمون، صممنا استمارة يسهل الإجابة عليها ثم وزعت على ٣٠ طفلاً كمرحلة اختبارية. وطلب من كل طفل باستطاعته القراءة والكتابة أن يملأها وطلب من الأهل ملء الاستمارات للأطفال الأصغر سناً. عند مراجعة النتائج تبين لنا أن الأجوبة متشابهة كثيراً ولا تعطي فكرة واضحة عن اهتمامات الأطفال فصرف النظر عن استعمالها. للإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا مراجع ودراسات أجنبية تعالج هذا الموضوع أوردنا نتائجها في دليل كتاب ورسمي أدب الأطفال تحت عنوان «مضمون الكتاب». يبدو واضحاً أن هناك مواضيع عديدة تهتم الأطفال ولكن للعمر والجنس دورهما في تحديد هذه المواضيع وتأثير هذين العاملين واضح على اهتمامات الأطفال بالمطالعة. فلكل مرحلة من مراحل النمو حاجاتها الخاصة كما أن هناك فوارق ناتجة عن جنس القراء. للحصول على المزيد من التفاصيل من الضروري العودة إلى الدليل المذكور.

الأسلوب المفضل عند الأطفال :

عند محادثة الأطفال حول الأسلوب المفضل لديهم لاحظنا نفورهم من النصوص التي تكثر فيها المفردات الصعبة والمصطلحات المعقدة. ومن الأمور الأخرى التي نحد من حماسهم على المطالعة احتواء الكتب على عدد كبير من كلمات ومصطلحات غير مألوفة وكذلك اعتماد الكتاب جملاً طويلة ومعقدة وعبارات تحتمل معنيين. لقد أبدى الأطفال رغبتهم في قراءة النصوص السهلة والمبسطة التي لا يجدون صعوبة في فهم لغتها وتتبع حوادثها. أما الكتب التي تشمل مقاطع وصفية طويلة، فيتجنبونها. ونظراً لأهمية الأسلوب في تشويق الأطفال على المطالعة خصصنا فصلاً كاملاً لهذا الموضوع في الدليل المذكور أعلاه.

وفي الختام يمكننا القول بأن لكل عنصر من عناصر الكتاب أهميته سواء من

ناحية المضمون أم الأسلوب أم اللغة أم الرسوم أم الخط والحجم أم الإخراج الفني . ومع أنه يصعب التوصل إلى تحديد تأثير كل من هذه العناصر على حدة، فمن الضروري أن تدرس بعناية ودقة وموضوعية عند إنتاج كتب الأطفال سواء كانت موضوعة أو مترجمة أو مقتبسة .

تقويم الكتب :

إن تقويم كتب المطالعة المتدفقة بغزارة في الأسواق العربية عملية أساسية لانتقاء ما يناسب الأطفال . والقيام بها باتقان يتطلب وضع مقاييس محددة تكون أساساً للتعرف على الكتب التي تصلح لأطفالنا وتمييز الضعيفة منها لاستبعادها . وقلماً نجد لوائح موضوعة بالكتب المختارة على أساس علمي . أما ما يضعه الناشرون من لوائح فيستهدف الاعلان عن كل ما يصدرونه من الصالح والرديء . خلال هذه الدراسة تم تقويم ٨٣٦ كتاباً من قبل عشر مربيات وثلاث باحثات وفق مقاييس معينة تم تحديدها من قبل فريق العمل استناداً إلى مقاييس عالمية معترف بها تتناول ملاءمة الكتاب للعمر من حيث محتوى الكتاب والحبكة والأسلوب واللغة والقيم والرسوم والشخصيات والحجم والإخراج من تصميم وتجليد ونوعية ورق . لقد شرحت هذه المقاييس بأسهاب في دليل كتاب ورسمي أدب الأطفال وكذلك ورد ذكرها في دليل مكتبات الأطفال لما لهذه المقاييس من أهمية في اختيار الكتاب الجيد .

اعتبر الكتاب جيداً إذا توفرت فيه جميع المقومات المحددة في المقاييس للكتاب الجيد ومقبولاً إذا كانت القيم فيه مقبولة ولكن لم تتوفر فيه جودة الإخراج أو الرسوم وضعيفاً إذا كانت القيم الواردة فيه غير مقبولة وإذا لم تتوفر فيه اثنتان من المقومات المطلوبة .

في عملية التقويم وجدنا صعوبة بالغة في الحصول على الكتاب الذي يعتبر جيداً من كل النواحي : المضمون والرسوم والقيم والإخراج . فهنالك الكتب الحسنة المستوى من ناحية المحتوى غير أنها ضعيفة الإخراج أو الرسوم . كذلك

هنالك الكثير من الكتب ذات الإخراج الجيد والشكل الجذاب ولكن ليس هناك قيمة تذكر لمحتواها. السبب في ذلك ربما يعود إلى كون مستوى الطباعة جيد وبالأخص في لبنان، فيما أن كتابة القصص وتنفيذ الرسوم بشكل محترف وجيد لم يبلغ بعد المستوى المنشود.

وضعت الكتب المقترحة وعددها ١٦٢ كتاباً ضمن لائحة مقسّمة وفق فئات الأعمار والمواضيع وتضمّنت الكتب الجيدة إلى جانب بعض الكتب المقبولة وذلك لندرة الكتب الجيدة. وقد أرفقنا لائحة بأسماء الكتب المقترحة ودور النشر أما النتائج فأنت على النحو التالي:

جدول ٥ الكتب المقترحة وفق العمر والنوع

العمر	مضمون الكتاب	٦-٣	٩-٧	١٠-١٢	مجموع
خيالي	٧	٧	٩	٢٣	
علمي	٢٥	٢٢	٢٥	٧٢	
حيوانات	٨	١٨	١	٢٧	
واقعي	١١	٥	٥	٢١	
الطبيعة	٢٠	٢	-	٤	
تاريخ	-	٧	٦	١٣	
هوايات	-	١	-	١	

العمر	مضمون الكتاب	٦ - ٣	٩ - ٧	١٢ - ١٠	مجموع
وطني اجتماعي	-	-	-	١	١
مجموع	٥٣	٦٢	٤٧	١٦٢	

وبما أن عدد الكتب في الأسواق يتزايد كل سنة فإنه من الضروري أن تكون عملية التقويم مستمرة. ربما أخذت الجمعية على عاتقها هذه المسؤولية وكلفت المعهد بذلك. إن إصدار لوائح كهذه قد يحث الناشرين على اختيار الأفضل منها للنشر بدلاً من الاهتمام فقط بعدد الكتب التي تنشر.

الدورات التدريبية:

أقيمت دورة تدريبية في قبرص نظراً لسوء الوضع الأمني في لبنان. شارك في الدورة الأولى ثلاثون مشتركاً ومشاركة من ذوي الاهتمام بموضوع أدب الأطفال من البحرين والأردن واليمن ولبنان وقام بالتدريب خمس إخصائيات في حقل أدب الأطفال: آن بلوفسكي (الولايات المتحدة الأمريكية)، بياتريز فيدال (الأرجنتين)، وسمبون سينغكمنان (تايلاند)، روز غريب وجولندا أبو النصر (لبنان). تضمنت الدورة محاضرات وتطبيقاً عملياً. أما المحاضرات فتضمنت المواضيع التالية:

- أدب الأطفال في الماضي والحاضر والقيم والتقاليد العربية التي نود المحافظة عليها في كتب الأطفال.
- أهمية المطالعة ودور الأهل والمعلمين بحثاً الأطفال على الاهتمام بالمطالعة والكتب.
- كيفية سرد القصة واختيار الكتاب الملائم لهذا النشاط.

- دور أدب الأطفال في دعم المنهج الدراسي، والكتب المصورة التي تعالج مفاهيم علمية.

- المصادر الأولية لكتابة القصص العربية التي تلائم أطفالنا.

- كيف يمكن أن يكون الكاتب هو الفنان والمخرج والمصمم والمحرر والموزع والناشر والباحث.

- وسائل نشر كتب الأطفال وتوزيعها وترويجها.

- تصميم الأبحاث البسيطة ونتائج دراسة أدب الأطفال.

- كيف يتميز الرسم للأطفال عن باقي الفنون التخطيطية.

- كيفية تدريب الفنان على أن يرى بمنظار الطفولة مستفيداً من خبرته كشخص ناضج.

- أجزاء كتاب الأطفال وكيفية تصميمه.

- أسهل الطرائق لطباعة الكتب والعوامل التي تؤثر على كلفتها.

كما قام المشاركون بتطبيقات عملية للمواضيع التالية:

- سرد القصة.

- كتابة نصوص معتمدة على موضوعات تقليدية وحديثة.

- تصميم كتاب مصور للأطفال.

- تنفيذ رسوم الكتب المعتمدة على موضوعات تقليدية وحديثة.

نتج عن هذه الدورة «نماذج طباعية» لعدد من الكتب المصورة للأطفال من

٣-١٣ سنة.

أما الدورة الثانية فقد اشترك فيها خمس مشتركات كن قد أظهرن مواهب

خاصة في الرسم للأطفال خلال الدورة الأولى. قامت بالتدريب بياتريز فيدال

وننتج عن الدورة الثانية خمس قصص مصورة للأطفال جاهزة للنشر.

استرعى انتباهنا أثناء الدراسة قلة اهتمام الطفل العربي بالمطالعة، وقد

توجهنا لحل هذه المشكلة إلى مكتبات الأطفال لما للمكتبة من دور فعال في تشجيع

المطالعة وبحث المعرفة. وقد تبين لنا أن عدد المكتبات قليل وينقص معظمها العنصر البشري الكفوء والتجهيزات اللازمة لتفي بحاجات الأطفال، لذلك كثفنا جهودنا لتدريب أمناء وأمينات مكتبات الأطفال ليتمكنوا من القيام بدورهم في توجيه الأطفال لاختيار الكتاب الجيد وحب المطالعة والقيام ببرامج تثقيفية وتربوية تنمي عند الأطفال حب الاستطلاع ومصادقة الكتاب. للتوصل إلى هذا الهدف أقيمت دورات في كل من مصر والبحرين وأبوظبي والأردن والمغرب شارك فيها ٢٢٤ مشتركاً ومشتركة وقد تضمنت الدورات المواضيع التالية:

- أهمية المطالعة.

- أهداف المكتبة.

- كيفية تقويم الكتب واختيار الأنسب منها.

- إنشاء مكتبة الأطفال وتنظيمها وإدارتها والتعريف بمهام أمينة المكتبة.

- توعية المعلمين ومدراء المدارس والأهل بأهمية مكتبات الأطفال ودورها في المدرسة والمجتمع.

- برامج ونشاطات المكتبة.

- تصميم المكتبة.

- حفظ السجلات.

- قيام المشتركين بعرض تطبيقي.

قام بالتدريب في مصر آن بلوفسكي ومادلين لاستر (الولايات المتحدة الأمريكية) وجولندا أبو النصر (لبنان) برعاية السيدة سوزان مبارك ومنظمة اليونيسف. أما في الأردن والبحرين والإمارات العربية المتحدة فقامت بالتدريب أبو النصر ولاستر. وقامت رابطة المكتبة الأردنية وجامعة الأردن بتأمين جميع التسهيلات لعقد دورات التدريب وتم هذا الاتصال بوساطة السيدة جانيت المقتي دهكان. وأخذت وزارة التربية في البحرين على عاتقها التحضير لورشات العمل وتأمين التسهيلات كما تكفلت بتكاليف الدورة. أمّا في أبوظبي فقامت بالاتصالات السيدة نلي لاما في مدرسة براعم المستقبل بمساعدة السيدة جهان نصر التي وفرت التجهيزات اللازمة للدورة.

وبرعاية وزارة الحرف والشؤون الاجتماعية عقدت دورة تدريبية في المغرب وقامت بالتدريب جولندا أبو النصر وجنفياف بات وأنيثا نصار. تركز الاهتمام خلال هذه الدورات على تغيير المفهوم التقليدي لدور أمينة المكتبة كحارسة للكتب فقط وجعلها القوة الفعالة لتوجيه الأطفال وحثهم على المطالعة.

وقد لمسنا أثناء القيام بهذه الدورات اهتماماً كبيراً وحاجة ماسة لجمع المعلومات في دليل مكتبات الأطفال كمرجع لكل من يهيمه موضوع المطالعة ومكتبات الأطفال. ويتضمن هذا الدليل معلومات أساسية كان قد تم اختبار مدى فعالية تطبيقها في العالم العربي وذلك خلال الدورات التدريبية التي أجريت في بلدان عربية متعددة.

إننا نأمل من خلال هذه الدورات أن تتكثف الجهود لإنتاج الكتب الجيدة لأطفالنا على ضوء الدليلين المذكورين وأن يتنبه البالغون إلى أهمية المطالعة فيحثون الأطفال على الاهتمام بالكتب الجيدة مما يؤدي إلى زيادة رغبة الأطفال في المطالعة. ولا شك أن مكتبات الأطفال هي إحدى الوسائل الأساسية لتلبية هذه الحاجة.

توصيات

تبين لنا من الاختبار أنه بإمكاننا الحصول على الكثير من المعلومات حول أدب الأطفال من الأطفال أنفسهم. ولقد واجهنا الكثير من الصعوبات من ناحية الوقت وحجم العينة وضبط (تحديد) طريقة جمع المعلومات إذ أن لكل مدرسة منهجاً دراسياً يفترض إتمامه في وقت محدد، مما اضطرنا إلى تسليم أمر الاختبار إلى المعلمين والمعلمات كل حسب الوقت المناسب له، الأمر الذي حال دون إمكانية متابعة البحث داخل الصفوف وضبط طريقة جمع المعلومات المختصة بالمفردات والمصطلحات اللغوية وإنهاء الدراسة في الوقت المحدد لها.

أما العناصر الأخرى كالأسلوب والمضمون والخط والرسوم ونوعية الكتاب وغيرها، فإن عدد الأطفال الذين اشتركوا في الدراسة لم يكن كافياً لتعميم النتائج على كل البلدان العربية ولكنه مطابقة مع النتائج التي حصلنا عليها لدى العودة

إلى المراجع العالمية . ومن المفيد أن نذكر أن النتيجة الأهم لهذا الاختبار هي تحديد منهجية العمل التي يمكن استعمالها على نطاق أوسع في دراسات لاحقة . يجب أن نذكر أيضاً أن النتائج المذكورة هي حصيلة الاختبار في لبنان فقط . ونأسف لعدم مساهمة الدول العربية الأخرى في هذه الدراسة رغم إرسال الاستمارات والرسائل المتعددة . لتعميم هذه النتائج وتقويم مدى تناسبها مع حاجات الأطفال في كافة البلدان العربية يستحسن القيام بدراسة إقليمية .

أما بالنسبة لمنهجية العمل ومصادر المعلومات فإن موضوع هذه الدراسة جديد وقد واجهنا صعوبات جمة لعدم وفرة المراجع التي يمكن الارتكاز عليها . ولدى مراجعة دراسات حصر الألفاظ وجدنا أن الكثير منها يعتمد على تواتر الكلمات في كتب الأطفال . غير أن هذا النهج لم يلائم أهدافنا ، إذ أن تأليف الكتاب المدرسي في لبنان لا يركز على مبادئ علمية وكذلك الأمر بالنسبة لكتب المطالعة التي تكثر فيها المفردات والمصطلحات الصعبة . هنا وجدنا أنه لا بد من ابتكار طرائق جديدة في البحث توصلنا إلى هدفنا . وللتأكد من مدى ملاءمة المنهجية توجب القيام باختبارات ميدانية مع الأطفال ومع المعلمين والمعلمين مما استلزم جهداً ووقتاً كبيرين .

وقد لاحظنا أن المعلمين والباحثين ذوي الخبرة بتعليم الأطفال هم مصدر جيد لاستقاء المعلومات والعمل معهم يستوجب وقتاً أقل من العمل مع الأطفال . لدى مقارنة الكلمات التي عرفها الأطفال مع تلك التي تم تقويمها من قبل المعلمين والباحثين للأعمار المحددة توصلنا إلى النتائج التالية :

التوافق بنسبة ٧٥٪ للكلمات المحددة لعمر ٦ - ٧ .

التوافق بنسبة ٦٦،٢١٪ للكلمات المحددة لعمر ٨ - ٩ .

التوافق بنسبة ٦٠،٤٥٪ للكلمات المحددة لعمر ١٠ - ١٢ .

فإن النسب العالية للموافقة بين أجوبة الأطفال وتقويم المعلمين والمعلمين التي حصلنا عليها عند مقارنة النتائج تشجع على اقتراح إمكانية الاعتماد على مدرسين ذوي خبرة لا تقل عن ثلاث سنوات في حقل تعليم اللغة العربية

للصفوف الابتدائية . وذلك لتحديد المفردات المناسبة لفئات الأعمار المختلفة في هذه المرحلة من مراحل النمو، على أن تشمل العينة أكبر عدد ممكن من المعلمين في مختلف الصفوف ومن سائر البلدان العربية .

أما إذا أردنا التوصل إلى نتائج أدق من التي توصلنا إليها فيجب القيام باختبار المفردات مع الأطفال على مراحل بحيث تختبر الكلمات في مرحلة عمرية معينة ثم تفرز النتائج وتدون الكلمات التي لم يفهمها الأطفال في تلك المرحلة على حدة . ومن ثم يعاد اختبارها مع المرحلة العمرية الأكبر وهكذا حتى تختبر المفردات مع الأطفال في سائر الأعمار . وكذلك يتوجب مراقبة الاختبار من قبل فريق البحث للتأكد من عدم مساعدة المعلمين للطلاب . هذا مع العلم بأن نسخ الاستمارات نفسها ترسل إلى كل مدرسة مشتركة في البحث وتشمل البلدان العربية الأخرى لنتمكن من تعميم النتائج .

بالنسبة لدراسة تركيب الجمل، يمكن جمع نماذج لكتابات الطلاب من مختلف المدارس في البلدان العربية وتحليلها بالطريقة نفسها التي اعتمدناها في هذه الدراسة، وذلك بهدف تعميم النتائج التي أوردناها في جدول تحليل طول الجملة لدى الأطفال .

أما بشأن اهتمامات الأطفال، فيمكن الحصول على بعض آرائهم في الكتب التي يطالعونها، وذلك بتوزيع إحدى الاستمارات التي استعملناها في هذه الدراسة والتي تحوي أسئلة حول الكتاب الذي يقرأه الطفل، فترفق المدارس والمكتبات العامة نسخة من هذه الاستمارة مع كل كتاب يقرأه الطفل وتجمع الاستمارات لدراسة أجوبة الأطفال . كما يمكن مراجعة سجلات المكتبة أو المدرسة للتدقيق في الكتب التي يختارونها .

أما لمعرفة المواضيع المفضلة لدى الأطفال، فيمكن تحضير لائحة بعناوين مبتكرة للكتب بشرط أن تدل هذه العناوين على مضمون الكتاب وتتناول شتى المواضيع ويطلب من الأطفال اختيار العناوين التي يفضلونها . ولدى جمع الأجوبة قد تتمكن من ملاحظة وجهات نظر عامة لاهتمامات مختلف الأطفال .

لاختيار ما يفضله الأطفال من ناحية حجم الكتاب تؤخذ كتب من أحجام مختلفة وتغلف جميعها بورق من لون واحد، ويطلب من كل طفل اختيار الكتاب الذي يفضله دون النظر إلى داخله وتدون اختيارات الأطفال .

لاختيار حجم الحروف يمكن أن يطبع نص واحد لكل فئة من الأعمار بعدة أحجام . ويلصق النص من كل حجم تحت صورة مماثلة، وتقدم النماذج للطفل ليختار ما يناسبه منها . وتدون اختيارات الأطفال .

ومن المهم أن تجرى هذه الاختبارات على عينة كبيرة من الأطفال من مناطق مختلفة تشمل جميع أعمار الدراسة .

ولكن دراسة من هذا النوع تتطلب ميزانية ضخمة وفريق عمل كبيراً ووقتاً لا يقل عن ثلاث سنوات . فالوصول على نتائج نهائية يستلزم بحثاً موسعاً نظراً لكثرة العوامل التي يتوجب ضبطها للتأكد من صحة الأجوبة .

قائمة المراجع

Bright, J.A. and G.P. McGregor., **Teaching English as a Second Language.** London: Longman, 1970.

Thorndike, Edward L. and Irvig Lorge. **The Teacher's Work Book of 30,000 Works.** New York: Teachers College Press, Teachers College, Columbia University, 1944.

Rudler, G. and Norman, A., **Collins French Gem Dictionary English-French: French-English.** London: Collins, 1952.

Toro, M. Larousse des debutants. Paris: Larousse, 1963.

البعليكي، منير، موسوعة المورد - انكليزي عربي. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢.

مسعود، جبران، رائد الطلاب. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨.

المكتبة الشرقية، المنجد الأبجدي. بيروت: دار المشرق، ١٩٦٨.

المكتبة الشرقية، المنجد في اللغة والاعلام. بيروت: دار المشرق، ١٩٧٥.

بكداش، كمال، «التعبير الشفهي والتعبير الكتابي» الفكر العربي ٩/٨ (١٩٧٩)، ٢٦ - ٥٨.

حبيب، منى وقاسم شعبان. تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في البلاد العربية. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣.

خاطر، محمد رشدي. قائمة المفردات الشائعة في اللغة العربية، المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي. سرس الليان، د.ت.

خاطر، محمد رشدي. كتب تعليم القراءة والكتابة: تحليل وتقويم المركز الدولي

للتربية الأساسية في العالم العربي. سرس الليان، ١٩٥٨ .
عادل، فاخر. المفردات الأساسية للقراءة الابتدائية. دمشق: ١٩٥٦ .
فارس، صبيحة عكاش. تعليم مبادئ القراءة. بيروت: الجامعة الأميركية،
١٩٥٦ .

الحوار

الدكتور رجاء أبو علام:

أشكر د. جوليندا على هذا البحث القيم وقد استفدت استفادة كبيرة جداً منه ويهمني من هذا البحث الجزء المتعلق بقاموس الأطفال فأنا كنفساني كثيراً ما تواجهني صعوبات جمة خلال إجراء دراسات عن النمو أو اختبارات قياس الذكاء فأصطدم بنقطة هامة جداً وهي أننا لا نعرف حصيلة أطفال المراحل العمرية من المفردات ولا ما هو متوسط عدد المفردات التي يتكلمها الطفل.

إن وجود هذا القاموس سوف يربحنا كثيراً ويا حبذا لو أن العمل على إخراج هذا القاموس كان قد تم على مستوى العالم العربي لكننا إذن نستفيد كثيراً عند عمل اختبارات الذكاء واختبار القدرات اللغوية والاختبارات اللفظية.

الدكتورة جوليندا أبو النصر:

جربنا إشراك دول عربية معنا ولكن لصعوبات الاتصال بالبريد والتلكس والبرقيات فإننا لم نجد تجاوباً من الدول العربية وقد تم توزيع الاستمارات في ٤ دول عربية ولكن لسوء الحظ لم يتجاوب أحد معنا ونأمل أن يتحقق ذلك مستقبلاً.

الدكتور حسن الابراهيم:

الواقع من تجربتنا مع الدول العربية في الاستبيانات يبدو أنه صعب جداً

استرجاع الإجابات والظاهر أن الطريقة المثلى رغم أنها ستزيد من تكلفة مشروع البحث هي ذهاب أشخاص إلى الدول التي يجري فيها الاستبيان ليتولوا بأنفسهم متابعة عملية تعبئة هذه الاستبيانات. طبعاً هذا يكلف كثيراً ولكن هناك بدائل محتملة. فهناك اليوم أعداد كبيرة من الجمعيات المختلفة في أنحاء الوطن العربي يمكن التعاون معها خصوصاً في المغرب العربي في الوقت الحاضر نستطيع تكليف هؤلاء الاخوة للقيام بهذه العملية للوصول إلى ما نريده لأجل هذا البحث وأرجو في مرحلة لاحقة أن نقوم بالاستبيانات ونتابعها من قبل الجهات التي نتعامل معها.

الدكتور أحمد بستان :

أشكر الدكتورة جوليندا على البحث القيم الشيق ولكن لفت انتباهي موضوع مهم عندما تحدّثت عن أدب الأطفال فقد قالت إنه لا يجوز إجبار الأطفال على قراءة كتب معينة بينما نجد أن أدب الأطفال هو رافد أساسي في تنمية ثقافة الطفل وميوله واتجاهاته، ولا شك أن الأطفال هم مواطنو المستقبل وصانعو القرارات السياسية وغير السياسية فكيف يوجّه هؤلاء الأطفال؟ وهل تترك لهم الحرية في اختيار الكتب التي يرغبون في قراءتها؟ فما هو دور المؤسسات ذات العلاقة في توجيه وتنمية ثقافة الطفل من خلال أدب الأطفال؟

الدكتور حسن الإبراهيم :

هناك دور كبير للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت فقد اهتم لفترة معينة بالمجلات الموجودة؟ ولكن تظل العملية متروكة للآباء والأمهات وأعتقد أن وجود دليل يظهر كل سنة أو سنتين لتوجيه اهتمام الآباء والأمهات والمؤسسات التربوية إلى الكتب المناسبة سيكون عاملاً مهماً في الارتقاء بنوعية الكتب التي توضع في متناول الأطفال.

الدكتور عبدالله الدنان :

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها عالجت الجانب النظري من المشكل

ووصلت إلى التطبيق ، وإذا كان لنا أن نقوم عملاً بنتائجه فما رأيناه من القصص التي عرضتها د. جوليندا هو دليل واضح في رأيي على نجاح هذه الدراسة ولا شك أن لكل عمل نواقصه التي يمكن أن تستكمل بعد ذلك . والطريف جداً أن تتوافق إحدى الإحصائيات التي أوردتها الدكتوراة وهي كون ٥٢٪ من المفردات التي وردت على ألسنة الأطفال فصيحة بالمعيار الذي وضعتة الدكتوراة والباحثات مع دراسة متواضعة حول القضية قمت بها وأحصيت مجموعات من القصص فتبين لي فعلاً أن المفردات المتطابقة مع الأصول العربية هي ٥٢٪ بالضبط . كنت أتمنى فعلاً أن تسمع الجمل التي يستطيع الأطفال فهمها ولكني لم أجد في الحديث الذي تفضلت به الدكتوراة شيئاً عن هذا . إن الفهم المسموع مهم جداً في تنمية القراءة عند الطفل والطفل العربي محروم ممن يقرأون له وهذه مهارة مهمة جداً في عملية تعويد الطفل على القراءة الفصيحة من ثم تعوده هو على القراءة الجيدة ذلك أنه من دون هذا العون فإن الطفل لا يحتمل أن يهتم بالمطالعة . كذلك لم أجد في الدراسة إجابة عن مدى فهم الأطفال للجمل الطويلة أو القصيرة . لم أجد في الدراسة تعرضاً لموضوعات الكتب من حيث قيمتها في تنمية تكوين التفكير وتطوير التفكير والمعروف أن ما تعرضه كتب الأطفال عندنا - بخاصة فئة ٦ - ١٢ سنة - هو ذو مضمون أسطوري بمعنى أنها تتحدث عن خيالات الجن والأشباح وإلخ من هذه الأمور التي تقع أحداثها بشكل غير منطقي . طبعاً الخيال مطلوب للطفل ولكن لا بد من منطق سليم وراء هذا الخيال . هذا الخيال المطلوب يمثله رسم طريف جداً لطفل رسم نخلة طويلة وتحتها رجل يريد أن يقطف الثمر فمدّ الطفل يد الرجل فجعلها طويلة جداً لتصل إلى قمة النخلة . خيال؟ نعم ولكن وراءه منطقاً سليماً . إنه وصل للثمرة عن طريق اليد الطويلة جداً . أمّا بالنسبة للتراكيب اللغوية كالمثنى وغير المثنى يمكننا القول إن الأطفال سريعو الالتقاط ويمكنهم تحطّي هذه العقبة وفي التجارب العملية التي أجريت لبرنامج «افتح يا سمسم» ما يعزز هذا الرأي فلنرجع إليها .

الدكتور محمد عودة :

لقد كنت قريباً من هذه الدراسة في مراحلها الأولى وكان لنا لقاء مع د. جوليندا من قبل حول هذه الدراسة ولهذا أنا معجب جداً منذ البداية بهذه الدراسة رغم ما فيها من بعض الفجوات التي قلماً يسلم منها بحث بهذا الحجم. أحب أن أضيف أن هذه الدراسة ستثري قدراتنا البحثية لاختبارات الذكاء، ستثري اختبارات الاستعداد لتعلم القراءة والكتابة مستقبلاً بمعنى أنا سنعتمد عليها في وضع هذا النوع من الاختبارات حتى نحكم على أطفالنا إذا كانوا وصلوا للسن التي تؤهلهم أن يشرعوا بتعلم القراءة والكتابة.

أعتقد أنّ ما تفضّلت به د. جوليدنا يثير قضيتين على جانب كبير من الأهمية في ناحية النمو بالذات. القضية الأولى... قضية المثني التي أشار إليها د. عبدالله الدنان، إذا كان من الممكن أن يقبل النحويون في اللغة العربية عندنا أن هناك (زوجياً ومفرداً) وليس بينهما شيء وسط وتمشي الأمور بهذه الكيفية إذا كان هذا مقبولاً بالنسبة إلينا كنحويين كما يجري عليه الحال في اللغة الأجنبية فهذا يكون نوعاً من التطوير حتى في القواعد النحوية الخاصة بنا أو مثلاً على الأقل نقبل باستخدام مفاهيم بسيطة للمثني مأخوذة من اللغة الدارجة (العامية) وأضرب على ذلك مثلاً في المغرب العربي وفي الجزائر على وجه التحديد يستخدمون كلمة (زوج) للدلالة على المثني وبالتالي انتهوا من قضية المثني فهل يمكن أن تطرح هذه القضية على النحويين؟ القضية الأخرى تتصل بعملية التشكيل. هذه الدعوة قديمة جداً حتى في لبنان كانت موجودة وقال النحويون قديماً (سكّن واسلم) إذا كنت تريد أن تستريح، بالتالي نتلافى قضية المرفوع / الفاعل / المجرور بالكسرة / المنصوب... إلخ، إذاً لماذا عملية التشكيل؟ أيضاً هذه القضية مطروحة على النحويين، هل تقبل قضية التسكين وهل أن القضية أصعب من ذلك أم أن هناك منطقية وراء بناء الجملة في قضية الرفع والنصب والجر وأن المسألة ليست قضية تسكين وإنما القضية نمط في التفكير عند الطفل وبالتالي عملية المنطق موجودة حتى في تركيب الجملة كما أشرت في تركيبها، النقطة الثالثة والأخيرة، أمل أن نستخدم

هذه الدراسة سواء على صعيد المفردات أو على صعيد الجمل أو على صعيد بناء القصة في حاجتين، الحاجة الأولى والتي نحن بحاجة لها هي كيف نبني التفكير العلمي من خلال القصة ومن خلال بناء الجملة حتى نوعية المفردة ولو ألقينا نظرة على المفردات التي استقر عليها، أي ال ٥٩٠٠٠ كلمة لنرى إلى أي حد تحتوي هذه المفردات عندما تصاغ في جمل معينة تبين نمطية من التفكير التي نحن بحاجة لها في هذه المرحلة في مجتمعنا. كما أمل من الإخوان الرسامين أو كتاب القصة الذين سيستفيدون من هذه الدراسة أن يبدأوا بالتفكير بأننا بحاجة إلى قيم جديدة قد تكون في الجانب الديني قيماً ثابتة لا يمكن أن نناقش ولا نقدر أن نمسها لكن في جوانب كثيرة من حياتنا نحن بحاجة إلى قيم جديدة إذا ما أردنا أن نغير هذا الإنسان بإعادة بنائه بتفكير علمي ووضع أو تأهيل قيم جديدة للقرن القادم الواحد والعشرين وآمل طبعاً لفت نظر الإخوان الذين يكتبون للأطفال إلى هذا الجانب بالذات قضية القيم وقضية التفكير العلمي بالذات.

د. حسن الإبراهيم:

شكراً للدكتور محمد عودة على هذا التعقيب القيم. فيما يتعلق بتنمية الوعي العلمي لدى الطفل العربي وموضوع القيم الجديدة للقرن القادم، كلا الموضوعين الذين طرحهما د. عودة يقعان ضمن إطار اهتمام الجمعية وفي السنة الماضية عقدنا ندوة عن أساليب تنمية الوعي العلمي لدى الطفل العربي وندوتنا القادمة إن شاء الله ستكون عن الأخلاقيات اللازمة للطفل العربي في القرن الواحد والعشرين ونحن مهتمون بهذا الموضوع.

الدكتور حامد الفقي:

من عمل في مجال الدراسات اللغوية وخاصة مع الأطفال يعرف مدى الجهد المشكور الذي بذل في هذه الدراسة حقيقة، حيث تم تحليل قواميس وكتب وقصص للأطفال وعينات من صيغ الأطفال اللغوية واختيار ميول الأطفال

للتعرّف على ما يعجبهم وما لا يعجبهم أو ما يحبون ، عناء كبير يذكر ويشكر ولكن عادة المناقشة العلمية أن تحتوي على بعض الملاحظات ولا يمكن أن يكون هناك باحث وصل لدرجة الكمال . ولديّ بعض من هذه الملاحظات ، لا توجد إشارة للجهود السابقة في العالم العربي في هذا المجال ، وأنا أذكر أنه في سنة ١٩٥٠ كانت هناك محاولات في مصر من د . محمد محمود رضوان لعمل قاموس للطفل العربي وهناك جهود بذها د . رشدي خاطر مع د . هدى برادة في هذا المجال مجال لغة الأطفال وهناك جهود في الكويت قام بها حامد الفقي وآخرون عملنا دراسة عن النمو اللغوي للطفل الكويتي في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية وعملنا مقارنة بين الحصيلة اللغوية للطفل فيما قبل المدرسة الابتدائية في رياض الأطفال وعلاقتها ببعض المفاهيم العقلية وفي قوائم قدمها د . داوود عبده من قسم اللغة العربية بجامعة الكويت . والدكتورة جوليندا لم تشر إلى بعض القوائم المعروفة والمشهورة في الدراسات اللغوية العربية الحديثة مثل أعمال أبو العزم والعزاوي . أما النطقة الثانية التي أودّ إثارتها فهي الإطار المرجعي لهذه الدراسة فهي قد حدّدت لكل سن مستوى معيناً أو متوسطاً وانحرافاً معيارياً لعدد الألفاظ المعروفة أو المألوفة في كل سن ، وأنا لا أعرف مدى التجانس أو المتغيرات التي أخذت في هذا الصدد . . . هل أخذ العمر الزمني وحده؟ والعمر الزمني لا يكفي في تحقيق التجانس بين الأطفال فقد يكونون في عمر واحد ولكن هناك ظروفاً اقتصادية واجتماعية مختلفة تفرق بينهم وبالتالي تكون هناك اختلافات بينهم في الحصيلة اللغوية وإن كانوا في السن نفسها . هناك دراسات بياجيه وفاجوديسك الروسي في اللغة والتفكير وهناك تجديرات في اختبارات الذكاء لبينييه وغيرها وهي أدوات جيدة في حصر الحصيلة اللغوية الخاصة بالطفل أو طول جملة ولكني لم أر إشارة إلى الإطار المرجعي هذا وهو أهم شيء في قناعتني . الدراسة فيها مجهود ضخم وكان من الممكن تفادي صعوبة عدم الاتصال بالبلاد العربية لعمل نوع شامل من الدراسة عبر العالم العربي ، لو اتصل الباحثون بالأبحاث المتقدمة عليهم ، وتوجد دراسة عملت في مصر عام ١٩٧٤ منشورة من قبل الهيئة المصرية العامة لكتاب (الأطفال يقرأون) ولو قورنت هذه الدراسة مع تلك وتكاملتا وقورنت نتائج

نتائجها مع نتائج الدراسات التي عملت في البلاد الأخرى لكننا قد اهتمدنا إلى معرفة أكثر تماسكاً بواقع أدب الأطفال في العالم العربي .

الدكتور حسن الإبراهيم :

شكراً للدكتور الفقي على هذه الملاحظات المهمة . أنا متأكد أن أي بحث لا بد أن يعرض ويتعرض للأدبيات الموجودة في الحقل الذي يطرحه البحث . مشكلتنا في الوطن العربي أن هناك دراسات كثيرة ولكن انعدام الاتصال فيما بيننا يفت في عضدنا وهذا من الأسباب التي حملت الجمعية على تنظيم مركز المعلومات الخاص بها وهي محاولة متواضعة وأرحب بأية اقتراحات من حضراتكم باقتناء الدراسات المتعلقة بأدبيات الأطفال لكي نسعى لإضافتها إلى مركز المعلومات . ويسعدني أن أقول إن بعض الوثائق والمطبوعات المتوفرة لدينا الآن هي غير موجودة بجامعة الكويت ومن ثم أصبح يأتينا فيض من الطلاب والطالبات لعمل أبحاث في هذا المركز المتواضع الذي نتمنى أن ينمو في يوم من الأيام ليكون المركز الأساسي لما يتعلق بالطفل والطفولة .

الدكتور عبدالله عبد الدايم :

أودّ بادئ ذي بدء أن أشكر معهد الدراسات النسائية وعلى رأسه د . جوليندا أبو النصر على هذا الجهد القيم والشاق والطويل الذي تمّ والذي يكاد يشبه فيما أرى لا المهمة الصعبة ولكن المهمة المستحيلة ومع ذلك فقد استطاعوا أن يحققوا الشيء الكثير في إطار هذه المهمة المستحيلة . ومن استماعي لما عرضته د . جوليندا هذا المساء شعرت بأن الدراسة ما تزال في المرحلة الأولى لحد بعيد وقد يحتاج الأمر إلى مرحلة ثانية أغنى وأكثر اتصالاً بأدب الأطفال والدراسة كما تعرّفت عليها من خلال هذا العرض تعني بالشكل أكثر من عنايتها بالجواهر والموضوع فدراسة العوامل المختلفة التي تؤثر في الأطفال وإيثار الأطفال للكتاب من خلال حجمه أو خطه أو الرسوم المتوفرة فيه وغير ذلك هي قيمة بلا شك ولكنها تقتصر

على الشكل وقد لا تأتي بشيء جديد كثير في هذا الميدان وصحيح أنني أيضاً أدركت من العرض أن الدراسة تناولت ما يفضله الأطفال من كتب الأطفال ومن أدب الأطفال ومعنى ذلك أن هناك دراسة للقيم والاتجاهات الموجودة لدى الأطفال ولكن لا أدري إن كان انطباعي هذا صحيحاً فقد شعرت بأن هذا الجانب لم يعط حقه من التفصيل وقد يكون للدراسة وأصحابها عذرهم في ذلك وهذا أمر طويل ويبحث ذو شجون ويحتاج في الواقع لدراسات عديدة ومديدة بحقول أدب الأطفال.

أثر أدب الأطفال على الطفل وتنميته فكرياً وأثره على تنمية الخيال لديه وأثره كذلك على تكوين بعض الانحرافات أحياناً أو بعض المواقف العدائية أو سواها من الآثار السلبية لأدبيات الأطفال وبالطبع فإن هذا موضوع كبير جداً ومن التجني أن نطلب من الدارسين القيام به في هذه المرحلة والتي هي كما قلت مرحلة أولى، ولكن لا بد من التصدي لهذا الموضوع إذا أردنا فعلاً أن ندرس أدب الأطفال من هذا الجانب الذي اعتقد أنه هام جداً وحتى الجانب المتعلق بلغة الأطفال وهو جانب احتل حيزاً كبيراً من الدراسة - على ما يبدو - فقد وقف عند الحدود الشكلية Formal ولكن هذا لا يقلل من أهميته. ولكن وكما ذكر د. الفقي له نظائر في البلدان الأخرى والدراسة في هذا المعنى هي دراسة لبيئة معينة ولمفردات بيئية معينة في مراحل عمر معينة لا أكثر ولا أقل تضاف إلى طائفة الدراسات الموجودة في البلدان العربية. وأضيف إلى ما ذكره د. الفقي في استعراضه للدراسات المختلفة والكثيرة التي تمت منذ الخمسينات حتى اليوم في مجال المفردات اللغوية للطفل في مختلف البلاد العربية أن هناك اليوم مركزاً عربياً هاماً في الجزائر يعني بأدب الأطفال عناية خاصة ويستخدم الحاسب الآلي وكل الوسائل الحديثة في دراسة أدب الأطفال وقد وصل إلى نتائج هامة ليس فقط بالنسبة للجزائر ولكن أيضاً بالنسبة للبلاد العربية لذلك قلت إن مهمة القائمين بهذا البحث تكاد تكون مهمة مستحيلة ضمن الظروف الصعبة والشاقة التي تمت فيها بل قد تكون هذه الدراسة ذات دلالة خاصة لا أقول بالنسبة للبنان ولكن بالنسبة لبيئة معينة تم اختيارها داخل لبنان استوجبت اختيار العينة والإطار

المرجعي وقد استوقفني هنا أن الاختيار قد تم من خلال عدد من المدارس فكيف تم ذلك؟ وأية مدارس تم اختيارها؟ هناك تباين كبير في المفردات اللغوية التي يعرفها الأطفال في لبنان تبعاً للمدارس المختلفة؟ هل كانت العينة ممثلة بهذا المعنى؟ اعتقد أن هذه النقطة لم تغب عن أذهان الباحثين ولكنني أذكرها فقط للتذكير فموضوع لغة الأطفال موضوع دقيق وشاق وينبغي أن يربط بجملته الدراسات التي سبقته ولا أدري إن كنا نستطيع فعلاً أن نستخرج منه نتائج عملية تتعلق بكتابة كتب الأطفال. يمكن أن نستخرج منه لوحة تضاف إلى اللوحات الأخرى ومن خلال ذلك يمكن أن تكون في النهاية الصورة اللازمة للغة الأطفال وهنا أضع قوسين ليست ملاحظة على هذه الدراسة فقط، وإنما على لغة الأطفال بشكل عام وطبعاً لا بد أن نعرف اللغة التي يعرفها الأطفال، والمفردات التي يعرفونها في سن معينة حتى نستطيع بالتالي أن نسير وفق القدرات النفسية والمستوى النفسي لتطور الطفل ولكنني أضيف إلى ذلك أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً حقيقة أننا نريد أن نقدم زاداً جديداً للأطفال، فما نعرفه من مفردات الأطفال هو الحد الأدنى الذي تتضمنه الكتب وليس الحد الأعلى وهذه نقطة مهمة ينبغي الانتباه إليها، لا بالنسبة للمفردات اللغوية فحسب ولكن حتى عندما نتكلم عن القيم وعن الاتجاهات إلخ... لا يكفي أن نأخذ الوضع القائم، ولكن ينبغي أن نضيف إليه عناصر جديدة، لهذا كله أنا اعتقد فوق الذي ذكرته أن الموضوع على أقل تقدير ينبغي أن يحمل عنوان كتب الأطفال لا أدب الأطفال، لأنه لم يتحدث في الواقع عن أدب الأطفال بشكل عام وإنما تحدث عن كتب الأطفال. أدب الأطفال طبعاً أوسع من مجرد كتب الأطفال وله مجالات أخرى. هذه في نظري الملاحظات التي أحببت أن أذكرها بالنسبة لهذا البحث القيم، وهذا لا ينفي بالطبع قيمة البحث ولكن ينبغي أن نضعه في موضعه السليم من جملة الدراسات القائمة حول لغة الأطفال وأدب الأطفال، ونرى بالتالي ما يمكن أن نفيده منه، ولا شك أنه يضيف خطوة هامة للأمام وهذا شأن الدراسات جميعها ولعله في مرحلته الثانية يؤكد على الجوانب المتعلقة بالاتجاهات والمواقف والقيم وأثر أدب الأطفال على الطفل ونوع الأدب المطلوب للأطفال، وهذه هي المشكلة الأساسية كما ذكر الدكتور حسن. إننا

حتى الآن لا نعرف في البلاد العربية ماذا نريد أن نقدم للطفل وهذا هو السؤال الكبير. حتى الآن أدب الأطفال هو أدب طفل يعين فيه الكبار الأفكار للصغار على حين أن الأمر ينبغي أن يكون على العكس وكما قال أناتول فرانس حين تحدث عن طفولته . . . الصغار بحاجة إلى أفكار كبيرة ولو كانوا صغاراً لكن طريقة عرض الأفكار هي الشيء المهم وهذه المسائل تحتاج في اعتقادي مزيداً من الدراسة ونأمل أن تكون المراحل التالية متجهة فعلاً إلى الجوانب الأساسية المتعلقة بمحتوى أدب الأطفال بالمعنى الواسع للكلمة مع الشكر من جديد للدكتورة جوليندا وللمعهد.

الدكتورة جوليندا أبو النصر:

لا أستطيع في هذه الفترة القصيرة أن أعطي عمل ٣ سنوات في هذا المشروع وكثير من الأشياء التي أثرت كاختيار الألفاظ والمراجع والعينات . . . إلخ كلها ذكرت في الدراسة أما بالنسبة للاتصال بالمراجع العربية والدراسات المتقدمة فقد كتبنا إلى الجامعة العربية واليونسكو ومراكز البحوث الجامعية العربية ليرسلوا لنا أعمالهم في هذا المجال ولكننا لم نتلق أية ردود وما تلقيناه وما توصلنا له تم ذكره في الدراسة. من ناحية القيم . . . نحن أخذنا قيماً إنسانية عامة أما بالنسبة للكتب التي اعتمدت في الدراسة فلا ننكر أن أكثرها من إنتاج لبناني ولكن سبب هذا هو أن لبنان أكثر البلدان العربية إنتاجاً لكتب الأطفال ولكن هذا لم ينسنا إنتاج البلدان العربية الأخرى من هذه الكتب ولذا فقد استعملنا كتباً من دول عربية أخرى من مصر ومن تونس والسعودية والكويت . . . إلخ. وتم الاتصال بناشرين خارج لبنان لتزويدنا بكتب الأطفال التي نخرجونها وحصلنا فعلاً على كمية من هذه الكتب. أما من ناحية دراسة الألفاظ فإن شاء الله أن هذه الدراسة لن تكون لوحة تعلق على الحائط، لهذا السبب جربنا أن نطبق الأشياء التي عملناها واستعملناها تطبيقاً، هذه إحدى أهم مميزات هذه الدراسة إلى جانب ميزاتها الأخرى. إن الشيء الذي تم التوصل إليه بالأبحاث قد تم تجريبه، فدليل الكتاب والرسامين كان في المرحلة الأولى مجرد تخطيط وعند عقد أول دورة للكتاب

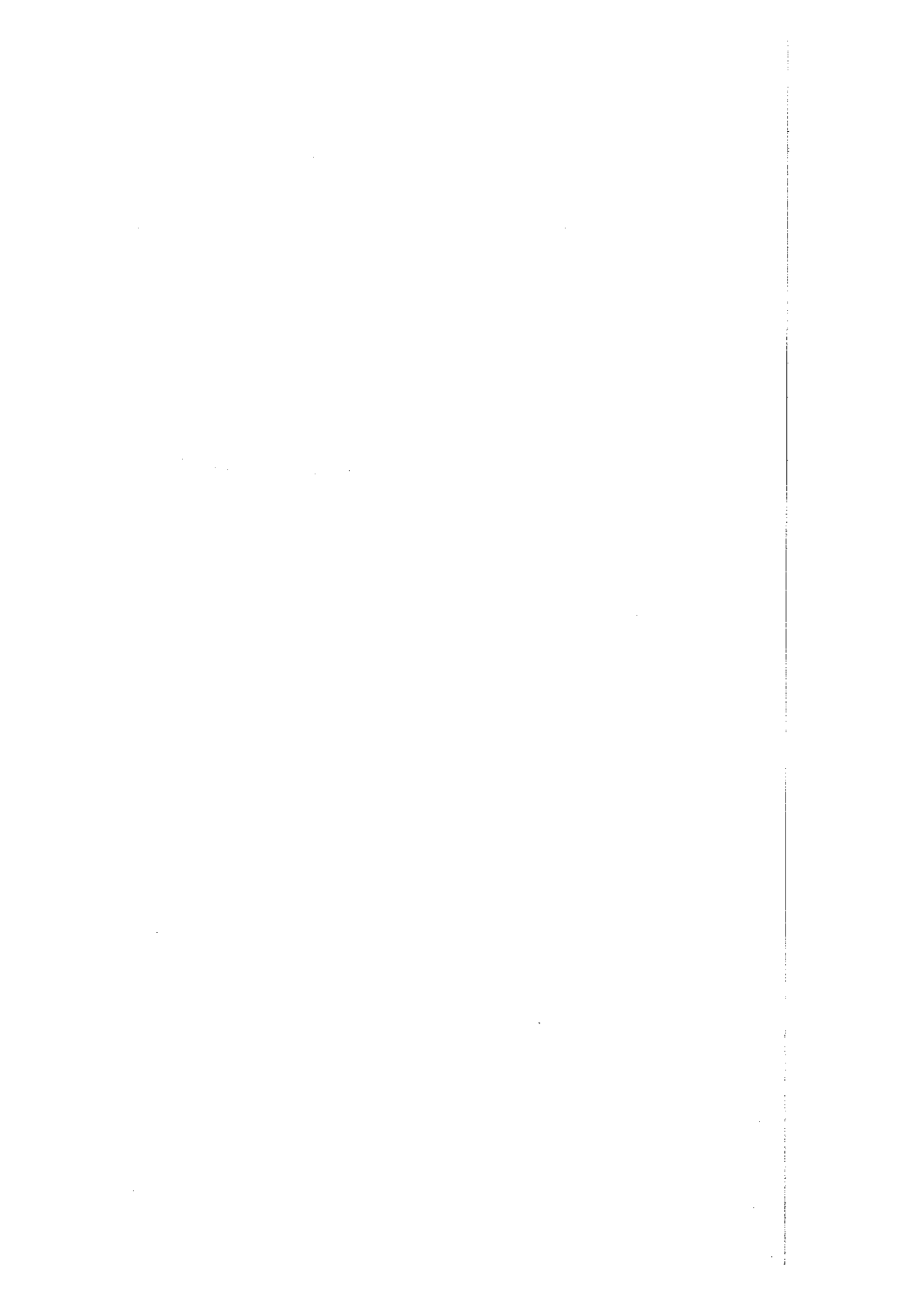
والرسامين أعطي هذا التخطيط لجميع المشاركين في الدورة وطلب إليهم قراءته وتنقيحه وتمت مناقشته وتعديله حذفاً وإضافة. أما من ناحية العناية بالمضمون وتحليل الأفكار فقد تم أخذ هذه الناحية في الاعتبار وكنا مهتمين اهتماماً خاصاً بالقيم. وبالنسبة للإخراج لنوعية كتب الأطفال فقد تم أخذها بالحسبان من ناحية الورق والتجليد، فكثير من الأشياء التي تفضلتم بطرحها كانت محسوبة وإن شاء الله تتاح لكم الفرصة للاطلاع على الدراسة كاملة. أنا لا أدعي أن الدراسة كاملة وأنا أول من يقرب بأن فيها كثيراً من النواقص وقد تم حصرها في التقرير المقدم عنها ولكن الدراسة كما لاحظتم محاولة أولى وخطوة على الطريق الطويل الذي سنمشيه ولا ندعي أننا أجبنا على كل الأسئلة ولا أننا عملنا دراسة كاملة ولكنها كانت محاولة رائدة دون ريب، نحن نعلم أن هناك دراسات أخرى وهذه هي إضافتنا إلى تلك الدراسات التي ليس هناك من يستطيع القول إنها كاملة هي الأخرى. وبالنسبة للكتب الدينية فقد تم استثناءها عمداً لأنه كما تعلمون أن ذكر كلمة دين في لبنان من المحرمات وبما أن جامعتنا كانت تسمى قديماً الجامعة الأمريكية والحقيقة غير ذلك فنحن ننظر لنا كجامعة مسيحية في بيئة إسلامية فتقييم كتاب ديني إسلامياً كان أم مسيحياً شيء صعب جداً فأمر الدين أمور حساسة لا نستطيع التطرق لها. . . ومن ناحية المثني أنا لم أطلب الغاء استعمال المثني ولكن اطلب تقليل استعماله، ومن ناحية التوجيه، لقد قلت لا يرغب الطفل، ففي بعض الدول يرغب الطفل على قراءة كتب بعينها ولكني قلت في لبنان يوجه توجيهاً من المدرس لاختيار الكتب ولكني لا أعرف إذا كان هناك اجبار في بعض المدارس، إني اتفق معكم أنه يجب أن يكون هناك توجيه للأطفال في اختيار ما يقرأون من الكتب .

بالنسبة لقصة عنتره فأنا لم أحك القصة كاملة ولكن الطفل عنتره نحن نعانيه في المجتمع، إذا لم يكن بسبب لونه فسبب دينه أو طائفته. لقد جعلنا اللون رمزاً على موجبات التمييز ضد الآخرين ثم إن القصة انتهت بقبول عنتره بفضله أعماله وأخلاقه وأصبح لديه اصدقاء كثيرين عرفوا خطأهم وأصبح عنتره من أعز اصدقائهم. ثم لنواجه الواقع. . . من ينكر وجود أنواع من التعصبات في مجتمعنا

سواء من ناحية الدين أو اللون . إن القصة لا تعلم الكراهية ، بل على العكس تعلم رفض الكراهية والتعصب بظهور الحقيقة الأخلاقية للطرف الآخر . ثم إن قصة عنتره هي واحدة من عدة قصص نفذناها وبعضها مأخوذ من مراجع فلسفة عربية معتمدة مثل قصة حي بن يقظان وقد ثبت أنها قصص جميلة .

النمّوذج الأخلاقي المطلوب للطفّل العرّبي
في القرن الحادي والعشرين

الدكتور جورج طعمه

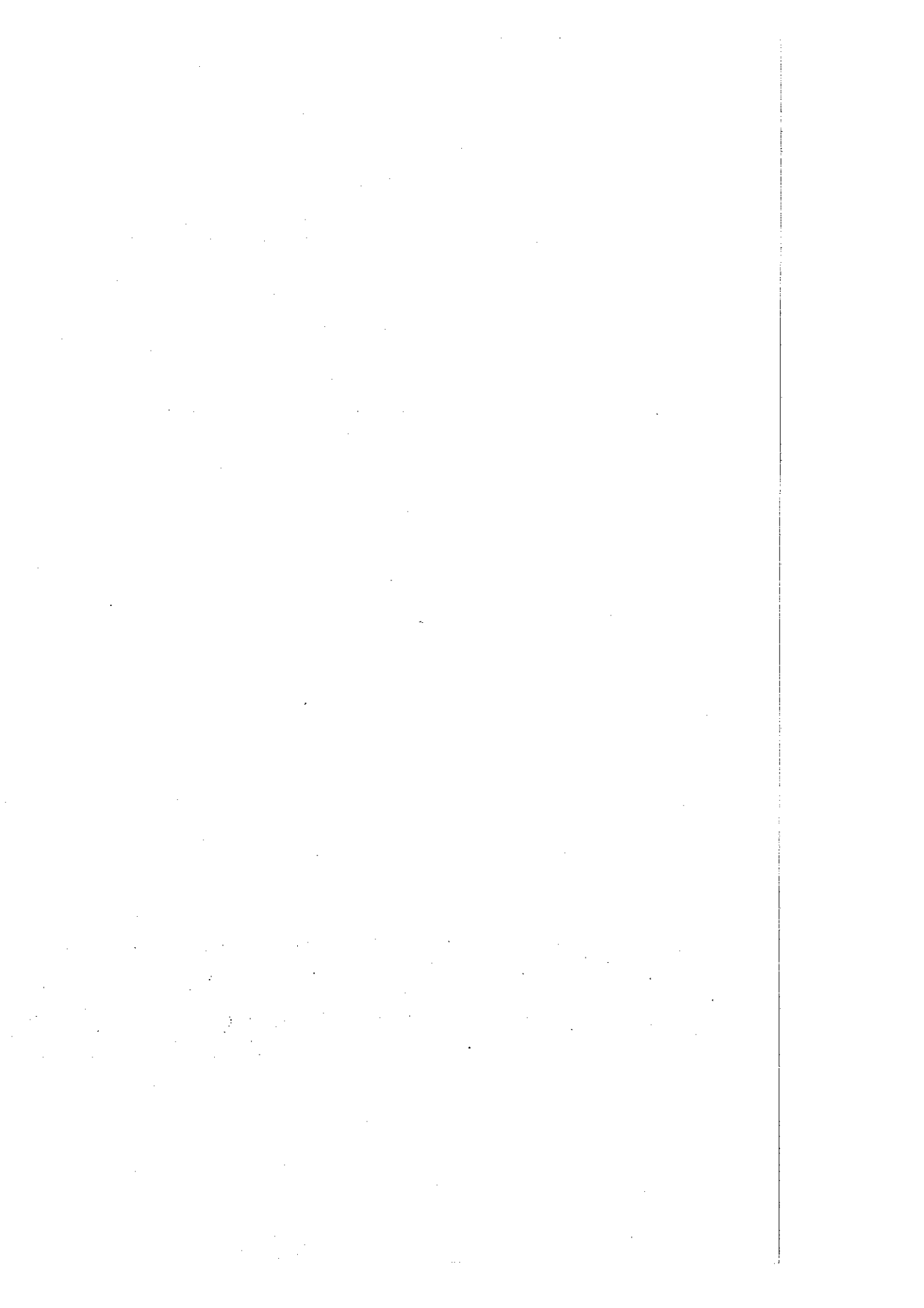


الندوة الرابعة

رئيس الندوة - د. حسن الإبراهيم
موضوع الندوة - النموذج الأخلاقي المطلوب للطفل العربي في القرن
الحادي والعشرين
تاريخ الندوة - ١٩٨٧/٢/٢٣
المتحدث الرئيسي - الدكتور جورج طعمة
المعقب - د. بدر العمر

المشاركون :

- ١ - د. عبدالله عبد الدايم
- ٢ - د. محمد جواد رضا - جامعة الكويت
- ٣ - د. قاسم الصراف - جامعة الكويت
- ٤ - د. أحمد بستان - جامعة الكويت
- ٥ - د. عادل ياسين - وزارة التربية
- ٦ - د. جوليندا أبو النصر - رئيسة معهد الدراسات النسائية / بيروت
- ٧ - د. يعقوب يوسف الحجري - جامعة الكويت
- ٨ - د. هادي نعمان الهيتي
- ٩ - د. أنيس القاسم
- ١٠ - خديجة تقي
- ١١ - خولة علي بدران
- ١٢ - د. رجاء أبو علام - جامعة الكويت
- ١٣ - د. حامد الفقي - جامعة الكويت



النموذج الأخلاقي المطلوب للطفل العربي في القرن الحادي والعشرين

الدكتور جورج طعمة

الموضوع الذي نحن بصدد طرحه وبحشه يقتضي أن نحدّد أولاً الإطار الفكري الدقيق الذي يقع ضمنه. ويصبح هذا التحديد ضرورة ملزمة تفرض ذاتها ولا بدّ من أتباعها نظراً لسعة الموضوع وتشعباته الكثيرة والجوانب المتعددة التي تدخل فيه والتي يمكن طرحها وبحثها. وعند ولوج هذا البحث يبدو لي أن هناك ثلاثة منطلقات تتعلّق بموضوعه والمنهج الذي سنتّبعه وتستوجب هنا الوقوف عليها واستجلاءها والعمل على تحديدها.

أولاً: إن الإطار الفكري الذي يقع ضمنه البحث هو العلم المستقبلي أو الدراسات المستقبلية: وهو إطار واسع متشعب كبير. ولئن كانت الدراسات المستقبلية- التي تحوّلت أو هي في طريقها لأن تتحوّل إلى علم واختصاص - حديثة العهد نسبياً. لكن التفكير بمستقبل الإنسان ومصيره كان بعداً ملازماً للتفكير الإنساني إلى جانب بعدين آخرين هما الماضي والحاضر. وهذه الأبعاد الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، تكوّن حلقات متصلة بعضها ببعض. وقد تلازمت في فكر الإنسان الذي شدّد في عصور مختلفة على بعد منها أكثر من بعد آخر. وكتيجة لتطور العلمي الهائل في العصور الحديثة والمعاصرة - وخاصة التكنولوجيا وتطبيقها على التربية- أصبح البعد المستقبلي هو الذي يشدّد عليه الباحثون والعلماء والمربّون المعاصرون لأغراض علمية نظرية أو تطبيقية. الحقيقية الأولى إذن وبإيجاز

كَلِّي أن الإنسان من حيث هو إنسان «تاريخي» وبأدق المعاني التي تتضمنها هذه الكلمة تميّز عبر حضارات العصور بإحساسه الأصيل بمعنى الزمن وبما يحتويه من إمكانيات زاخرة تحقق الكثير منها في ماضيه واحضاره، وبالتطلع إلى المزيد منها في المستقبل.

ولم يكن من قبيل الصدفة أنه بالإضافة إلى تقدم التكنولوجيا الهائل فإن النظريات والمذاهب الفلسفية التي جعلت من التقدّم والتطوّر حتمية تاريخية أدت إلى بروز الدراسات المستقبلية بصورة متزايدة وتحت ضغط المشاكل الكبيرة التي يجابهها الإنسان المعاصر.

ثانياً: لكن المستقبل زمن يمتد من الغد وإلى ما لا نهاية. فكيف نحدّد مختلف مراحل الزمن المقبل وحدود المستقبل التي نطمح أو نتطلع إلى استجلاء آفاقها؟

أطلق أحد قادة الدراسات المستقبلية|الأسماء التالية على فترات خمس وهي (١) المستقبل المباشر ويمتد سنة من الآن (٢) المستقبل القريب ويمتد من سنة من الآن إلى خمس سنوات (٣) المستقبل المتوسط ويمتد من خمس سنوات من الآن إلى عشرين سنة (٤) المستقبل البعيد ويمتد من عشرين سنة من الآن إلى خمسين سنة (٥) المستقبل البعيد غير المنظور ويمتد من الآن إلى خمسين سنة أو أكثر.

وواضح أننا لو أردنا أن نبحث ما تبقى من سنوات هذا القرن فنحن وفقاً للتحديد المتقدّم نبحث المستقبل المتوسط. ولكن عندما نطرح «القرن الحادي والعشرين» فنحن نتطلع وفقاً للتعريف السابق لا إلى المستقبل البعيد فحسب بل وإلى المستقبل البعيد غير المنظور. وهنا أؤكد بادئاً بنفسه أنه لا بدّ من تحديد طموحاتنا، ذلك أن الوسائل المتوفرة لدينا، والمعلومات التي يمكن أن نستند إليها وأن نبني عليها لا تتيح لنا الآن أكثر من محاولة التطلع إلى المستقبل المتوسط (٥ - ٢٠) سنة ضمن تحفّظات كثيرة وكبيرة.

ثالثاً: يتّصل بما تقدّم ضرورة التشديد على أن الذين بحثوا في منهجية

الدراسات المستقبلية وإمكاناتها قد نبهوا إلى احتمالات الخطأ والصواب فيها. وحذروا من أن يغرق الباحث في الآمال: أذكر على سبيل المثال بحث الموسوعة الفرنسية العالمية وعنوانه «المستقبلية أو علم المستقبل . فقد جاء فيه»: يتاح المستقبل للإنسان على ثلاثة أشكال شديدة الترابط بلا ريب إنما يقتضي تمييزها: «مستقبل محتوم منشق من الحتميات التي ينبغي أن تخضع لها . مستقبل صدفوي (من الصدفة) غير متوقع كلياً ومستقبل حر ينبغي بناؤه».

ومع أن هذا البحث الموسوعي يشير إلى الاتساع المتزايد في حقل هذه الدراسات لكنه يضع تحفظاً إثر تحفظ على هذه الإمكانيات الكبيرة فيتابع: «هناك صعوبات جمة أولها اختيار الأهداف كيف ستتكوّن؟ من سيكلف بتحديدتها وكيف التأكد من أن المستقبل المنشود هو مستقبل ممكن؟ وعلى أجل أطول لعام ٢٠٠٠ وما بعده تظهر الكثير من المتغيرات التي تدفعنا إلى التساؤل حول إمكانية إعداد خطة صالحة. وإذا سلّمنا بإمكانية ذلك ينبغي المحافظة في التنفيذ على إجماع الانطلاقة الأولى والتصرّف بحيث لا تتناقض حاجات الأجل القصير مع متطلبات الأجل الطويل». وهكذا فإن دراسة احتمالات الخطأ والصواب التي لا بدّ منها جعلت المتخصصين في هذه الدراسات يقفون بالضرورة على الصعوبات التي تعترض طريقهم والتي تحول دون أن يكون علم المستقبل علماً بالمعنى الدقيق للعلم.

وإذا كان الأمر على هذا الشكل فأين نتلمّس اليقين؟ هل هذه الصعوبات التي ذكرتها - وهي بعض ما يصادفه الباحث المستقبلي في طريقه - تحذو بنا إلى التوقف أمام سلسلة التحقّظات التي تفرض ذاتها أم أننا يجب أن نتابع الطريق. وإن فعلنا ذلك فما هي المنطلقات التي يمكن أن نستند إليها ونحن ننشد أكبر قسط من اليقين يمكن التوصل إليه؟ وفي الرد على هذا السؤال لا بدّ من التمييز بين الثوابت والمتغيرات. ظروف الحياة وشروطها وأوضاع المجتمعات في تغير مستمر. وهذا التغير يجلب معه بالضرورة تغييراً في الإنسان وقيمه وردود أفعاله إزاء التحديّات التي يجابهها وحضارات الشعوب المختلفة عرضة للتبدّل والتغير. وهذا

قانون تاريخي لا محيد عنه . ومع ذلك فهناك ثوابت تقف في وجه هذه المتغيرات : وأولها في ما يخصنا الطفل العربي والإنسان العربي والتراث والعقيدة والإيمان والعديد من الخصائص الذاتية وما يتصل بهذه الثوابت من قيم ملازمة لها . وعندما نطرح الموضوع على هذا الشكل يبدو لنا بصورة أكيدة بل وبديهية أنه جزء من موضوع أكبر: مستقبل المجتمع العربي . ما هو الشكل أو الأشكال التي سيتخذها ؟ ما هي الاحتمالات العديدة الممكنة الوقوع والعوامل التي ستؤثر فيها ؟ ما هي الحضارة التي ستقوم فيه ؟ والسؤال يتصل بدوره بسؤال أكبر: الحضارة الإنسانية إلى أين ؟ ما هي القيم التي سيفرضها التطور الحضاري على جميع المجتمعات البشرية ومجتمعنا من ضمنها ؟ والموضوع هذا لا يطرح لأول مرة سواء عالمياً أو عربياً فقد طرح عالمياً وفي مجتمعاتنا بالذات بأشكال متعددة: الأصالة والتجديد . ما هي حدود كل منهما وكيف يتفاعلان والتأثيرات المتبادلة والمستمرة بينهما . فالأصالة تدخل في إطار الثوابت . والتجديد في نطاق المتغيرات .

هذا التفريق بين الثوابت والمتغيرات هو إذن القاعدة الأولى التي يمكن أن نطلق منها وأن نعتبرها الأساس والشروط الضرورية لمحاولة تحديد النموذج الأخلاقي المطلوب للطفل العربي في العقود المقبلة . وانطلاقاً من هذا التمييز يصبح لزاماً علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتقنية - وبكلمة واحدة العوامل الحضارية التي تميز الجو الاجتماعي القائم - أي العوامل التي يبدو أنها تلعب وستستمر تلعب دوراً أساسياً في التأثير على جيل الطفولة العربي الذي هو في مرحلة التكوين .

وترتبط مشكلة النموذج الأخلاقي بالحضارة السائدة والقيم المتصلة بها والمنبثقة عنها . وتصبح هذه المشكلة حادة وواجب طرحها إزاء ما شهدته الحضارة والثقافة الإنسانية في قرننا هذا بالذات - وخاصة منذ منتصفه الثاني- من تطورات تكنولوجية هائلة ذات صلة مباشرة بموضوع القيم والنموذج الأخلاقي . وهنا أرى واجباً عليّ أن أنوه بكتاب رائد بالعربية في هذا الموضوع بالذات وهو «الثورة التكنولوجية والتربية (١٩٧٤)» للدكتور عبدالله عبد الدائم حلل في القسم الأول

من الكتاب تأثير الثورة التكنولوجية هذه على تربية الطفل العربي. وقد ظهر بعده بثلاث سنوات كتاب آخر يتناول العلوم المستقبلية للدكتور قسطنطين زريق عنوانه «نحن والمستقبل». ولئن كان علماء الحضارة ودارسوها يختلفون في ما بينهم على تقسيم الأدوار الحضارية التي اجتازتها الإنسانية وسجل مآثرها ومساهماتها تاريخ الحضارات ، فإن بينهم إجماعاً الآن «أننا على عتبة طور جديد يختلف كيفاً ونوعاً عن الطور الصناعي ويشيرون إليه «بالطور بعد الصناعي» مهّدت وستؤدي إليه التطورات التقنية الجذرية وما أدت إليه من تغيّرات علمية وتكنولوجية واقتصادية واجتماعية وسيبرز للوجود في أواخر القرن الذي نحن فيه» وسيرافق ذلك تغير في القيم الإنسانية وتحكّم في تكييفها. وحق أن نذكر بين رواد العلماء الذين طرحوا هذا الموضوع ودرسوه دانييل بيل في الستينات وافلن توفلر وهرمان كاهن في السبعينات والسنوات القريبة متاً.

ومن كل ما ذكر هؤلاء العلماء نتوقّف فقط - ولضيق الوقت - على تلك «التطورات العلمية التي ستؤدي إلى التحكّم في الإنسان ذاته بهدف التأثير في طبيعته بل صنع هذه الطبيعة أو إعادة صنعها كما يستدل من اللفظ الذي أخذ يطلق على هذه المحاولات وهو «الهندسة الحياتية» أو «هندسة الحياة» Bio - engeneering «والمبتدعات في هذا المجال كثيرة. أذكر مثلاً لا حصراً التغلب على أسباب العلل التي ما زالت مستعصية ووجوهها كثيرة، واستخدام العقاقير وسواها من الوسائل ما يتعدّى مكافحة الأمراض وإطالة الحياة». ويعني ذلك تغيير طبيعية الإنسان الجسدية وبالتالي طبيعته النفسية والعقلية والخلقية كأن يصبح أكثر ذكاءً ونشاطاً أو أقلّ بغياً واعتداءً. وأشدّ هذه الإمكانيات خطورة ما يتعلق بتكييف الجينات أو «الجزئيات الموروثة». «إن التمكن من هذه الوسائل التورثية بشكل نافذ يفتح الباب مشرعاً لتبديل طبيعة الأجيال الجديدة. وفي هذا ما فيه من إمكانيات لترقية الإنسانية إذا أحسن استعمال هذه الوسائل ومن الأخطار والشُرور أيضاً التي لم يسبق لها مثل إذا أسيء الاستعمال» (زريق ١١٧ - ١٢٠).

ماذا عن القيم؟ جميع العلماء الذين ذكرت نبهوا إلى الأخطار التي ستصاحب التطور الهائل. يقول الدكتور عبد الدائم في كتابه الرائد «إن للمادية وجهها الآخر القاتم. ومن قلب هذا النجاح تنمو وترعرع آثار الفشل، ومن أعمال هذا المجتمع السعيد، ينطلق شقاء جديد وفساد جديد». «فهل سيؤدي تحرر الإنسان من وطأة السعي وراء حاجات حياته المادية إلى انطلاقه شطر الاهتمام بما هو ألصق بحياة الإنسان وأجدي له أم يؤدي إلى ضياع جديد واستسلام للمتعة الرخيصة وافتقاد معنى الحياة والتألق في المجون والأناية؟». (عبد الدائم ص ٨٩) ويصل الدكتور عبد الدائم بعد طرحه القيم لهذه المشكلة المستقبلية برؤيا حضارية تقوم على التأكيد على أهمية الإنسان فيقول «إن تنويم الحضارة الحديثة لا يكون إلا بمزيد منها شريطة أن يكون هذا المزيد حضارياً حقاً إنسانياً حقاً. أن يكون تقدماً تكنولوجياً فيه الإنسان ويقوده الإنسان. ذلك هو منطلق التربية الحق. وعن هذا التكامل والنظرة الحضارية الإنسانية ينبغي أن تصدر». وهنا يكمن التحدي للتربية واستجابات هذا التحدي من خلال الابتكار وأساليب التربية.

وانطلاقاً من كل ما تقدّم وخاصة أهمية الإنسان كعنصر ثابت فإن البحث في النموذج الأخلاقي المطلوب ومحاولة تحديد معالمه ينطلق أولاً من الاعتقاد أن الطفل من حيث استعداداته وطبيعته لديه القابلية لأن يصبح كائناً أخلاقياً. وهذا ما يؤدي إليه التأكيد أن الكائن الإنساني أخلاقي بطبيعته وبدون هذا اليقين يستحيل التحدّث عن تربية أخلاقية. ونفترض أيضاً أنه في الجو الاجتماعي الذي نحيا ونتحرك فيه فإن التربية الأخلاقية ممكنة وواجبة ولا بدّ أن تتوفر لها الوسائل لتحقيقها ولجعل الإمكانيات الكامنة في الطفل حقائق يكبر معها ويمارسها ويعيشها.

هناك عقبات تعترض الطريق وخصوصاً يقفون في وجه التهذيب الأخلاقي والتقدّم بالمعنى الذي ننشده. وفي طليعة هذه العقبات: الجهل والأناية والفقير وما يصاحبه من ظلم اجتماعي ونقص التهذيب الفكري والفني.

وفي طليعة هذه العقبات والأخطار التي تهددنا الخطر الخلفي . ففي حين أن مقتضيات العصر والحضارة وطبيعة التقدم تقتضي كلها التآزر والتعاون يكمن الخطر الأكبر في إثماء روح الغضبة والحقد . هنا يتضح الشعور بالإخاء الإنساني قيمة أساسية كبرى سواء رضي الإنسان عن ذلك أم لم يرض .

ويقودنا هذا إلى المنطلق الثاني وهو الواقع العربي الذي نعيشه وخاصة أننا نريد أجيال الطفولة العربية أن تتخلص من السلبات التي فيه انطلاقاً من مأساة الإنسان العربي المعاصر . وليست كلمة المأساة بالوصف المبالغ فيه . ففي أكثر من رقعة من الوطن العربي اليوم مأسٍ ما كان أي منا في أسوأ توقعاته يتوقع أن يرى حدوثها والتي أدت إلى معاناة الفرد العربي واغترابه ومشاكله وقضاياه . ناهيك عن ضياعه ، وانسحاقه أمام قوى داخلية وخارجية يبدو وكأنه عاجز عن أن يوقفها أو أن يحد منها أو أن يعد لها . فلقد وقعت منذ قيام الأمم المتحدة وحتى اليوم إحدى عشرة حرب عربية غير الحروب العربية الإسرائيلية والحرب الأهلية اللبنانية . ومعاناتنا ومعاناة الأجيال العربية اليوم هي قسم ونتيجة لما يتكشف أمامنا وحولنا من مأسٍ يعجز عنها الوصف . إن أي نموذج أخلاقي منشود للطفولة العربية نفكر به لا بد أن تكون أصوله وجذوره مستمدة من أعماق واقعنا المتردي الذي نريد الخروج منه إن أردنا الواقعية في تطلعاتنا .

من الممكن أن ننطلق في وضع هذا النموذج بحيث يأتي مثالياً لا يترك جانباً من جوانب الحياة الخلقية المثلى دون أن نضعه فيه . ومن الممكن أن نسترشد عن حق من أنبل وأشرف ما وصل إليه التراث الحضاري الإنساني وتراثنا العربي الإسلامي جزء لا يتجزأ منه . والخطر في مثل هذا الوضع أن يتحول خطابنا إلى خطاب مثالي بل معمن في المثالية . فأين نلتمس الضوابط التي تحد من مثل هذا الاندفاع والتي يجب أن تكون رادعاً لاندفاع الفكر عن الإغراق في عالم التمنيات . والجواب هو أن ننظر في الواقع المأساوي العربي الذي نعيش فيه وأن نستفيد من عبره ودروسه . فبعد مرور اثني عشر عاماً على الحرب الأهلية اللبنانية وأربعين عاماً على قيام إسرائيل وسبعة أعوام على الحرب الإيرانية العراقية

والانقسامات العربية الحادة التي تضيف إلى إضعاف الجسم العربي وتأكله فإن أي نموذج أخلاقي نشده للطفولة العربية يجب أن يكون منبثقاً من أعماق هذه التجربة المرة. فهل توقعت أجيالنا المجتمعة هنا اليوم أن تقع حرب أهلية في بلد عربي وتكون من أطول الحروب التي عرفها هذا القرن ويصبح القتال فيه بأفتك آلات القتل والدمار التي وضعت لميادين القتال؟ حرب تدور في قلب مدينة عربية من شارع لشارع ومن منزل لمنزل ومن طابق لطابق في المنزل الواحد. من تصور أن يقتل الإنسان كالذبابة؟ يقع كل هذا وما زال شعبنا يرى نفسه رازحاً تحت وطأة الذل والهوان والاعتصاب والتهديد بالعدوان من جهة، ومن جهة أخرى تحت وطأة العجز والمراوغة في ذات المكان دون أن يجد لنكبة أمته مخرجاً. يقع كل ذلك وأجيالنا لم تستوعب بعد الحقيقة المرة وهي أن هزيمتنا وابتلاع أراضينا تحت أعيننا واقتلاع شعبنا من جذوره ونفيه لم يكن مجرد هزيمة عسكرية صرفة وإنما كانت الهزيمة دليلاً فقط على ما يختفي وراءها من محنة حقيقية. فبين مفكري العرب الذين عاشوا ويعيشون مأساة أمتهم شعور قوي حاد على أن المحنة تخفي وراءها حالة من التخلف الحضاري يعيشها المجتمع العربي وهو يجابه أكبر التحديات في تاريخه. هنا ومن هذا الواقع المأساوي يجب أن ننطلق لتحديد النموذج الأخلاقي المطلوب للطفولة والأجيال العربية المقبلة، فناعة منا بأن المستقبل العربي هو أولاً المستقبل المباشر والقريب الذي نجابهه كل يوم وكل أسبوع مقبل. فلا الزمن ولا التاريخ ينتظرنا ونحن نجابه أكبر نكبة في تاريخنا المعاصر. إنه تحدي البقاء والوجود المتمثل في الاستعمار الصهيوني الاستعماري والحروب القائمة حولنا التي تهدد وجودنا بالذات. وعن هذا التحدي الأساسي الأول تنطلق التحديات الأخرى كلها: التخلف وضرورة مجابهته بالتعليم والتربية. تحدي التقنية. الفرقة والانقسام والتناز وضرورة مقابلتها بالوحدة لمجابهة المصير الواحد. ولقد عرفت أجيالنا المتعاقبة التجربة المرة حين لم تُصغ بأسماعنا لنداء التاريخ فوجدنا أن التاريخ لا يرحم عندما تركنا مصيرنا للأقدار وحدها لتقرره.

نتساءل إذن ما هي الملامح الأساسية للنموذج الأخلاقي الذي نبحث عنه؟

وفي طبيعة هذه العقبات والأخطار التي تهددنا الخطر الخلفي . ففي حين أن مقتضيات العصر والحضارة وطبيعة التقدم تقتضي كلها التآزر والتعاون يكمن الخطر الأكبر في إثماء روح الغضب والحقد . هنا يتضح الشعور بالإخاء الإنساني قيمة أساسية كبرى سواء رضي الإنسان عن ذلك أم لم يرض .

ويقودنا هذا إلى المنطلق الثاني وهو الواقع العربي الذي نعيشه وخاصة أننا نريد أجيال الطفولة العربية أن تتخلص من السليبات التي فيه انطلاقاً من مأساة الإنسان العربي المعاصر . وليست كلمة المأساة بالوصف المبالغ فيه . ففي أكثر من رقعة من الوطن العربي اليوم مأس ما كان أي منا في أسوأ توقعاته يتوقع أن يرى حدوثها والتي أدت إلى معاناة الفرد العربي واغترابه ومشاكله وقضاياها . ناهيك عن ضياعه ، وانسحاقه أمام قوى داخلية وخارجية يبدو وكأنه عاجز عن أن يوقفها أو أن يحد منها أو أن يعد لها . فلقد وقعت منذ قيام الأمم المتحدة وحتى اليوم إحدى عشرة حرب عربية غير الحروب العربية الإسرائيلية والحرب الأهلية اللبنانية . ومعاناتنا ومعاناة الأجيال العربية اليوم هي قسم ونتيجة لما يتكشف أمامنا وحولنا من مأس يعجز عنها الوصف . إن أي نموذج أخلاقي منشود للطفولة العربية نفكر به لابد أن تكون أصوله وجذوره مستمدة من أعماق واقعنا المتردي الذي نريد الخروج منه إن أردنا الواقعية في تطلعاتنا .

من الممكن أن ننطلق في وضع هذا النموذج بحيث يأتي مثالياً لا يترك جانباً من جوانب الحياة الخلقية المثلى دون أن نضعه فيه . ومن الممكن أن نسترشد عن حق من أنبل وأشرف ما وصل إليه التراث الحضاري الإنساني وتراثنا العربي الإسلامي جزء لا يتجزأ منه . والخطر في مثل هذا الوضع أن يتحول خطابنا إلى خطاب مثالي بل معن في المثالية . فأين نلتمس الضوابط التي تحد من مثل هذا الاندفاع والتي يجب أن تكون رادعاً لاندفاع الفكر عن الإغراق في عالم التمنيات . والجواب هو أن ننظر في الواقع المأساوي العربي الذي نعيش فيه وأن نستفيد من عبره ودروسه . فبعد مرور اثني عشر عاماً على الحرب الأهلية اللبنانية وأربعين عاماً على قيام إسرائيل وسبعة أعوام على الحرب الإيرانية العراقية

والانقسامات العربية الحادة التي تضيف إلى إضعاف الجسم العربي وتأكله فإن أي نموذج أخلاقي ننشده للطفولة العربية يجب أن يكون منبثقاً من أعماق هذه التجربة المرة. فهل توقعت أجيالنا المجتمعة هنا اليوم أن تقع حرب أهلية في بلد عربي وتكون من أطول الحروب التي عرفها هذا القرن ويصبح القتال فيه بأفتك آلات القتل والدمار التي وضعت لميادين القتال؟ حرب تدور في قلب مدينة عربية من شارع لشارع ومن منزل لمنزل ومن طابق لطابق في المنزل الواحد. من تصور أن يقتل الإنسان كالذبابة؟ يقع كل هذا وما زال شعبنا يرى نفسه رازحاً تحت وطأة الذل والهوان والاعتصاب والتهديد بالعدوان من جهة، ومن جهة أخرى تحت وطأة العجز والمراوغة في ذات المكان دون أن يجد لنكبة أمته مخرجاً. يقع كل ذلك وأجيالنا لم تستوعب بعد الحقيقة المرة وهي أن هزيمتنا وابتلاع أراضينا تحت أعيننا واقتلاع شعبنا من جذوره ونفيه لم يكن مجرد هزيمة عسكرية صرفة وإنما كانت الهزيمة دليلاً فقط على ما يختفي وراءها من محنة حقيقية. فبين مفكري العرب الذين عاشوا ويعيشون مأساة أمتهم شعور قوي حاد على أن المحنة تخفي وراءها حالة من التخلف الحضاري يعيشها المجتمع العربي وهو يجابه أكبر التحديات في تاريخه. هنا ومن هذا الواقع المأساوي يجب أن ننطلق لتحديد النموذج الأخلاقي المطلوب للطفولة والأجيال العربية المقبلة، قناعة منا بأن المستقبل العربي هو أولاً المستقبل المباشر والقريب الذي نجابهه كل يوم وكل أسبوع مقبل. فلا الزمن ولا التاريخ ينتظرنا ونحن نجابه أكبر نكبة في تاريخنا المعاصر. إنه تحدي البقاء والوجود المتمثل في الاستعمار الصهيوني الاستعماري والحروب القائمة حولنا التي تهدد وجودنا بالذات. وعن هذا التحدي الأساسي الأول تنطلق التحديات الأخرى كلها: التخلف وضرورة مجابهته بالتعليم والتربية. تحدي التقنية. الفرقة والانقسام والتنازع وضرورة مقابلتها بالوحدة لمجابهة المصير الواحد. ولقد عرفت أجيالنا المتعاقبة التجربة المرة حين لم نصنع بأساعنا لنداء التاريخ فوجدنا أن التاريخ لا يرحم عندما تركنا مصيرنا للأقدار وحدها لتقرره.

نتساءل إذن ما هي الملامح الأساسية للنموذج الأخلاقي الذي نبحت عنه؟

الصفات الأخلاقية تعنى التغلغل الذاتي في نفس الطفل وامتزاجها في كيانه بحيث تصبح القيم ميلاً ثم عادة يمارسها دون تكلف أو عناء أثناء عملية النمو الاجتماعي وكأنها طبيعة ثانية فيه . فالطفل يتعلم القيم الأخلاقية من خلال التجربة التي يعيشها: تجربة الخطأ والصواب ومن خلال التقليد والاتباع . وهنا يأتي الدور الرئيسي الذي تلعبه العائلة في حياة الطفل وقديماً ذهب أرسطو إلى أن الأخلاق تتم بالممارسة . فالإنسان يصبح عادلاً إذا مارس العدالة واعتادها .

ولا بدّ أن تتكون لدى الطفل غاية في الحياة . فالنموذج الذي نشده لا بدّ أن يكون قادراً على التعايش مع أسمى ما عرفناه في تراثنا من القيم الروحية والدينية الاسلامية وغيرها التي تذكر الإنسان بعالم القيم المتعالي ، وتدفعه إليه بحيث يعطي لهذه القيم التقليدية حياة جديدة في وجه التحديات التي تفرضها الأفكار والقيم الجديدة والأحلام البراقة التي توحى بها التكنولوجيا في العصر الذي نعيش فيه . وهنا أيضاً يأتي مجال الابتكار في التربية ودورها الخلاق . ويتصل بذلك احترام القانون عن قناعة أخلاقية . وهذا يعني بالضرورة احترام الشخص الآخر وحرية وفرديته ، والتواضع أمام الحقيقة ، مما يؤدي إلى الانفتاح العقلي للأفكار الجديدة السليمة ، وتنمية الاستعداد لأن ينمو الطفل ككائن إنساني له تطلعات إنسانية ومشاركة مع الآخرين .

ومن هنا أيضاً تبدو أهمية التعاون الأصيل لبناء المجتمع الواحد عوضاً عن التنافس والتزاحم وما يولد كل ذلك من عناصر سلبية في بناء شخصية الطفل تلك العناصر التي لم تؤد بنا حتى الآن إلاّ التهدم والتشردم والضياع .

وأمام تحدي البقاء الذي تفرضه إسرائيل والقوى الحليفة لها المترتبة بنا يبرز الإيمان العميق بمجموعة من القيم لا بدّ أن نسلح بها لمجابهة الخطر المهدد لوجودنا . الشجاعة الخلقية في المجابهة الصعاب والمشقات التي تجعل العود صلباً والمثابرة إلى أن يصل الإنسان لنهاية الطريق التي اختطها لنفسه . ولا بد أن يجابه الإنسان النكران والتنكر والتخاذل خاصة عند من يسلكون طريق الحلول السهلة

التي تؤدي إلى راحة في الحياة ودعة وطمأنينة وجميع أسباب النعم والرفاهية المزيفة التي ترافق الثروة والرخاء .

كل ذلك لا يمكن أن يتحقق كثيره أو قليله إلا بفعل إرادي وعزيمة وتصميم . فالإرادة لا تنمو وتقوى إلا بالممارسة . والممارسة تنمي حس المسؤولية بما لها من أوجه متعددة: مسؤولية المواطن كفرد في مجتمع : مسؤوليته أمام القانون وفرض احترام القانون . مسؤوليته واحترامه للشخص الآخر . وجميع هذه القيم تدخل في تكوين شعور الطفل الذي ينمو مكونة بمجموعها القواعد الأساسية للتضامن الاجتماعي والروابط التي تقوم عليها .

وكمربين ملتزمين بواجب قومي لا بدّ أن نوّكد ما ذهب إليه معظم فلاسفة الحضارة ودارسوها: وهو أن التراكم الحضاري خلال التاريخ يحمل معه للإنسان رغم آلامه وعذابه عزاء يتولد عن التراث التحرري والقيم المنبثقة عنه الذي خلقتة الحضارات المتعاقبة للإنسان . وهذا التراث ساهمت فيه عبر الأجيال والعصور رسالات الأنبياء والمصلحين والمفكرين والشهداء . والإقبال على هذا التراث التحرري ودراسته وتفهمه بأعمق ما فيه قيمة حضارية ثقافية أخلاقية كبرى . ولا يتم ذلك إلا إذا نما لدى الطفل الذي يتكون شعور بالتواضع أمام الحقيقة وانفتاح روحي وفكري لها يؤهله لأن ينمو كحقيقة إنسانية بحيث تظل رفعة الإنسان الروحية والخلقية هي الهدف الأخير والضمانة المثل . هنا نتعلم جميعاً كيف يجب أن نعيش مع الآخرين الذين يختلفون عنا وكيف نتقبلهم رغم اختلافهم .

تعقيب الدكتور بدر العمر

في بداية حديثي أتوجه بالشكر الجزيل للقائمين على الجمعية الكويتية بدعوتي للمشاركة في موسمها الثقافي كما يشرفني أن أكون معقّباً على موضوع على درجة عالية من الأهمية ويزيدني شرفاً أن أعقب على موضوع تناوله بالبحث والتحليل والتقديم مفكرنا الأستاذ الدكتور جورج طعمه .

ويقلقني في الوقت نفسه أن أجد نفسي في محنة المشاركة في الحديث عن نموذج أخلاقي مطلوب للقرن الحادي والعشرين دون أن أجد المعطيات اللازمة لذلك . ولعل محدثنا استطاع أن يخرج من هذه الإشكالية بتحديد ثلاثة منطلقات أساسية خلصته من مسألة الشكل لكنها لم تخلصه من أزمة المضمون . وأقصد بالمضمون هنا هو الخروج بصيغة أخلاقية «للطفل العربي» وليس الطفل بشكل عام .

إنني أتفق مع محدثنا بأن الموضوع متشعب وذو جوانب متعددة . ولعلّي أجد نفسي مضطراً للدخول في هذا الموضوع باستحياء عن طريق الشاعر الكبير أحمد شوقي حينما قال :

«إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا»

ولقد وضع شاعرنا موضوع الأخلاق وحياء الأمم في ميزان لا يحتاج إلى تفسير وإذا كانت المسألة قياسية وواضحة إلى هذا الحد فأين تكمن المشكلة؟

- هل تكمن المشكلة في عدم توفر النموذج الأخلاقي؟ أو

- هل تكمن المشكلة في عدم صلاحية النموذج الأخلاقي الموجود؟ أو
- هل تكمن المشكلة في تغير النماذج الأخلاقية والبحث عن البديل بشكل
مستمر؟

تلکم ثلاثة أسئلة قد تعیننا على الخروج من أزمة البداية .
بادئ ذي بدء يجب أن نتفق حول معنى النموذج الأخلاقي .

النموذج الأخلاقي :

هو التعبير عن مجموعة السلوكيات التي يمارسها الفرد بحيث تسر له سبيل
التواصل مع الجماعة أو تحقق له نوع الاتساق الفكري أو الإثني معاً . وإذا كان
هذا هو معنى النموذج الأخلاقي فهل يمكننا أن نفكر ولو للحظة واحدة بعدم توفر
النموذج الأخلاقي؟ قد يكون الأمر كذلك . . . عندما نتفق على أهمية المفاهيم
ونختلف في مدلولاتها . وحسبي أن أدلل على ذلك بأن الناس يتفقون فيما بينهم على
القيم المطلقة مثل «العدل» و «المساواة» و «التعاون» وغيرها لكنهم يختلفون
بقدر اتفاقهم في الممارسات السلوكية المعبرة عن تلك القيم فما يبرره فرد
معين بأنه عدل قد يحسبه آخر أنه جور، وحسبي أن أذهب إلى أبعد من ذلك
فكلنا متفقون على أهمية التغذية السليمة، لكننا نعاف كثيراً من الأطعمة ذات المردود
الغذائي الجيد . إذن هناك ارتباط كبير بين القيم والنماذج الأخلاقية وبقائها وبين
مصلحة الفرد أو الأفراد . وبما أن الأفراد مختلفون مكاناً وزماناً وجب اختلاف
النماذج الأخلاقية أي أن لا يوجد نموذج أخلاقي مطلق وراء معانيه العامة .

ولعل تاريخ أمتنا يعيننا عن كثير من التفصيل حينما نرى عدد الفرق التي
ظهرت وكيف كانت كل فرقة تنظر للأخرى وتعامل معها فاختلّفوا في اتفاقهم
واتفقوا على اختلافهم .

وإذا نظرنا إلى واقعنا نجد أن محدثنا نبه إلى وقوع إحدى عشرة حرباً عربية
منذ قيام الأمم المتحدة ونجد أن الأطراف المتحاربة تحارب لأجل الشعار نفسه

«كالوحدة العربية» «الدين الإسلامي» «محاربة الاستعمار» «الأطماع الصهيونية» ولم نجد من الأطراف المشاركة في تلك الحروب من يحارب ضد تلك الاتجاهات واكتفي بهذا لأقول بعدم وجود النموذج الأخلاقي إلا في مرحلة الشعارات والعموميات .

ولعلّي أنتقل نقلة أخرى، وأناقض نفسي قليلاً وأسلم بوجود نموذج أخلاقي وأتساءل هل يصلح هذا النموذج الأخلاقي للعصر الذي نعيشه؟ هذا السؤال على بساطته كان ولا يزال قضية تشغل بال المفكرين ولعل تصدى «مركز دراسات الوحدة العربية» لهذه القضية تحت شعار التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة) من خلال نخبة من المفكرين العرب لدليل على صعوبة وضع إجابة محددة وقاطعة عن هذا السؤال .

إن أي نموذج أخلاقي يجب أن يكون معبراً عن حياة المجتمع والأفكار السائدة ويتعامل ويتفاعل مع مشكلتها وإلا كان ذلك النموذج غريباً غير ذي طعم ومن هنا تنشأ المعضلة . إن مجتمعاتنا العربية بقدر ما هي أصيلة في شكلها إلا أنها غريبة وغربية في مضمونها . فالعلاقة بين الثقافة والقيم العربية والغربية علاقة ذات اتجاه واحد تتأثر ولا تؤثر، وتستورد ولا تصدر، تقتبس ولا تنتج وتنطبق هذه المظاهر على شتى جوانب الحياة من أنواع المسكن والملبس حتى اللغة ولم ينبج من ذلك إلا الدين . إذن أين السبيل في حين ،

- أن ما يسود حياتنا الاستهلاكية سلع مصنعة في دول غربية .
- أن الأفكار الاجتماعية قامت على نظريات غربية .
- أن المبادئ السياسية تبعث من أنظمة اما رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية .
- أن الأسس الاقتصادية التي تسود العالم ومن ضمنه العالم العربي قامت على مقومات غير عربية .
- كما أن النظريات التربوية غربية .
- والعلوم بمجملها انبثقت في دول غير دولنا .

فماذا نحن فاعلون إزاء ذلك؟ وماذا يمكن أن نقول في قضية الأصالة والمعاصرة؟

أنا من أشد المنادين بضرورة الأصالة ووجوب أن يكون كل شيء عربياً إسلامياً لكنني أجد نفسي في الوقت ذاته عاجزاً عن أن أجد ما ينظم شؤون حياتي دون أن أسترق مما هو غربي .

وقد ينحرف غيري وراء كل ما هو غربي نتيجة ما يفرضه عليه الواقع، لكنه يجد نفسه غريباً مبعداً عن ثقافته التي هي في الوقت ذاته لم تعنه على الصمود لمطالب الحياة .

إذن أنا وغيري على غير جادة الصواب في تعنتنا، كل في اتجاه، وهذا ما يثبت عدم صلاحية الموجود .

ما البديل إذن؟

إنه عصر التحويل . ويجب أن نقر بذلك فيجب أن لا نتمسك بالأصيل لأصالته فقط بل نتمسك بالأصيل بقدر ما يمكننا هذا من التعامل مع واقعنا وتصديده لمشكلاتنا . وفي الوقت نفسه يجب أن لا يغرينا الجديد لجدته إلا بقدر مع ما يتلاءم مع ما لدينا من قيم واتجاهات . لكن كيف يتم لنا ذلك؟ هل تترك القضية للمعالجة بشكل فردي فينقلب المجتمع إلى مجتمع فوضوي غير منسق؟ وهل يتم ذلك بعيداً عن بزوغ فلسفة وفلاسفة ومفكرين يحاولون إعادة ترتيب الأوراق وتنظيم البيت من جديد؟ هل يعالج الأمر من غير القياديين الاجتماعيين وهل يستقيم الأمر دون الحاجة إلى بيداغوجيين وتربويين ينرون لنا الطريق؟ نحن بحاجة إلى كل هؤلاء وغيرهم ولن يتم هذا الأمر إلا بدرجة عالية من حرية التفكير، حتى لا يشعر فلاسفتنا وعلماؤنا بالنفور الاجتماعي الذي يحولهم إلى مجرد بائعي أفكار في الصحف والكتب والمجلات . إننا بحاجة لولادة فكرية جديدة لمجتمعاتنا ولادة لا تحشى التعامل مع طفل الأنبوب أو هندسة الحياة - كما جاء في ورقة محدثنا والتي يمكن أن نعبّر عنها بحاجة لتجديد الأصالة وتأصيل التجديد .

الطفل العربي والقرن الحادي والعشرون :

كم أنا مشفق على الطفل العربي من القرن الحادي والعشرين عندما أجد رجال القرن العشرين قد عجزوا عن وضع أسس وقواعد أخلاقية تصلح لبناء النموذج الأخلاقي للطفل العربي في القرن القادم . بل شغلوا أنفسهم بأمور هلهلت الهوية والوجدان العربي فأصبحوا - كما عبر الدكتور خلدون النقيب - بين القديم الذي يموت والجديد الذي لا يستطيع أن يولد (أنظر الأطفال وحروب شتى في العالم العربي - الكتاب السنوي الثالث للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) ، مما زاد المشكلة تعقيداً ولقد عبر الاصدار الثالث للكتاب السنوي لهذه الجمعية الموقرة عن هذه المشكلة أصدق تعبير حينما جاء تحت عنوان «الأطفال وحروب شتى» ولم يقصد بهذه الحروب العسكرية منها فقط بل أنها حرب في كل جانب من جوانب الحياة وكل شأن من شؤونها حرب في ذاتها . فتصوروا معي حياة هذا الطفل والنتيجة التي سوف يستقيم عليها ، وكيف يمكن أن نبني قيساً وأخلاقاً دون أن تكون هناك جسور بين نماذج الكبار ونماذج الصغار .

ولكن مع ذلك يبقى الأمل ما دام الإنسان موجوداً ومؤمناً بالحياة وتغير أنماطها، وكل ما يحتاجه الطفل هو نموذج يقتدي به ونرجو أن يتوفر هذا النموذج خلال المائة سنة القادمة فنحن في سباق مع الزمن والعلم لا ينتظر أمة حتى تصحو من سباتها بل يزدهر العلم حينما يكون هناك أفراد يعملون له ويترجمونه إلى واقع ، إن الهوة واسعة بيننا وبين غيرنا من الشعوب فيما يتعلق بمقياس التقدم ، فقد انتقل العالم من نهضة الصناعة إلى نهضة الذكاء الاصطناعي ونحن لم ندخل بعد مرحلة الثورة الصناعية . ويجدر بنا أن نذكر أن ما وصل إليه العالم من رقي كانت بدايته الرغبة في العمل والإنجاز .

وحسبي أن أستعير في ختام حديثي بيت الشعر الذي قاله شاعرنا الكبير أحمد شوقي واستأذنه في هذه الصياغة :

« وإنما الأمم الأعمال ما بقيت فإن هو ذهبت أعمالهم ذهبوا »

الحوار

الدكتور هادي نعمان الهيتي :

تفضل الدكتور جورج طعمة فقدم لنا حديثاً شمولياً عن التربية الأخلاقية لأطفالنا في القرن القادم منطلقاً من الواقع المرير الذي نحياه الآن وقد وجه اهتمامنا إلى أن المستقبل كان موضع عناية الإنسان منذ أمد طويل وبالفعل فقد كانت أكثر الآثار الأدبية القديمة تنبؤات وآمالاً وطموحات للمستقبل بما في ذلك الملحمة الأولى في التاريخ ملحمة كلكامش لأنها كانت تعنى بمسألة الخلود فهي في واقع الحال حديث عن المستقبل . ننتقل إلى مسألة علم المستقبل . هذا العلم لم يتبلور بعد بالشكل الذي يرتجى فما تزال تعلق به - إن صح أن نسميه علماً - كثير من التأملات الذاتية . فالموضوعية لم تكن سمة فيما تراكم حتى الآن من معلومات ومعطيات عن مجالات المستقبل ، ويرجع ذلك لأسباب عديدة منها أن مناهج وطرق وأدوات البحث العلمي في الوقت الحاضر لا تهيء لنا أو ليست لها الكفاية اللازمة لأن ندرس بها إلا أشياء أو موضوعات أو ظواهر واقعية ناجمة عن الواقع فقط أما ما هو غير ذلك فإن مناهج البحث لا تستطيع إخضاعه للدراسة . كل العلوم في الحقيقة من بين وظائفها الثلاث الرئيسية وظيفة التنبؤ، بما في ذلك العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية لذلك لا نستطيع أن نعرف المستقبل ما لم نضع منهجاً متكامللاً يخضع كل التنبؤات لمجمل العلوم بحيث تنتهي إلى نتيجة موحدة نخطط على أساسها المستقبل . بالنسبة للطفل لا يستطيع علم الفلسفة أن يضع خطة لتربية الطفل إطلاقاً لوحدته كذلك علم الاجتماع أو أي علم بذاته لا يمكنه أن يضع لنا

خطة عن التنشئة الاجتماعية للطفل في المستقبل إننا نحتاج إلى منهج متكامل يعمل بموجبه وحتى الآن لم يستطع الإنسان إيجاد مثل هذا المنهج . أنا مسرور حقاً أن أجد مؤسسة عربية تطرح للدرس العلمي قضية الطفولة العربية في القرن الحادي والعشرين فنحن قلما نفكر بالمستقبل بالشكل العلمي ، لذا تفاجئنا المشكلات ونحن لم نحسب لها حسابها ونحن الملمون في ذلك ، لأننا لا نعرف عن دراسة المستقبل شيئاً ونتركه مثلما تركه الأقدمون للتأملات والتخيلات . مشكلة أخرى تواجهنا في التعرف على المستقبل ، وهي أننا نبتلع دون أن نهضم كثيراً من النتائج العلمية . حتى النتائج العلمية التي نكشفها بأنفسنا لا نستطيع - كما أشار الدكتور بدر العمر - تحويلها إلى سلوك ولا تطبيقها بالشكل الصحيح ، وعليه فنحن في حاجة شديدة جداً إلى أن نتعلم فنناً جديداً هو فن تحويل النتيجة العلمية إلى تطبيق ، وإذا كان هذا موجوداً في العلوم الطبيعية أو ما نسميه التكنولوجيا فهو غير موجود في العلوم الإنسانية بشكل صحيح ، لذلك ترانا نجتهد ونتجه صوب اليمين وصوب الشمال إزاء تنفيذ النتيجة العلمية التي نتوصل إليها . كذلك أشار د . طعمة إلى مسألة الأسرة ووسائل التنشئة الاجتماعية الكثيرة التي تفعل فعلها في الطفل وهناك مقولة جميلة لكن لا تخلو من الصحة كمن بدأ عام . إنه إذا أردنا أن ننشئ أطفالاً أسوياء فيجب أن نبدأ بإيمانهم قبل أن يولدوا بخمسة وعشرين عاماً أي نبدأ بالأسرة والمجتمع وهذا ينطبق على المدرسة وعدم كفايتها وهذا الموضوع مشكلة علينا ألا ننساها عندما نتحدث عن المستقبل . إن الطفل ليس عجينة وليس صفحة بيضاء نخط عليها ما نريد .

لقد تحدثنا حتى الآن عن واقع مرير تحدثنا عن عجزنا . . . أرجو أن لا يكون هذا مثبطاً لنا عن إمكانيات البحث عن أساليب وطرائق إيجابية نعد بها أطفالنا لمواجهة المستقبل . من النظريات التربوية ما يؤكد على أن تنشئة الطفل للغد أو تنشئته لواقعه يعني التعامل مع مسألة علمية صرفة ولكن واقع الحال غير هذا فمن الواجب عند التخطيط لأية قضية تتعلق بالطفولة أن نجعل الأطفال يعيشون طفولتهم لأنهم إن لم يعيشوا طفولتهم اليوم فلن يكون بوسعهم أن يعيشوا شبابهم بشكل صحيح ولا أن يعيشوا أية مرحلة من مراحل حياتهم الأخرى

بالشكل الصحيح . مسألة أخرى أحب أن أختتم بها كلمتي وهي الحاجة لأن ننمي قدرة الأطفال على التفكير هذا هو الجانب الجوهرى . ما نفعله الآن هو أننا نضع الأطفال داخل الاصفاذ ونفرض عليهم قيماً معينة وهذه القيم متغيرة والمنطق يقضي أن نعلمهم التفكير العلمي الدقيق والموضوعي ، الذي يمكنهم من مواجهة المستقبل والتكيف له ، ولنتذكر أن التفكير العلمي ليس حكراً للعلماء وحدهم . التفكير العلمي هو سلوك أو نشاط عقلي يمارس عندما يواجه الإنسان مسألة أو مشكلة لكن بطريقة منظمة ، ولذا يجب أن نعترف بحق الأطفال في تنمية قدرتهم على التفكير العلمي لاكتسابهم درجة عالية من المرونة النفسية والعقلية للتكيف مع تحولات المستقبل .

الدكتور عادل عبد الكريم :

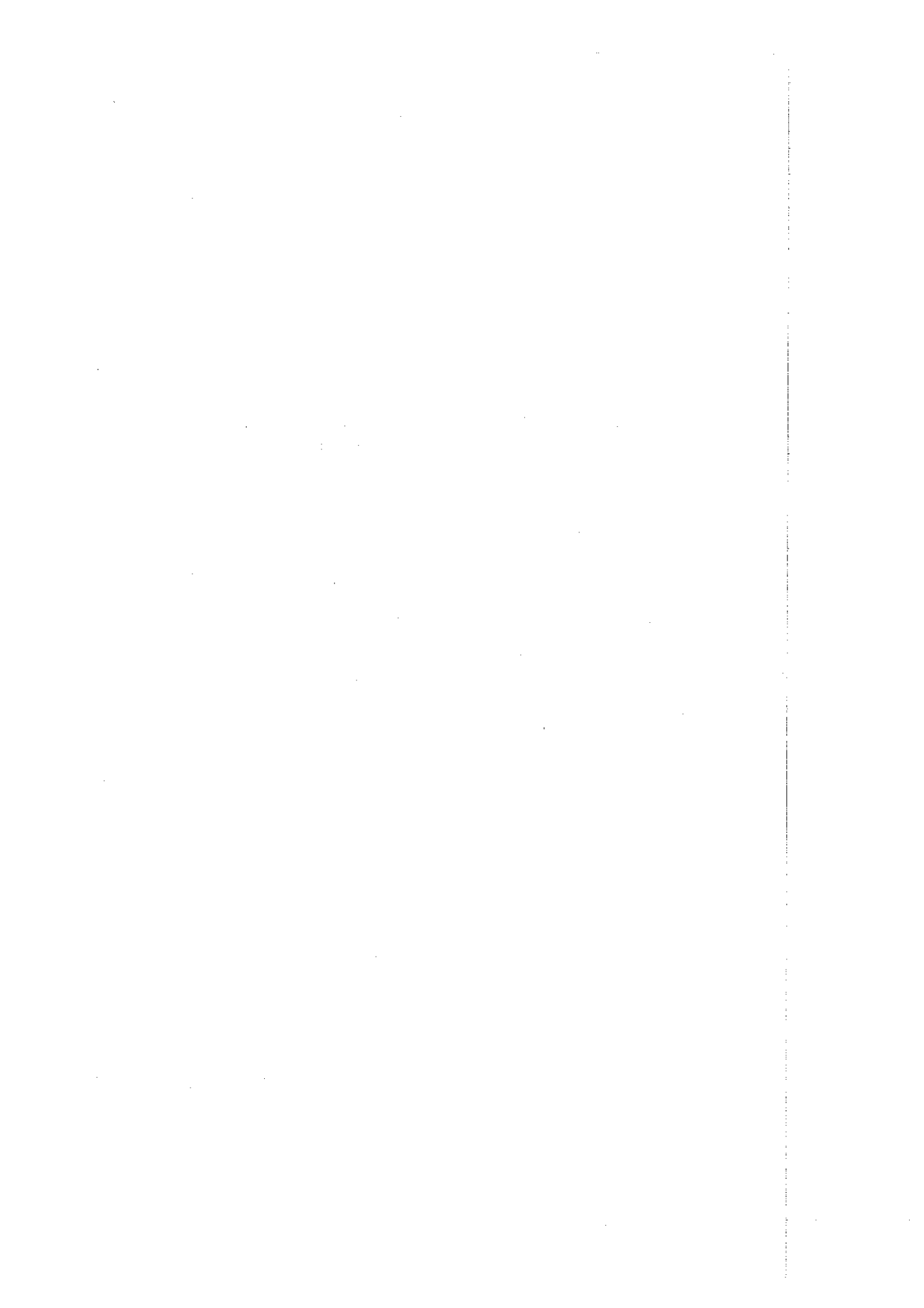
هناك نموذج أخلاقي عام تعارف عليه الفلاسفة ورجال الدين والمصلحون منذ القديم . قالوا افعل الخير وتجنب الشر ولكن ما هو الخير وما هو الشر هل يتفق الجميع على تعريف الخير أو تعريفه الشر؟ المبادئ الأخلاقية لا تكون مطبوعة في عقل الإنسان عند الولادة ولكن البيئة والتربية هما اللتان تطبعان هذه القيم في ذهن الطفل ويبقى السؤال كيف نهيء للطفل بيئة أفضل وتربية أفضل ، أعتقد أن منطلقنا إلى هذه الغاية يجب أن يكون من ترسيخ فكري الحرية والعدل وهما كما قال أرسطو *تتعلمان* «بالممارسة» فليس الإنسان مجرد حيوان ناطق . الإنسان كائن كريم وهو قادر على ممارسة الحرية والمسؤولية وهذه مسألة تربوية بمعنى أن الطفل يجب أن يربي على ممارسة الحرية والمسؤولية فهل نحن فاعلون ذلك في تربيتنا العربية المعاصرة؟ طبعاً لكي يكون الإنسان حراً ومسؤولاً فلا بد أن يكون مفكراً وهذا يضع على التربية العربية المعاصرة واجباً خاصاً هو تربية الأطفال على التفكير . . . جعلهم أفراداً مبدعين وليس مجرد متلقين لتف من المعارف لا رابط بينها . هناك الآن أمم أوضاعها شبيهة بأوضاعنا من حيث الحرية والعدل ومع ذلك فهي تفكر بطريقة جديدة في إعادة بناء نفسها وتطورها وهي لهذا تضع تأكيداً

خاصاً على تنمية الذكاء العام وتضع برامج تربوية لتعليم الذكاء أو زيادة منسوبه عند الأفراد العاديين وهناك تجارب رائدة في هذا المجال يمكننا الاستفادة منها في التخطيط للتربية الأخلاقية لأجيالنا الجديدة .



مخوأسلوب أفضل لتربية الطفل الخليجي

الدكتور قاسم عايي الصراف



الندوة الخامسة

- موضوع الندوة : نحو أسلوب أفضل لتربية الطفل الخليجي .
تاريخ الندوة : ١٩٨٧/٣/٣٠ .
رئيس الندوة : الدكتور حسن الابراهيم .
المتحدث الرئيس : الدكتور قاسم علي الصراف (جامعة الكويت) .
المعقب : الدكتور يعقوب يوسف الحجري (جامعة الكويت) .

المشاركون :

- ١ - الدكتور / محمد جواد رضا - جامعة الكويت .
- ٢ - الدكتور / أحمد عبد الله - جامعة الكويت .
- ٣ - الدكتورة / معصومة المبارك - جامعة الكويت .
- ٤ - الدكتور / عبد الله الدنان - جامعة الكويت .
- ٥ - الدكتور / محمود بستان - جامعة الكويت .
- ٦ - الدكتور / محمد عودة - جامعة الكويت .
- ٧ - الدكتور / عبد الحميد الهلالي - الهيئة العامة للعلوم التطبيقية .
- ٨ - السيدة / صبرية الوكيل - كلية الدراسات الأساسية .
- ٩ - الدكتور / عادل ياسين - وزارة التربية .
- ١٠ - السيد / محمد أبو ناموس - وزارة التربية .



نحو أسلوب أفضل لتربية الطفل الخليجي

الدكتور قاسم الصراف

لا أحاول في هذه الورقة المتواضعة أن أطرح نموذجاً معيناً لتربية الطفل الخليجي، لأننا لسنا في موضع يساعدنا على ذلك، طالما أن هناك قدراً لا بأس به من الأمهات يحاولن إخفاء أطفالهن عن أعين المجتمع لأنهم ولدوا معاقين، أو طالما أن هناك أمهات لا يعبان بأخذ أطفالهن إلى الطبيب إذا مرضوا لأن هذه هي وظيفة الخادمة وحتى إذا كان الوقت ليلاً والأم لا عمل لها سوى أن تقبع أمام شاشة التلفاز، أو طالما أن هناك أمهات لا يرين أن من واجباتهن الأساسية تغذية وتكسية الطفل أو أخذه إلى الروضة لأن الخادمة تستطيع أن تفعل ذلك، أو طالما أن هناك أمهات تصر على الحمل في عمر ما بعد الأربعين بحق أنهن يردن أن يبرهنن للآخرين فقط أنهن لا زلن في عز الشباب وأن بامكانهن الإنجاب حتى ولو أدى ذلك إلى إحضار أطفال متخلفين إلى الحياة. والحال لا تقتصر فقط على ذلك وإنما هناك دول خليجية يمنع فيها الأب ابنته خريجة الجامعة والدراسات العليا في العمل ويضع ذلك شرطاً أساسياً من شروط الزواج مسجلاً في وثيقة الزواج حتى غدا ربح خريجات الجامعة في هذه البلدان قابعات في البيوت لأن سلطة ولي الأمر تمتد حتى ما بعد الزواج.

إذن في ظل هذه المؤشرات يصبح مجرد التفكير في طرح نموذج لتربية الطفل ضرباً من الخيال . . . ومن هذا المنطلق أيضاً فإننا نكتفي بتقديم تصورات نلقى

من خلالها بعض الضوء على القصور في أساليب تربية الطفل الخليجي لعنا نتوصل إلى الخطوة الأولى في رحلة الألف ميل في مجال الطفولة المعاصرة .

لقد شهدت المجتمعات الخليجية في السنوات الأخيرة تغيرات جذرية في ميادين كثيرة فأمكن إحداث كثير من التغيرات في البناء الاجتماعي للأسرة الخليجية ، كما حدث زيادة في الرفاهية والتعليم ، غير أن هذا التغيير لم يصاحبه تخطيط مدروس في أساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال ، فبالرغم من أن كثيراً من التربويين والباحثين الاجتماعيين ساهموا في إلقاء الضوء على كثير من المشكلات التربوية التي تواجه الطفل في منطقة الخليج . إلا أن المنطقة لازالت شحيحة بالبحوث التي تناول تأثير التطبيع الاجتماعي على الطفل مثل تأثير أنماط الثوب والعقاب على السلوك ، أو دراسة جوانب التطبيع الاجتماعي في ضوء نظريات التعلم الحديثة كدراسة ضعف الوازع الخلقي كنتيجة لعدم اتساق أسلوب التطبيع ودراسة بعض الظواهر السلوكية التي يعاني منها أطفال العالم الثالث على وجه العموم مثل : لماذا يتكون الضمير بسبب العقاب النفسي ولا يتكون بسبب العقاب البدني ؟ ولماذا يفتقر أطفالنا إلى الانضباط الداخلي ولا يفتقر إليه أطفال الدول المتقدمة ؟

إذا نظرنا إلى الطابع العام لتربية الطفل الخليجي في الأسرة من وجهة نظر نظرية التعلم الاجتماعي رأيناه يعتمد أساساً على فكرة التوحد أو التقمص ، (Identification) عندما يتخذ الطفل من والديه أو أحد أساتذته قدوة يحتذى بها ويتم ذلك بطريقة لا شعورية حيث يأخذ الطفل عن هذا الشخص صفاته جميعها السيء منها والحسن ، ويصبح هذا التوحد مصدراً رئيسياً في عملية الاستدخال السلوكي (Internationalization of behavior) حيث يكتسب الطفل جميع قيمه ودوافعه واتجاهاته من خصائص هؤلاء الأفراد ، فمثلاً نحن نعرف أن المجتمعات التي تعطي قيمة أكبر للتحصيل لدى الأطفال ، تتجه أيضاً إلى سرعة التطور في جميع المجالات ، وإذا أخذنا الأم اليابانية رأينا أن منزلتها الاجتماعية في المجتمع تتوقف على قدرتها على تقوية مبدأ التحصيل لدى طفلها ويرى (ماكلاند ، ١٩٦١م) ضرورة وضع الخطوات المناسبة لزيادة دافع التحصيل بين أطفال الدول

المتخلفة، وقد تؤدي العادات والتقاليد الاجتماعية أو معايير بعض الجماعات الخاصة في مجتمعاتنا إلى الحد من مبدأ التحصيل لدى الأطفال وبالتالي إلى تأخر الأمة، كما أن التربية التسلطية أو الهيمنة السلطوية على الأسرة والمدرسة طبعت أطفالنا بطابع الخضوع والاستسلام أو باستدخال مبدأ القوة والبطش كوسيلة للسيطرة على الآخرين، وقد ثبت هذا القصور ببحث قام به (ماكلااند حيث وجد أن الدول التي تفرض على صغارها قصصاً مملوءة بأفكار القوة والبطش تحولت حكوماتها الآن إلى حكومات فردية دكتاتورية، كما وجد (وايتنج وتشايلد، ١٩٥٣) أن القلق الذي يستثيره العدوان يزداد في المجتمعات التي تعاقب السلوك العدواني.

إلا أنه هذا لا يعني أننا ننادي بالتخلص تماماً من السلوك العدواني لدى الأفراد لأن في ذلك قضاء على أسلوب المعارضة، ولعل أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل النساء أقل قدرة على الإصلاح الاجتماعي - كما يقول ميشيل آنز - هو أن مستوى العدوان لديهن أقل من الذكور، مما يجعلهن يقنعن بالاستسلام للضغط الاجتماعي دون معارضة.

وتبين الملاحظات الأولية لأساليب تنشئة الأطفال في المجتمعات الخليجية أنها تتبدل بسرعة نظراً لوجود عدة أسباب منها:

أولاً : أصبح الاهتمام ينصب بالدرجة الأولى على علاقة الأم بالطفل لدرجة أنه أهمل الاهتمام بعلاقة الأب بالطفل مما جعل الناس يعتقدون أن الأب ليس له دور في عملية التنشئة الاجتماعية .

ثانياً : أصبحت البيئة التقليدية للأسرة الخليجية في خطر حيث دخل فيها عناصر غريبة من مجتمعات مختلفة على شكل خدم وعمال ومربيات .

ثالثاً : تغيرت البيئة التربوية للطفل في الأسرة الخليجية مما حدا بالمهتمين بتقديم الطفولة في هذه المنطقة بمعالجة الأمر وفتح العيون على ضراوة هذه المشكلة على المدى القريب والبعيد .

وابعاً: بدأ الاهتمام بالوسائل التربوية الحديثة في تنشئة الأبناء على مستوى الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة مما ساعد على عملية نشر الوعي بين أفراد المجتمع الخليجي على نطاق أوسع.

خامساً: ظهرت اتجاهات متعددة في المجتمع تدعو إلى ضرورة تفرغ الأم لتربية الأطفال، وذلك بالرجوع إلى المنزل وتكريس جهودها في تربية الأبناء.

ولو نظرنا إلى أساليب التنشئة الاجتماعية في المجتمع الخليجي لرأيناها تتصف بالإهمال واللامبالاة عند بعض أولياء الأمور، والتزمت والشدة والهيمنة عند البعض الآخر، وبينهما فئة ثالثة تصطبغ أساليب تربيتها بحب النظام والاستقلال في الرأي والتساهل في فرض الرقابة على السلوك. وإذا قارنا هذه الأساليب بأساليب التنشئة الاجتماعية في الدول المتقدمة لرأينا أن اصطلاح الأسرة بالمسئولية التربوية للأبناء في هذه الدول يرتبط إلى حد ما بالطبقة الاجتماعية - الاقتصادية للأسرة (Socio-economic class)، يقول جيكاس (Gecas, 1979)، في هذا المجال أن أساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال تختلف حسب الطبقة الاجتماعية - الاقتصادية للأسرة، وذلك حسب النماذج التالية:

- ١ - أسر الطبقات العليا وما في حكمها تميل إلى استخدام التفكير والاستنتاج والحجج والبراهين كأدوات لضبط السلوك عند الطفل.
- ٢ - أسر الطبقات الدنيا وما في حكمها تميل إلى استخدام العقاب البدني كأداة لضبط السلوك.
- ٣ - أسر الطبقات العليا وما في حكمها تأخذ بعين الاعتبار دوافع وميول واهتمامات الأطفال قبل معاقبتهم.
- ٤ - أسر الطبقات الدنيا وما في حكمها يعاقب الطفل على ما فعله، وليس على لماذا فعل ما فعل.

وعلى هذا فإن أسر الطبقات العليا وما في حكمها تميل إلى استخدام الأساليب النفسية في عملية ضبط السلوك الاجتماعي لدى أطفالها، بينما تميل أسر

الطبقات الدنيا وما في حكمها إلى فرض العقاب البدني والعنف في عملية ضبط السلوك الاجتماعي .

ولا شك أن الأساليب الوالدية في عملية تنشئة الأطفال في المجتمعات الخليجية تتأثر بعدة عوامل بارزة أهمها :

- ١ - شكل الزواج في المجتمع .
- ٢ - دور المرأة في النهوض بمستوى الأسرة .
- ٣ - طبيعة تكوين الأسرة، إذا كانت أسرة كبيرة ممتدة، أم أسرة نووية .
- ٤ - السلوك السلطوي أو القبلي لثقافة الأسرة .
- ٥ - المستوى التعليمي والاقتصادي للأسرة .

هذه العوامل هي عوامل نابعة من ثقافة المجتمع، حيث الاختلافات تظهر ليس في البيئة الاجتماعية للثقافة وإنما في المحتوى الاجتماعي للثقافة فالبيئة الاجتماعية تشير إلى أساليب التنظيم الاجتماعي لدى أفراد المجتمع كما تظهر في طريقة الزواج وطريقة السكن، والأسلوب الاقتصادي والسياسي للمجتمع بينما المحتوى الاجتماعي للمجتمع يشير إلى أساليب التعليم ومستويات الأداء، ومستويات إدراك الأفراد، ومستويات إدراك ما يدور حولنا من تغيرات عالمية وفيما يتعلق بالمحتوى الثقافي للثقافة الاجتماعية الخليجية فإن هناك تبايناً واضحاً بين الثقافة الخاصة للأفراد والثقافة العامة للمجتمع، وهذا التباين هو الذي يظهر في الاختلافات السابقة ذكرها في أساليب تنشئة الأطفال من قبل الوالدين في المجتمعات الخليجية .

ولإيضاح سلوك الوالدين في تربية الأبناء لا بدّ من وقفة قصيرة لتفحص دور كل من الآباء والأمهات في تربية الأبناء .

أولاً: دور الآباء في التربية

التغيرات الاقتصادية التي حدثت في منطقة الخليج في العشرين سنة الماضية جعلت الآباء يشغلون عن تربية أبنائهم في أمور جمع المال والثروة وكثرة الأسفار، والعمل في التجارة الأمر الذي ألقى بمسؤوليات جسيمة على عاتق الأم في تربية الأبناء، ولكون الأم عاجزة عن تحمل كل هذه المسؤوليات الجسام ولكون التغيير الذي حدث في دور المرأة في المجتمع حيث خرجت هي بدورها لتساهم في بناء المجتمع، فقد تنازلت الأم عن جزء من دورها في تربية الأبناء إلى الخادمة، بينما ترك غياب الأب المستمر عن البيت فراغاً بدوره في عملية التنشئة الاجتماعية للأولاد مما جعل الميدان معرضاً للتأثيرات الثقافية الأخرى التي يحملها الخدم من بيئاتهم الأصلية لكي تؤثر في النشء وتطبعهم بطابع غريب ومشوه الهوية.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المجتمعات الخليجية هي مجتمعات بطركية أبوية يلعب فيها الأب دوراً حيوياً في نظام لعب الأدوار في الأسرة، فإن غياب الأب الدائم عن الأسرة يترك الأمر إما بيد أحد الأخوة الكبار الذي بدوره يسيء استخدام السلطة أو يكون الأمر في يد الأم التي لا يعترف بسلطانها الآخرون لكونها موجودة أصلاً ضمن سلطة بطركية، وفي هذه الحالة يختلط الأمر ليخلق لنا نمطاً فوضوياً داخل الأسرة الخليجية، ولما كان الأبوان هما عادة اللذان يخططان للفلسفة التربوية، فإن غياب هذه الفلسفة لعدم وجود اتفاق مسبق بين الأبوين يجعل الأمر في غاية الخطورة في عملية التطبيع الاجتماعي للأطفال.

الحقائق العلمية التي توصل إليها علماء التربية والنفس والاجتماع

والأنثروبولوجيا تشير إلى أن الدور الذي يلعبه كل من الأب والأم في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل لا يجب أن يكون عشوائياً وإذا كانت الطبيعة قد أناطت بالأم المسئولية الأولى في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية ، فإن هذا الاستعداد الطبيعي لدى الأم لا يلغي بالضرورة دور الأب المهم في التربية. إن عملية تحديد أدوار الوالدين في تربية الأبناء هي مسؤولية اجتماعية وسياسية في الدرجة الأولى ، أي أن المجتمع هو الذي يرسم هذه الأدوار وليس التكوين الهرموني - البيولوجي للوالدين . والدراسات النفسية التي عملت عن تبني الأمهات لعملية التربية في غياب الآباء (سواء في الحروب أو في مهمات طويلة خارج الأسرة) كشفت عن ضعف دور الأب في هذه العملية ، ولكن هذا الغياب ولد كثيراً من المشاكل النفسية للأطفال) .

ففي مجال النمو الأخلاقي ، أثبتت الدراسات العديدة على أن كثيراً من الجانحين ينتمون إلى أسر غاب عنها الآباء ، وكذلك أشارت بعض البحوث إلى أن غياب الأب عن المنزل يؤدي إلى ضعف التحصيل الدراسي للأبناء نظراً لغياب عملية التوجيه والإرشاد والمراقبة على تصرفات الأبناء وبخاصة الذكور، كما أشارت بعض الدراسات الأخرى على أن غياب الأب عن الأسرة يؤدي إلى تنمية السلوك العدواني لدى الأبناء ، وإضعاف العلاقات الاجتماعية مع الآخرين .

وغياب الأب عن الأسرة يؤدي إلى تبني الأم لدور الأب أمام الأطفال ، وهذا الدور يفرض عليها أن تكون أكثر شدة وأقل عطفاً وحناناً على الأطفال من السابق الأمر الذي يؤدي إلى تضيق الخناق على الأبناء وبالتالي إمّا الخضوع التام لإرادتها أو الثورة على نظامها السلوكي وخصوصاً بالنسبة للأولاد الذين يقاومون سلطة الإناث عليهم .

وفي الأسرة الخليجية حيث يتواجد الأب خارج البيت معظم الوقت ، يجب أن تتسم علاقة الأب بالطفل بالتفاعل الجيد حتى ولو لبعض الوقت ، لأن جودة هذه العلاقة هي التي ستؤثر في تربية الطفل وليس مجرد وجود الأب في المنزل والسؤال هنا: هل هذه العلاقة يجب أن تكون مباشرة بين الأب والطفل؟ والجواب

على هذا يكون في أن هذه العلاقة تأخذ صورتين: إحداهما مباشرة بين الأب والطفل، والأخرى غير مباشرة وتكون بين الأب وبين الأم وبقية أفراد الأسرة فإذا كانت علاقة الأب بالأم سليمة وكذلك علاقته ببقية أفراد الأسرة انعكست هذه على العلاقة المباشرة بين الطفل والأب، ولذلك تكون العلاقة التفاعلية سليمة وجيدة بين الأب والطفل.

متى تبدأ علاقة الطفل بالأب؟

أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أن التصاق الطفل بالوالدين يتم تقريباً في الوقت نفسه، ففي الشهور التسعة الأولى لا يفضل الطفل أحد والديه على الآخر من حيث الالتصاق، وفي الشهر العاشر يفضل الطفل الالتصاق بأمه ثمّ بأبيه ثمّ بالآخرين في محيطه. وهذا الاختلاف في التفضيل يصل إلى ذروته في الفترة ما بين ١٥ - ١٨ شهراً في حياة الطفل، وبعد ذلك يأخذ في التنازل. وفي نهاية السنة الثانية يبدأ الأولاد بزيادة التصاقهم بالأب بسبب تفضيل الأب للذكور على الإناث، وبالتالي يصرف الأب وقتاً أكثر في تفاعله مع الولد عنه مع البنت وكذلك فإن الأولاد يفضلون اللعب مع آبائهم لكونهم يشاركونهم في الميول والاهتمامات. من الملاحظ كذلك أن الآباء يشتركون بشكل أكبر في تربية الأولاد بينما الأمهات يرجع إليهن النصيب الأكبر في تربية البنات، وهذا جزء من عملية التنشئة الاجتماعية التي تفرضها الثقافة الاجتماعية.

ثانياً: دور الأمهات في التربية

لتوضيح دور الأم الخليجية في تربية الطفل، قمنا بدراسة استطلاعية ضمت ٣٠٠ أماً خليجية تتراوح أعمارهن بين ١٥ - ٤٥ سنة، ومن مراتب مختلفة، وينتمين إلى ثماني دول خليجية بنسب متفاوتة، وهي:

- ١ - دولة الكويت ١٢٨ بنسبة ٤٢٪
- ٢ - المملكة العربية السعودية ٣٥ بنسبة ١٢٪
- ٣ - دولة البحرين ٣٢ بنسبة ١١٪
- ٤ - دولة الإمارات العربية المتحدة ٣٠ بنسبة ١٠٪
- ٥ - دولة قطر ٢٣ بنسبة ٨٪
- ٦ - الجمهورية العراقية ٢٠ بنسبة ٧٪
- ٧ - سلطنة عمان ١٨ بنسبة ٦٪
- ٨ - إيران ١٤ بنسبة ٤٪

وكانت أسئلة الاستبيان تصبّ في أربعة محاور أساسية هي:

- ١ - علاقات الطفل المبكرة بالأم.
- ٢ - تدريب الطفل على الإخراج.
- ٣ - اللعب مع الطفل.
- ٤ - أسلوب معاملة الطفل.

أولاً: علاقات الطفل المبكرة بالأم:

دلّت النتائج الأولية على أن ٥٧٪ من الأمهات يفضلن أن ينام طفلهن

الصغير مع المربية أو الخادمة، وأن ٧١٪ من الأمهات يرين أن الأفضل للرضيع أن ترضعه الخادمة أو المربية وليس الأم، وأن ٥٥٪ من الأمهات يرين أن أطفالهن يقضون معظم وقتهم مع الخادمة أو المربية. هذه بعض الدلائل الأولية التي تشير إلى طبيعة العلاقة النفسية التي تكوّنُها الأم مع الرضيع، وتشير الدراسات النفسية في هذا المجال إلى أن للعلاقات النفسية التي يكوّنُها الرضيع مع الأم في السنتين الأوليين من حياته أثراً واضحاً في تحديد ملامح شخصيته فإذا لم تكن هذه العلاقة حميمة فإنه يصعب تكوينها بعد ذلك، وهذه الفترة يطلق عليها (أريك أريكسون) بـ «مرحلة الإحساس بالثقة والتغلب على الإحساس بعدم الثقة» حيث يستمد الطفل ثقته بنفسه وبالآخرين من خلال علاقته بأمه، فإذا كانت هذه العلاقة طيبة ومرضية تكوّن لدى الطفل الإحساس بالانتماء وتقبل الآخرين، وهناك أدلة على أن زيادة التصاق الطفل بالأم في هذه المرحلة من شأنها زيادة الميل الاجتماعية مستقبلاً، كتب أريكسون (١٩٦٣) في هذا المجال ما يلي:

إن الثقة التي يكتسبها الرضيع في حياته الأولى لا تعتمد أساساً على كمية الغذاء أو الحب التي يتلقاها، ولكن على جودة العلاقة التي تربطه بأمه. فالأم تخلق شعوراً بالثقة في الطفل عن طريق استعراضها لحاجاته، واحترامها لمشاعره، وربطه بمجتمعه الأساسية، هذه العلاقة من شأنها خلق الأساس لإحساس الطفل بهويته الاجتماعية التي سترسم الملامح المستقبلية للشخصية السوية.

وتبعاً لنظرية الالتصاق (Attachment Theory) فإن الفروق الفردية في العلاقات الأمنية بين الصغار والكبار تعتمد في الجوهر على مدى استعداد الكبار في استجاباتهم للصغار في السنوات الأولى للطفولة، فالأطفال الذين يتمتعون بالأمن النفسي في علاقاتهم مع أمهاتهم فإنهم يعممون هذه العلاقة في المستقبل على فئات المجتمع عندما يتعاملون معهم، بينما الأطفال الذين يعانون من سوء هذه العلاقات في طفولتهم الأولى يعكسون ذلك على بقية أفراد المجتمع عندما يكبرون.

وتبيّن الدراسات في مجال الطفولة أيضاً أن الطفل الذي لا يتمتّع في السنة الأولى من عمره بالتفاعل الحار مع الأم وتبادل الابتسامات والاحتضان والتدليل وما إلى ذلك ينشأ بليداً عاطفياً وخاملاً في النشاط والذكاء، كما أن دراسات (هارلو) توضح أهمية الالتصاق الجسماني وما يعقب ذلك ما راحة، لها أثرها في تنمية التفاعل عند الطفل .

ثانياً: التدريب على الإخراج:

دلّت نتائج أسئلة التدريب على الإخراج أن ٤٣٪ من الأمهات في الخليج يستخدمن التوبيخ الجارح إذا تبوّل الطفل الصغير على نفسه، ويستخدمن الضرب مع الطفل إذا وسّخ نفسه أثناء النوم، كما أن نسبة كبيرة من الأمهات (٧٩٪) يرغبن الطفل ويستخدمن الشدة معه للجلوس في الحمام في حالة الإخراج، وتبعاً لنظريات التحليل النفسي في هذا المجال فإن للخبرات المبكرة في عملية الإخراج دوراً في تشكيل ملامح شخصية الطفل مستقبلاً، فإذا كانت الأم قاسية في تدريب طفلها على الإخراج أدى ذلك إلى نشوء النزعة العدوانية والميل إلى المبالغة لدى الطفل . ويرى بعض علماء النفس أن استخدام القسوة في تدريب الأطفال على العمليات الإخراجية من شأنه خلق أفراد مترمتين يعانون من القلق، أو الوسوسة في مجال النظافة الشخصية .

ثالثاً: اللعب مع الطفل:

عندما سُئلت الأمهات عمّا إذا كن يخصصن وقتاً كافياً للعب مع الطفل أجابت ٨٩٪ منهن أنهن يفعلن ذلك إلى حد ما، ولكن عندما سُئلن عمّا إذا كانت المرية تقوم مقام الأم في اللعب مع الطفل أجابت ٥١٪ من أفراد العينة بالإيجاب، ولعل هذا التضارب في الموقفين يدل على أنّ آراء الأمهات في بعض المواقف التي يشعرون من خلالها بالإحراج تؤدي إلى تزييف في الإجابات خشية نظرة الآخرين لهم .

إن دور الأم في مشاركة الطفل وجدانياً له الأثر الكبير في تربية الطفل، فالأم التي تخصص وقتاً أطول في اللعب مع الطفل تكتسب وده وصداقته مما يؤدي إلى علاقة حميمة تتصف بالدفء والتقبل، الأمر الذي يؤدي إلى التوحد الأعمق بها مما يساعد على تكوين عدد من سمات الشخصية الكفوة الضمير والمشاركة، والانتماء، ومن ناحية أخرى فإن الدراسات التي عملت في هذا المجال تشير إلى أن المهم ليس عدد ساعات تواجد الأم مع الطفل وإنما نوعية هذا التواجد، أي مدى تفاعل الأم مع الطفل أثناء وجودها معه، فقد تكون الأم متواجدة مع الطفل في غرفة واحدة إلا أن التفاعل بينها يمكن أن يكون ضعيفاً، فمن الملاحظ أن الأم في مجتمعاتنا تستغرق معظم وقتها في إعداد الطعام للطفل والاعتناء بمظهره وملبسه دون أن يكون هناك تفاعل بين شخصين Interpersonal Interaction بين الأم والطفل، ومن هنا نرى بأن جودة التفاعل أهم بكثير من كمية التفاعل فيما يتعلق بقضاء الوقت مع الطفل. ففي دراسة لـ (برازلتون وآخرين ١٩٧١) حيث درسوا عشرة أطفال أمريكيين حديثي الولادة وقارنوهم بعشرة أطفال من زامبيا حديثي الولادة أيضاً، فالأطفال الأمريكيون كانوا أثناء الولادة أصحاء ناضجين، أكثر وزناً وطولاً من الأطفال الزامبيين، بينما الأطفال الزامبيون كانوا ناقصي الوزن، ضعافاً لسوء تغذية الأم أثناء الحمل، ولكن بعد عشرة أيام فقط من الولادة تحسن حال الأطفال الزامبيين نتيجة للتغذية الجيدة، وسبقوا الأطفال الأمريكيين في نواحٍ أخرى - لماذا؟ السبب يعود كما يعتقد فريق البحث، إلى أن الأم الزامبية تعامل طفلها بطريقة مختلفة عن الأم الأمريكية، فالأم الزامبية تلعب كثيراً مع طفلها في فترات ما بين الرضاعة، وتضم الطفل إلى صدرها كثيراً سواء في نومه أو في صحوته، بينما تقوم الأم الأمريكية التي لا تحبذ إرضاع الطفل من صدرها بتنويم الطفل بعد فترة كل رضاعة في غرفة منعزلة، ولذلك يكون التفاعل ضعيفاً بين الأم الأمريكية والطفل، بينما يكون قوياً بين الأم الزامبية والطفل وهذا من شأنه المساعدة على نمو الطفل في جميع الاتجاهات.

رابعاً: أسلوب معاملة الطفل :

دلت النتائج الأولية أن طابع التربية في منطقة الخليج يميل إلى أسلوب الفرض والتسلط واستخدام العقاب البدني في ترويض الطفل، فقد أجابت ٧٩٪ من الأمهات على انهن يملن إلى فرض الطاعة على الطفل، كما أن ٥١٪ منهن يعتقدن أن التربية التي تنفع هذا الجيل هي التربية التسلطية حيث تتجمع السلطة بيد أحد الوالدين، وقد أشادت ٤١٪ من الأمهات باللجوء إلى استخدام العقاب البدني كوسيلة تربوية حديثة، ولو أن هذه النسبة لا تعبر عن رأي غالبية الأمهات، إلا أنها مؤشر واضح على عبودية العقاب البدني في المجتمع الخليجي .

وإذا كانت التربية تتسم بالترمت والصرامة في فرض الطاعة فإن من شأن ذلك خلق إنسان شديد الطاعة والخوف من السلطة، أو فرد تزداد لديه مشاعر الذنب والقلق وفقدان الثقة بالنفس، ويؤدي هذا الأسلوب في التربية إلى تعلق مصطنع بالوالدين والسلطة وإلى غرس انماط تسلطية في سلوك الأبناء فيما بعد، وتظهر النزعة العدوانية حينها يسمح القائمون على تربية الطفل بالتعبير عن السلوك ثم يقومون بمعاقة الطفل جسدياً أو بكلام جارح بعد قيامه بهذا السلوك، وهذا الأسلوب شائع ومتبع في معظم الأسر الخليجية، بل وفي المؤسسات التربوية الخليجية كذلك، ومن مضار هذا الأسلوب أنه يساعد على تحويل النزعة العدوانية في الطفل نحو العالم الخارجي، أي المجتمع - أفراداً وممتلكات -، حيث يتم العدوان والاعتداء على الآخرين في المدرسة والشارع، والأماكن العامة، أو على ممتلكات المجتمع، ورؤية سريعة لأثار العدوان في الحوادث والمنتزهات، وعلى صناديق الهواتف والسيارات وأعمدة النور وأبنية المدارس، والمنشآت العامة والخاصة، دليل على صحة هذا الاعتقاد، لذلك يقول (كولي Cooley) إن المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه «فالطفل الذي يعامل بالتسلط هو بدوره يتسلط على مقدرات المجتمع .

والترمت الشديد في التنشئة الاجتماعية يؤدي إلى اضطرابات سلوكية متعددة

ولعل القلق، والتطرف الفكري والعقائدي حالات متطرفة من هذه الاضطرابات السلوكية، كما أن حالات الهستيريا ترتبط بنوع من التزمّت الشديد المتعلق بأساليب الأم في عملية التنشئة الاجتماعية.

الخاتمة

إن الأسرة الخليجية بحاجة ماسة إلى التوعية المستمرة في أساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال، وعلى المؤسسات التربوية والجمعيات النسائية وجمعيات الطفولة وأجهزة الإعلام أن تأخذ في سياساتها الحاضرة والمستقبلية أهمية الاهتمام بتوعية الآباء والأمهات بكيفية تربية النشء تربية سليمة، والقضاء الضوء على المشكلات التي تواجه الأسرة الخليجية في مجال تربية الأبناء، وتقع المسؤولية بالدرجة الأولى على الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية - كمؤسسة رائدة في مجال تقدم الطفولة - في تبني فكرة اعداد الأم المثالية، وقد يكون أحد الطرق إلى ذلك تقديم اقتراح إلى جامعة الكويت لطرح مقرر الزامي في أساليب تنشئة الأطفال يكون إطاراً للتصور الذي نريده في عملية إعداد وتربية الطفل الخليجي مستقبلاً.

ولا شك أن زمننا هذا هو زمن العلم والمعرفة، فلنجعل تربية ابنائنا قائمة على أسس علمية مدروسة بدلاً من الطرق العشوائية المتبعة الآن في تربية الأبناء والطرق العلمية تساعدنا على التعرف على ما يسمى بـ «اللحظات الحرجة في مراحل نمو الطفل» فمثلاً تشير الدراسات في مجال الطفولة على أن طول الطفل يصل إلى نصف طول الراشد عند عمر $\frac{1}{4}$ سنة، بمعنى أنه إذا كان طول الطفل ٩٠ سم عند سن $\frac{1}{4}$ سنة فإن طوله سيصل إلى ١٨٠ سم في سن الرشد، ولذلك نستطيع أن نتنبأ عن طول الطفل في هذه السن لأن هناك علاقة ارتباطية بين طول الطفل في سن $\frac{1}{4}$ سنة وبين طول الراشد تصل إلى ٧٥٪ ولذلك إذا أردنا أن نزيد أطوال أطفال الخليج فإن أحسن فترة لذلك هي السنوات

الأربع الأولى من حياة الطفل، حيث يلعب الغذاء والمناخ والحركة دوراً أساسياً في عملية النمو الجسمي للطفل .

والفترة الحرجة لنمو الدماغ هي ثلاثة الشهور الأخيرة قبل ميلاد الطفل وثلاثة الشهور الأولى بعد ميلاده، لأن في هذه الفترة يصل نمو الدماغ إلى ٥٠٪ من نموه الكامل ، إذن هنا يجب العناية بغذاء الأم ثم بغذاء المولود بعد ذلك ، حتى نستطيع الحصول على أدمغة سليمة لأطفالنا في المستقبل .

تعقيب الدكتور يعقوب يوسف الحجبي

أيها الإخوة والأخوات :

لقد أحسن الدكتور قاسم صنعاَ عندما اعتذر عن تقديم أي نموذج لتربية الطفل الخليجي ، ولعل هناك أكثر من سبب لذلك مما لا يخفى على أهل البصر والبصيرة، لكن الدكتور قاسم طرح بعض الأفكار الجديرة بالتحليل والنقاش، وهذا ما أود عمله هنا في حدود الوقت المتاح لي .

لعل أول فكرة استوقفتني في ورقة الدكتور قاسم هي «أن الطابع العام لتربية الطفل الخليجي تقوم أساساً على فكرة التوحيد أو التقمص، أي أن الطفل قد يتخذ من والده أو مدرسه قدوة يحتذى بها ويأخذ عنها جميع صفاتها السيء منها والحسن» ، كما يستمد الطفل جميع قيمه وإتجاهاته من خصائص هؤلاء الأفراد، فإذا كان هذا صحيحاً فالمشكلة إذاً هينة، أصلح الأب يصلح الطفل بالضرورة ويصلح المدرس وسوف يصلح الطفل تبعاً لذلك. ومع أن هناك الكثير من المنطق في مثل هذه الفكرة، إلا أنني أتساءل لماذا يشكوا العديد من الآباء عن طريقة نشوء أطفالهم مع أنهم (أي الآباء) من الأسر ذات الطبقات العليا في المجتمع، والتي تميل إلى استخدام التفكير والاستنتاج والحجج والبراهين لضبط السلوك عند الأطفال لم لا يتقمص أطفالهم شخصيات آبائهم أو مدرسيهم فيرضون بها وينتهي الإشكال؟ في إعتقادي المتواضع أن تربية الطفل الخليجي هذه الأيام أكبر من أن تفسرها نظرية التقمص، فحتى الآباء «الجهلة» غير قادرين على إخراج نسخ طبق الأصل عنهم. لقد خرجت مسألة تربية الطفل الخليجي عن اختصاص الأسرة أو

المدرسة وحدهما، فهناك عوامل أخرى أكثر مدعاة للإغراء والتقمص بالنسبة للطفل مثل «المنشأ الآن» أو التلفاز والمسرح الغنائي وغيرهما. ولعلكم تلاحظون حيرة الأم الخليجية تجاه إعراض أطفالها عن الطعام الجيد والإدمان على الطعام الرديء، فالبطاطا في العلب والشكولاته والكولا وهمبرجر «هارديز» أصبحت أكثر إغراء للطفل ومدعاة للتقمص من آراء وتصرفات الوالدين.

ثم هناك فكرة انشغال الآباء عن تربية أولادهم بجمع المال والعمل في التجارة، ولكن هل هناك من أب يجلس معظم وقته في المنزل ويترك أمر جمع المال والثروة؟ إن من طبيعة الأب أن يبقى خارج المنزل معظم الوقت، ومن هنا يبرز دور الأب في تربية الطفل، وكما ذكر الدكتور قاسم فإن «جودة العلاقة بين الأب والطفل هي المفتاح وليس طول المدة التي يقضيها الأب في المنزل مع الأطفال». غياب الأب عن المنزل إذاً أجدى في نظري من عدم إجادته لدوره في التعامل مع الطفل، كأن يعده بشيء ولا يفي بوعدته، حتى إذا ما ذكره الطفل بما وعد اخترع الأب كذبة وألقى بها على الطفل، ونظراً لأن عقل الطفل يفكر وقلبه يحس، فإنه يعرف أن والده قد كذب عليه، فإذا ما وعده مرة أخرى، شك الطفل في مصداقية والده. كذلك إذا هدد الأب طفله بأنه لن يشتري له دراجة إذا لم يتناول ما يقدم له من طعام بالرغم من إصرار طفله على الرفض والمطالبة بشراء الدراجة. ومع إصرار الطفل على البكاء يستجيب الأب آخر الأمر لرغبته ويشتري الدراجة. فهل يبقى هناك من ثقة عند الطفل فيما يقوله له والده بعد ذلك؟

وأما الأم فهل يختلف اثنان على أهمية دورها في تربية الطفل، إن الأم الخليجية لا تنجب طفلاً نتيجة لقرار اتخذته وعرفت ما يترتب عليه من تبعات ومعاناة ورضيت بدفع كل ما يتطلبه مثل هذا القرار من ضريبة إنها وبكل بساطة، تريد طفلاً لأنها تريد أن تبقى زوجة، فهذا أكبر ضمان لها على العيش بسلام وبعيداً عن كلام الناس، وأكثر مدعاة للاحترام لها من قبل المجتمع، لهذا نجد الأم الخليجية (بصفة عامة) لا يزعجها وجود مربية تقوم بدفع الضريبة بدلاً منها. الأم الخليجية تريد طفلها نظيفاً يضحك فتلعب معه وتقبله بعد دقائق، ولكن إذا

ما بكى أو أتلف ملابسه (وسخها) فالمسؤولية هي من شأن الآخرين . ومما يزيد من الاعتماد على المربية أنها قد تفوق الأم ثقافة ومقدرة على فهم الأطفال ، وهذا ما يجعلها بمثابة الأم الحقيقية للطفل . والأم الخليجية لا ترضع أطفالها ولا تقضي معظم الوقت معهم تغني لهم وتلعب معهم ، كما أنها لا تتابع مراحل نموهم بدقة ، ولا تعرف جيداً لماذا يضحكون أو يبكون ، فكيف يمكن أن تتجمع لديها الخبرة الجيدة واللازمة لتربية أطفال آخرين من بعدهم . وهل أعدت الأم الخليجية من قبل أبويها إعداداً جيداً حتى تتمكن من إعداد أطفالها بصورة فعالة ؟ إن الأم الخليجية ، ذاتها ، نتاج تربية فاسدة ، ولعل للجيل الماضي من الأمهات بعض العذر في ذلك ، فالتعليم لم يتح للكثيرات منهن وقد كن توابع للرجال ، ولكن ما عذر الأم الخليجية اليوم ، وكثير منهن من خريجات الجامعات ؟ أنقول إن جامعاتنا فاشلة ، أم أن فنون تنشئة الطفل أكبر من أن تتعلمها البنات في الجامعات ؟

في اعتقادي أن محنة الطفل الخليجي هي جزء من محنة أمة بكاملها، فحتى مع توافر الأب والأم الصالحين والجديرين بتربية الطفل، فهناك غياب النموذج الواضح والفعال أمامها لإعداد الطفل . هل يا ترى ينشئونه على ما ورثوه من قيم ، أم على أساس النماذج الأخرى التي بدأت تؤثر في مجتمعات الخليج ولا أحد يستطيع عزل أطفاله عن تأثيراتها؟ وهل ما ورثناه من قيم وطريقة في الحياة كفيلة بإعداد أطفالنا لعالم الغد، إلى المستقبل وما به من تغيرات؟ نحن نعلم أطفالنا حب الإيثار والتضحية في سبيل الجماعة، ونؤكد لهم أن منطق القوة لا يليق بالإنسان، وأن الحياة أساسها العدل والقناعة، ولكن هل ستضمن لهم هذه المثل حياة أفضل في عالم الغد ؟

وإذا ما أضفنا إلى ذلك تعويدنا الطفل على الاعتماد علينا في كل شيء، كأن يفقد الطفل كرتة فيذهب إلى أمه باكياً فتقبله وتضمه إلى صدرها وتعدده بأن ترسل والده ليحضر له كرتة ويعاقب من سرقها من الأطفال (وهو المثال الذي سبق أن طرحه الدكتور هشام شرابي عن الطفل العربي).

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن والدي الطفل الخليجي (بصفة عامة)

متعلّمان بمعنى أنّهما قد حصلتا على مؤهل جامعي، لكنهما قد يفتقدان حسن التصرف في المواقف الصعبة، وينقصهما ما يسمّى «بالحس البديهي المشترك» (Common Sense) وأن غاية ما يطمح الأب من ابنه أن يكون من ذوي الصحة الجيدة والحاصل على الدرجات العالية في فصله، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن هناك المصدر السهل للثروة الذي يتيح للمربية أن تحل محل الأم في القيام بالكثير من الواجبات تجاه الطفل، أدركنا محنة الطفل الخليجي على حقيقتها .

ما العمل إذاً، وهل في الإمكان تقديم شيء يخفّف من معاناة الطفل الخليجي هذه الأيام؟

اعتقد أنه في البدء لا بدّ من الاعتراف بأن المجتمع المتخلف لا يمكن أن ينتج طفلاً متقدماً، فالأجدربنا توجيه العناية للمجتمع ككل وليس للطفل وحده، لأنه إذا صلح المجتمع صلح طفله، ومتى صلح الطفل صلح العالم. ولكن هناك في اعتقادي أشياء ملحة لا بدّ من القيام بها للحدّ من معاناة الطفل الخليجي، ولعل أولها البدء في احترام ما للطفل من حقوق واضحة وواجبه. إن مراجعة نظام التعليم عندنا في المدارس يجب أن تتم بسرعة وبجدية. فالساعات التي يُجس فيها الطفل في المدارس ويحرم فيها من اللعب والمرح بحجة مصلحته في المستقبل هي في الواقع هدر كبير لحق شرعي من حقوقه، ومن يظن أن الطفل الخليجي يحتاج إلى كل هذه الساعات من الدراسة كل يوم لكي يخرج بما يخرج به من حصيلة علمية لإنسان سطحي التفكير لا خير فيه للطفل. خففوا عن أطفالكم هذا القيد حتى ولو أثر هذا قليلاً على تحصيلهم، فهو حق، والحق واجب.

وثمة حق آخر للطفل مهذور، وهو منع الطفل من اللعب بسلام، ولعلنا نتساءل، هل من مكان أمين يمكن للطفل الخليجي أن يلعب به بسلام؟ إن منظر سيارة للشرطة تمر بسرعة أمام مدخل مدرسة للأطفال، فتأتي على طفل وتقضي عليه وتقطع قلب والديه، لأكبر إداة لنا، فالأولى بنا توفير الحماية للطفل لكي يلعب بأمان ثم نفكر بعد ذلك في أمر تعليمه.

وثمة حق آخر للطفل علينا وهو أن ندرك أن له عقلاً يستطيع أن يميز به الضار من النافع ، وأن يعرف معنى الحوار بين الإنسان والإنسان ، لا بد من أن نعرف بعقل الطفل وأن باستطاعته أن يكف عن عمل شيء إذا ما عرف السبب المنطقي لذلك ، فلا تظنوا أن المنطق لا ينفع مع الأطفال ، بل العكس هو الصحيح ، فقد يسهل عليكم في معظم الأحيان ترويض طفل عن طريق العقل أكثر من ترويضه عن طريق القوة .

ثم هناك ما لو فعلناه لأعددنا طفلاً أكثر استعداداً للحياة . أذكر على سبيل المثال تقديم الغذاء الصالح له ، ولكن حذار من إجبار الطفل على نوع معين من الطعام لأنه من العبث أن تمنع الطفل من تناول البطاطا في العلب ، والكاكاو والكولا وهو يراها تعرض أمامه كل يوم بكل إغراء وجرأة . امنعوا مقاصف المدارس من بيعها والجمعيات التعاونية ، وحاربوا التلفاز وما يبثه من دعاية ، وعندها يتناول أطفالكم ما تقدّمونه لهم من طعام .

ولنؤمن بأن إنجاب طفل هو عقد بيننا وبين الحياة ، فلا بد من الوفاء بالعقد مع كل ما يتطلبه ذلك من جهد وعناء ، وكلما ازداد عدد الأطفال الذين تأتي بهم لهذه الحياة ، كلما تعددت العقود التي نلتزم بها ، ورحم الله امرأً عرف حدود قدراته وإمكاناته . وأما فيما يختص بالمربية وتأثيرها على الطفل فلا تلوموا المرأة ولكن لوموا من أتاح لها الفرصة لاستخدامهن ، فالإنسان إذا ما أتيحت له الفرصة للكسل فسوف يكسل ، وإذا ما أتيحت له الفرصة للتبذير فسوف يصبح مبدراً ، وهذه طبيعة الإنسان .

أيها الأخوة والأخوات :

من ركن من أركان غرفة امتلأت بالرجال والنساء ، وقفت الطفلة «هايا» ذات الشخصية القوية والبالغه من العمر خمس سنوات ، والتفتت صوب أخيها وأخذت تنشد :

نحن الخطاوى الأكيدة على درب الأمل
مثل الرياح العنيدة ما قط عرفنا الملل

وكانت تهزّ إصبعها بقوة وتنظر لأخيها نظرة ذات معنى وهي تردّد «ما قط عرفنا الملل»، وما إن أتمّت النشيد حتى ذهبت وجلست تلعب مع أخيها غير ملتفتة إلى أحد. لقد أثارت كلمات هذه الطفلة في نفسي الشيء الكثير، فعالمها الذي ستشبه فيه يحتاج إلى أكثر من مجرد الأمل والثقة وفقدان الملل، إنه عالم المفاجآت والخيارات الصعبة، فهل في استطاعتنا أن نخفّف من معاناتها فيه؟

يعقوب يوسف الحجري

الحوار

الدكتور حسن الإبراهيم :

شكراً للدكتور يعقوب فقد عودنا دائماً على معالجة القضايا والمشاكل معالجة تتسم بشفافية الحسن وعمق التحليل والتوجه الإنساني والوجداني، كان هناك عامل مشترك بين الباحث وبين المعقب هو الاعتماد المتزايد في مجتمعات الخليج على المربية الأجنبية في تربية الأطفال وكانت الجمعية مهتمة اهتماماً كبيراً بهذا الموضوع حيث كرّست إحدى ندواتها السابقة لأبناء الأمهات العاملات . لقد قلنا يومئذ . . . كيف نطالب المرأة بالمساهمة في عملية البناء الاجتماعي ونحن نغمرها حقها في رعاية أطفالها خلال عملها . فإذا أردنا المرأة أن تنخرط في تنمية مجتمعاتها فالأولى بنا أن نهيب لها أثناء انشغالها بالعمل تربية لأطفالها لا تعتمد على نوعيات مختلفة من الخدم تأتينا من مجتمعات لا نشك بحضارتها وثقافتها ولكننا نشك بمستوى إعداد هؤلاء الخادمت .

حضرات الإخوة والأخوات

لو نظرنا إلى عملية النضج السياسي لوجدنا أن الديمقراطية لكي تزدهر في مجتمع ما فئمة مستلزمات أساسية لا بد من توفرها لها . فأولاً يجب أن تكون هناك نسبة عالية من التعليم في المجتمع وثانياً ، ينبغي أن يكون هناك تسامح بين أفراد المجتمع وثالثاً ، وهو الأهم في الواقع ، أن تكون هناك طبقة وسطى عريضة فلا تنجح الديمقراطية في طبقة مقتدرة ضيقة صغيرة وطبقة كبيرة مسحوقة فإن الطبقة الوسطى مهمة في تنمية المجتمع نحو الحرية والديمقراطية . مشكلتنا أن طبقتنا

الوسطى الآن هي الطبقة المسورة التي تستطيع أن تعتمد على الخدم في تربية أبنائها فتوقعتي أنه إذا استمر الوضع على ما هو عليه دون وضع الحلول فإن اتكالنا على الخدم سيتعاضم وهذا ما سيؤدي تنشئة الخادمت وهن هنا فأننا أعتقد أن هناك حاجة إلى تشريعات لتنظيم عملية استجلاب الخادمت بحسب فيها لتربية الأطفال بحسب خاص وتتخذ فيها الاحتياطات اللازمة لحماية الأطفال من مساوئ الخدم غير الصالحين .

الدكتور أحمد عبدالله

لديّ ثلاث ملاحظات . أولاً . . . هل كانت العينة عينة عشوائية تمثل هذه المجتمعات أم كانت منتقاة وفق قواعد معينة؟ إننا كثيراً ما نعمم استنتاجاتنا ونفترض أن مجتمعات الخليج متماثلة . ربما كانت هذه المجتمعات متشابهة في بعض النواحي ولكني أشك أنها متماثلة .

ثانياً - كان من الأفضل عمل مقارنة بين استجابات الأمهات في البحرين والكويت ودولة الإمارات أو الدول الأخرى . أنا لا أعتقد أن هناك تشابهاً أو تماثلاً بين هذه المجتمعات، ودليلي على هذا أننا لو أخذنا ظاهرة واحدة أو سلوكاً معيناً مثل ظاهرة قيادة السيارة فسوف نستطيع أن نلاحظ أن قيادة السيارة في البحرين تختلف عن قيادة السيارة في الكويت . لا أريد أن أحكم الآن أي نوع من القيادة أفضل إنما أي إنسان يزور هذه المجتمعات يكتشف أن هناك فرقاً كبيراً جداً . هذا السلوك - وهو سلوك مهم جداً لأنه يرتبط بأمن أطفالنا وأمتنا - لا بدّ أنه يعكس جوانب معينة في هذا المجتمع وبالتالي كيف أستطيع أن أحكم على سلوك الأمهات في البحرين أو أخذ عينة من البحرين وأضمها إلى عينة من المجتمع الكويتي ثم أحاول من هذا الخليط، من هذه العينة الكبيرة، الحكم على المجتمع الخليجي حكماً عاماً . في تقديري هناك اختلافات كثيرة بين هذه المجتمعات وكان من الأفضل عمل مقارنة فيما بينها بحيث نتوصل إلى أحكام أقل عمومية وأقرب إلى الواقع .

ثالثاً - الدكتور المحاضر تفضّل وذكر أن المجتمعات الخليجية تعرّضت

لتغيرات مفاجئة وإحدى نتائج هذه التغيرات خروج الآباء أو عدم تواجدهم بالمنزل، أنا أعتقد أن الآباء لم يكونوا متواجدين في المنزل حتى قبل النفط. بالعكس كان وجودهم خارج المنزل أكثر بسبب مواسم الغوص والسفر وبسبب صعوبة الحياة يومئذ. . . أخيراً. . . أتصور أننا قد وصلنا إلى مرحلة من الترف الفكري جعلتنا نجتزّ مشكلاتنا وحتى الآن نحن ندور داخل هذه الدائرة نجتزّ هذه المشكلات ولا نحاول تقديم حلول لها. قد يقال إن البحث عن المشكلة ودراستها هما الخطوة الأولى لحل هذه المشكلة ولكنني أعتقد بأننا أصبحنا الآن طبقة تحاول أن تجتزّ هذه المشكلات دون أن تقدّم لها حلاً. أنا شخصياً أعاني من هذا الشيء لقد طلبت مني ابنتي البالغة من العمر عشر سنوات أن أقرأ لها قصة قصيرة وقد مضى حتى الآن أسبوعان على طلبها ولم أفِ بوعدني لها بحجة أنني مشغول ومشغول في دراسة الأطفال ومشكلات الأطفال أعتقد لو جلست مع هذه البنت وقرأت لها هذه القصة لكنت ساعدتها في حلّ مشكلة من مشكلات الطفولة .

الدكتور محمد عودة :

سأبدأ كلامي بعيداً عمّا أثاره د. أحمد عبدالله وأعتقد أن د. قاسم وضع مؤشرات على الطريق لا أكثر ولا أقل سائير هنا جملة قضايا . القضية الأولى. . . أتصور أن هناك إشكالية فيما طرح، أنا لا أعتقد أنه حسم الأمر فيها لصالح طرف دون آخر . الإشكالية هذه تتمثل في دور الأم ودور الأب في التربية أيهما أفضل. . . أن يجلس الرجل في المنزل ليؤدي دوراً أكبر ممّا هو عليه أم يبقى يعمل وتبقى الأم في البيت؟ أعتقد أن هذه القضية حتى على الصعيد العلمي لم تحسم بعد. حتى عندما نعمل دراسات مقارنة مع المجتمعات المتقدمة فإن الآراء فيها تأخذنا ذات اليمين وذات اليسار وليس هناك حسم في هذا الموضوع وأنا لا أتصور إطلاقاً أية دعوة تقول إنه إذا أبقينا المرأة في البيت ومنعناها من الخروج فإن ذلك سيحل مشكلات الطفولة أو حتى إجبار الرجل للجلوس فترة أطول في المنزل سيحل هذه المشكلات. القضية الحقيقية مازالت في طور ما أسميه بالإشكالية غير المتفق عليها حتى هذه اللحظة . الإشكالية الثانية طبعاً

ارتباط النمط التربوي بالطبقة الاقتصادية الاجتماعية - لقد عشت في مجتمع الفوارق الطبقيّة فيه غير واضحة وأعني به المجتمع الفلسطيني لم أحسّ فيه بفوارق طبقية واضحة بمعنى طبقة ارسقراطية جداً وطبقة وسطى وطبقة مسحقوة بحيث يلمس الإنسان الفوارق في التربية وبالتالي تكون هذه القضية مجالاً للنقاش إنني أتفق مع د. يعقوب في بعض المرات أن الطبقة الارسقراطية أو الطبقة الغنية لديها مشاكل بالنسبة للأطفال ربما تفوق ما لدى الطبقة المسحقوة من مشاكل القضية مازالت غير محسومة هنا أو هناك فيما يتصل بدور الأب والأم في التربية أو انتقاء النمط التربوي لطبقة اقتصادية اجتماعية معينة والحقيقة أن د. حسن طرح قضيتين أساسيتين أريد التحدّث عنها وهما مشكلة التراث والعصر وغياب المشروع العربي المتعلق بالتنمية . هاتان القضيتان تستحقان وضع بعض المؤشرات . في تصوّري لا بدّ أن نحدد أهدافنا من التنمية بشكل عام بالنسبة للأطفال ، نحن نربي ، نربي من أجل ماذا ؟ كيف نبدأ ؟ في غياب الأهداف لا نستطيع الوصول إلى مشروع تنموي على مستوى الوطن العربي أو حتى على مستوى دولة واحدة من دولنا العربية . ولناخذ مؤشراً واحداً من هذه المؤشرات أنا أربي ابني لكي يكون قادراً على أداء وظيفتين الوظيفة الأولى أن يكون قادراً على الوفاق الأفضل والتوافق بمفهومه الديناميكي الحركي وليس الأستاتيكي أي أنني إذا وجدت ظرفاً سيئاً فسوف أتوافق مع ظرف سيء . هذا توافق أستاتيكي أي تمثل للظروف . ولكن التوافق المطلوب هو التوافق الديناميكي . والوظيفة الثانية أن يصبح هذا الابن قادراً على مواجهة تحديات المستقبل . في تصوّري لو أخذت هذين الهدفين بعين الاعتبار ، لنشأ هذا الابن قادراً على أن يتوافق توافقاً ديناميكياً مع ظروفه المستجدة ثم يكون قادراً على مواجهة تحديات العصر ، لو ركزت على هذين الهدفين فربما أكون قادراً على رسم بعض الخطوط للعملية التربوية الموجهة لهذا الطفل .

من ناحية أخرى، حينما أقترّب من الشخصية محاولاً رسم خطوط لها كما أتمنى أن تكون لا يمكن بأي حال أن أخرج عن نطاق أن هناك ثوابت للشخصية العربية لا نستطيع تجاوزها وليس لنا مصلحة في تجاوزها منها الدين مثلاً وأعني الدين بمفهومه الصحيح السليم . لا يمكن أن أربي ابني في هذا المجتمع

العربي المسلم بعيداً عن هذا الثابت (أعني الدين) وأنا أعتبر الدين واحداً من الثوابت في تنشئة الابن. كما لا يمكن أن أربي ابني بحيث يعيش خارج نطاق أسرة، فأفقدته الانتفاء إليها. هذا ثابت من ثوابت الشخصية العربية أن الولد عندما يكبر لا بد أن يكون أسرة وأن ينتمي إلى هذه الأسرة. ومن الثوابت الأخرى الجانب الوجداني. نحن أناس وجدانيون وهي سمة من سمات شخصيتنا العربية التي أحرص على عدم إماتتها في ابني هذه ثوابت في الشخصية أسلم بها إذا ما أردنا أن نضع مشروعاً عربياً للتنمية بالنسبة للأطفال.

هناك أيضاً بالمقابل المتغيرات. أنا أعتقد أن أول متغير هو التكوين الجسمي، وهل يمكن اعتبار التكوين الجسمي متغيراً؟ نعم ما دمت أو من أن الجسم هو نتاج الوراثة وهي مسلمة في الوقت الحاضر في هندسة الوراثة إذاً لا بد أن أخذ في عين الاعتبار أن أغير في النمط الجسمي - ليس قضية الطول كما أشار د. قاسم إنما هذه قضية معروفة منذ القدم إذا ما باعدنا النسب - إذا ما خرجنا من الزواج القرابي - ابن العم لبنت العم - إلى الزواج الأوسع، من الممكن أن نتج أجساماً أقوى وبالتالي أتوقع - كما قيل قديماً - العقل السليم في الجسم السليم، عند الاهتمام بتنمية العقل في جسم سليم من الممكن أن نصل إلى شيء. إذاً نعتبر هذا متغيراً في الشخصية العربية المفروض أن نفتح عليه ولا نبقي متعلقين بالزواج القرابي المحدود أو القبلي المحدود أو الوطني المحدود - كما نسمع حالياً أن المفروض أن الإنسان لا يتزوج إلا من بلده ومن أقربائه إلى ما شابه ذلك -.

المتغير الآخر - التكوين الأكاديمي - التكوين العلمي بشكل عام هذا متغير وخاضع للعصر وفي كبل عصر سيبقى ولا يمكن أن نصل إلى تثبيته في عصر من العصور - وانفتاحنا على ثقافات العصر اعتبره متغيراً في بناء الشخصية المفروض أن نأخذ به، كذلك القيم السياسية الاقتصادية الاجتماعية هذه أيضاً من العوامل المتغيرة في الشخصية العربية التي من الممكن أن نغير فيها بعيداً عن القيمة الدينية النقية الثابتة التي لا يمكن اعتبارها من المتغيرات. في هذا الإطار من الممكن أن

نضع بعض النقاط المدروسة ، وُصُولاً إلى تصوّر مشروع نحو التنمية .

الدكتور عبد الحميد الهلالي :

أنا أتصوّر مشكلتنا سواء في المغرب العربي أم في المشرق العربي . إننا لم نحدّد مشكلتنا على وجه الدقة وهذا ما يجعلنا نستعير لها الحلول من المدرسة الأنجلوسكونية أو الفرنسية أو الأميركية بعبارة أخرى إن أسلوب تفكيرنا والمنهجية التي نتبناها نذكر بالضبط بما هو موجود في البلدان الغربية التي عاجلت إشكاليات معينة ووضعت حلولاً لإشكالياتها هذه وقدمت استراتيجيات لمواجهةها وكانت لها الشجاعة الأدبية والعلمية أن تفعل ذلك . إننا محتاجون لدرجة عالية من الشجاعة في أخذ المبادرة كما يفعلون في الغرب إننا مطالبون بإثارة المشكلات الجديدة التي تحدّث وجودنا الاجتماعي والأخلاقي والسياسي وتوجيه اهتمام القادة إليها بعد معالجتها معالجة علمية . كيف نستطيع أن ننجز هذا؟ الإجابة عن هذا السؤال ربما تعدّت نطاق هذه الندوة . -نحن المفكرين- في العالم العربي هل لنا من الثقة بالنفس ما يجعلنا نحدّد مشكلتنا ونؤمن أننا نحدّدها بصفة شفافة؟ وهل يتلقفها صاحب القرار ويضع استراتيجية لتنفيذها؟ هذه هي القضية وما مشاكل الطفولة إلّا جزء من هذه المشاكل الكبيرة .

الدكتور حسن الإبراهيم :

شكراً للدكتور عبد الحميد لقد أثرت نقاطاً حساسة ومثيرة للاهتمام ، واتفق معك فيما تفضلت به خصوصاً في موضوع الثقة بالنفس وكيفية احترام آراء الآخرين وكيفية الاعتناء بها ومحاولة دراستها وتبنيّ الجيد منها ، ونرجع مرة أخرى ونتساءل عن سرّ الإشكال . . . هل هو عدم الثقة بالنفس بين الناس؟ حتى أصحاب القرار السياسي تواجههم دائماً مشكلة اختيار القيادات الإدارية والفنية

وأعتقد أن هذه المشكلة تواجه المجتمعات ككل في العالم ولكن حدتها تكون أكثر في المجتمعات البتركية التي أشار لها د. قاسم، المجتمعات التسلطية التي ليس بها حرية ولا ديمقراطية، الحرية والديمقراطية هما اللتان تنتجان القدرات القيادية والثقة بالنفس. اهتمامنا بالطفولة مرتبط بهذه الإشكالية لأن هذه الأمور تبدأ منذ نعومة أظفار الطفل وزرع الثقة تنتج من معاملة الأب والأم له ومن المنزل، أما عندما يوجد صاحب المبادرة المفكر المبتكر ويتقدم بأفكار وخطط فلماذا تبقى في الأدراج وتهمل أليس هذا مرجعه إلى طبيعة العلاقة بين صاحب القرار ورجل الفكر في الوطن العربي؟ والسؤال هو كيف نبدأ في بناء الجسور بينهما؟ ولسوء الحظ أن العلاقة بينهما تتسم بالشك والريبة دائماً وأعتقد أن من مهام المفكرين العرب القضاء على الشك والريبة لدى صاحب القرار وبناء جسور متينة فيما بينهم لأن الواقع يؤكد أن مصير المفكر ومصير صاحب القرار في النهاية مصير واحد ويجب التكامل بين الاثنين في النية والتوجه والعمل.

الدكتورة معصومة المبارك:

أحب أن أشير إشارة بسيطة إلى منهجية البحث فهناك تفاوت واضح في تمثيل دول الخليج في الاستبيان. إن العينة التي اختيرت عينة غير ممثلة لدول الخليج ولا يكفي أن نقول إن الباحث أحب أن يشير فقط ولكن لا بد من الالتزام بأسلوب البحث العلمي واختيار النسب وتبرير الاختلافات بين هذه النسب. أما الأمر الآخر الذي أريد إثارته فهو التركيز على الأمهات وهدهن في البحث لقد أوجد عندي بعض الشعور بالتحامل على الأم. نحن لا نختلف في أهمية وتكامل دوري الأب والأم في عملية تنشئة الطفل ولكن إبراز دور الأم وتكثيفه أعطى انطباعاً بدرجة عالية من التحامل على المرأة. هناك عدة قضايا أدت إلى إقرار هذا الخلل في تربية الطفل العربي بشكل عام والطفل الخليجي على وجه الخصوص. لكن بعض العوامل ربما هي ثمن التمدن السريع الذي نمرّ به والتغيرات التي يمرّ بها المجتمع وكما تفضّل د. حسن لا يمكن أن يطير المجتمع إلا بجناحيه: الرجل

والمرأة. وبالتالي لا يمكن قطع أحد الجناحين بحجة تربية الطفل. طبعاً لا بد أن يكون لخروج المرأة للعمل انعكاسات معينة على تربية الطفل والأسرة. فعلاقة الأم بالمنزل وعلاقتها بالزوج كلها تتأثر بمسؤولياتها في ميادين العمل، وبالتالي فلا بد من وجود درجة من الوعي ومن التفهم في المجتمع لهذا الظرف الذي تجد المجتمعات الخليجية نفسها فيه. فعمل المرأة ليس غرضه الوحيد كسب المال وإنما أصبح العمل بالنسبة إليها حاجة نفسية لإثبات شيء ما تريد إثباته للمجتمع وهو أنها قادرة على أداء وظيفة أخرى غير الوظيفة البيولوجية التي وضعت على كاهلها كدور طبيعي وليس في هذا عيب، لكن العيب والخلل الذي صاحب خروج المرأة للعمل في المجتمعات العربية بشكل عام والمجتمعات الخليجية بشكل خاص هو عدم تهيؤها لهذه النقلة، نقلتها من المنزل إلى خارج المنزل وصار مطلوباً منها أن تقوم بدور الأم وبدور العامل في وقت واحد معاً وهذا أمر جربته كافة المجتمعات الصناعية. إن من أهم ما يعين على مواجهة هذه النقلة دور الحضانة المؤهلة لرعاية الأطفال. إن غياب دور الحضانة النموذجية القائمة على الأسس العلمية دفع إلى الاستعانة بالخدم وهذا أمر سيء. إن توفير دور الحضانة النموذجية يجب أن يصبح أولوية وطنية ويجب أن يكون هناك اهتمام من قبل الدولة ومخططي السياسة السكانية بهذه المؤسسات التربوية الحيوية. ويجب أن يصاحب هذا تعزيز الوعي الاجتماعي حول أهمية دور المرأة في الإنتاج وأن المرأة تعمل ليس فقط لسد حاجة أو ملء وقت فراغ بل لأن عملها أصبح مصدراً من مصادر القوة الاقتصادية والسياسية للمجتمع.

أما ما أشار إليه الدكتور يعقوب من أن وراء الإنجاب الكثير للأطفال دافعاً نفسياً هو شعور المرأة بأن الأطفال هم ضمانة لاستمرار زواجها فهذا حق وصدق، لأن المرأة الخليجية والمرأة العربية بشكل عام يقع عليها ظلم مركب، ظلم الزوج وظلم المجتمع فهي العنصر الأضعف قبلنا هذا أو رفضناه وبالتالي فجميع تبعات عيوب الأسرة تقع على المرأة والرجل نفسه يرى متنفساً لضغوطه الاجتماعية في المرأة وبالتالي تتخذ الأم من الطفل متنفساً لضغوطها هي وهذا شيء طبيعي. إن عملية الكبت المتراكمة لدى المرأة هي مصدر كثير من مشاكلها.

أخيراً أحبّ أن أشير إلى النقطة التي أثارها د . حسن الإبراهيم فيما يتعلق بملاحظة المستشرق جورج فالي، عندنا عملية انقلاب في معاملة الطفل فالطفل قديماً كان يحضر اجتماعات الكبار ويناقش الكبار ولكننا الآن قمنا بوضع حاجز بينه وبين الكبار بحجة التعلّم والثقافة وتركيز وقته على الدراسة وبهذا حرمناه من مشاركة الكبار آراءهم وتجاربهم وأبدلناه من هذا بالتلفزيون والفيديو وهما ليسا بديلين عن تلك العلاقة الإنسانية الحميمة .

الدكتور قاسم الصراف :

تساءل الدكتور أحمد عبدالله عن منهجية البحث وما يثيره من قضايا جوهرية مثل هل تفضّل الأمهات ترك الرضاعة للخادמות ؟ أحبّ أن أوضح أنني عندما وضعت الاستبيان طرحت السؤال بصيغتين :

- ١ - أفضل إرضاع طفلي بنفسي .
- ٢ - أفضل أن تقوم الخادمة بإرضاع الطفل نيابة عني

ونظراً لظروفنا الاجتماعية فقد طلبت من طالبات الدراسات العليا بكلية التربية القيام بجمع الأجوبة داخل الكويت ومعظم الأمهات حتى الأميات منهن أجبن (طبعاً الخادمة تقوم بالرضاعة) دون تحديد كيف يتم ذلك ، ومتى يتم .

النقطة الثانية صغر حجم العيّنة . أنا مدرك أن العيّنة كانت صغيرة لأن العمل تمّ في ثماني دول . في الكويت كان من الممكن أخذ عينات كبيرة ولكننا أردنا المحافظة على التوازن فأبقينا أقلّ من النصف فقط فيها واعتمدنا على سفاراتنا في الخارج في توزيع الاستبيانات . وكان المردود قليلاً لأن بعض الاستبيانات لم تتم الإجابة عن الأسئلة السلبية فيها، وإن شاء الله نراعي ذلك مستقبلاً عند تنظيم دراسات جديدة في هذا المجال . الدكتور محمد عودة تساءل هل ننادي بسان يجلس الأب في البيت أم أن تجلس الأم في البيت؟ نحن ننادي بجودة العلاقة بين الأم وبين الطفل وبين الأم وبين الأب لأن عملية التطوّر مفروضة فنحن لا ننادي بجلوس أي منهما في البيت . إننا نرى في الكثير من

الدول المتقدمة الأم والأب يعملان خارج البيت . ولكن الدولة قامت بإنشاء دور حضانة تحت إشراف مربيين مختصين وبالتالي أبعدت تأثير الخدم عن الأطفال وهو ما نادى به بطريقة غير مباشرة . أما بالنسبة للفارق الطبقي في تنشئة الأطفال فنحن ما زلنا بعيدين عن المجتمعات التي تهيمن فيها الطبقة الوسطى - كما أشار د . حسن - وهذا أمر له آثاره التربوية الواضحة .

بالنسبة للمتغيرات والثواب في تربية الأبناء فنحن لا ننادي بتغيير الثواب وإنما الأمثلة التي ذكرتها هي متغيرات نحس بها والدليل على ذلك في المجتمع الكويتي يتمثل بالزواج من الخارج وقد تحسن النسل بسبب هذه الزيجات وهذا أمر واضح . إن هذا دليل على أن المتغيرات طرأ عليها تعديل .

الدكتور عبد الحميد أشار إلى الأسلوب العلمي في معالجة الأمور واهتمام أصحاب القرار بأصحاب الخبرة في حل المشكلات وهذه فعلاً هي الحلقة المفقودة فأصحاب القرار هم دائماً بعيدين عن أصحاب العلم والخبرة وفي حالات نادرة يستعينون بهم .

الدكتورة معصومة أشارت إلى تفاوت النسب في العينة وهذا حق . لقد قمنا بإجراء البحث في وقت قصير ولا بد من وجود جهاز قوي وفترة أطول ومتابعة أدق وانتقال الباحث من بلد لبلد . والسؤال الآخر الذي أثارته الدكتورة معصومة يتعلق بالتركيز على دور الأم بالدرجة الأولى ، وكما أشار د . حسن ، من الممكن إجراء بحث آخر مستقل عن دور الأب ولا يمكن دمج البحث عن الدورين ، أما الأم فقد تنازلت سواء شعورياً أو لا شعورياً عن هذا الدور الأساسي بحجة أن الخدم يستطيعون القيام بهذا الدور فهي تريد أن ترتاح نفسياً . وبغياب الدور الأساسي للأم غابت تأثيرات إيجابية كثيرة على الأطفال ، مع اعترافنا بكل ما أوردهته الدكتورة معصومة فيما يخص الحيف الواقع على الأم .

التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور

الدكتور علي الطراح

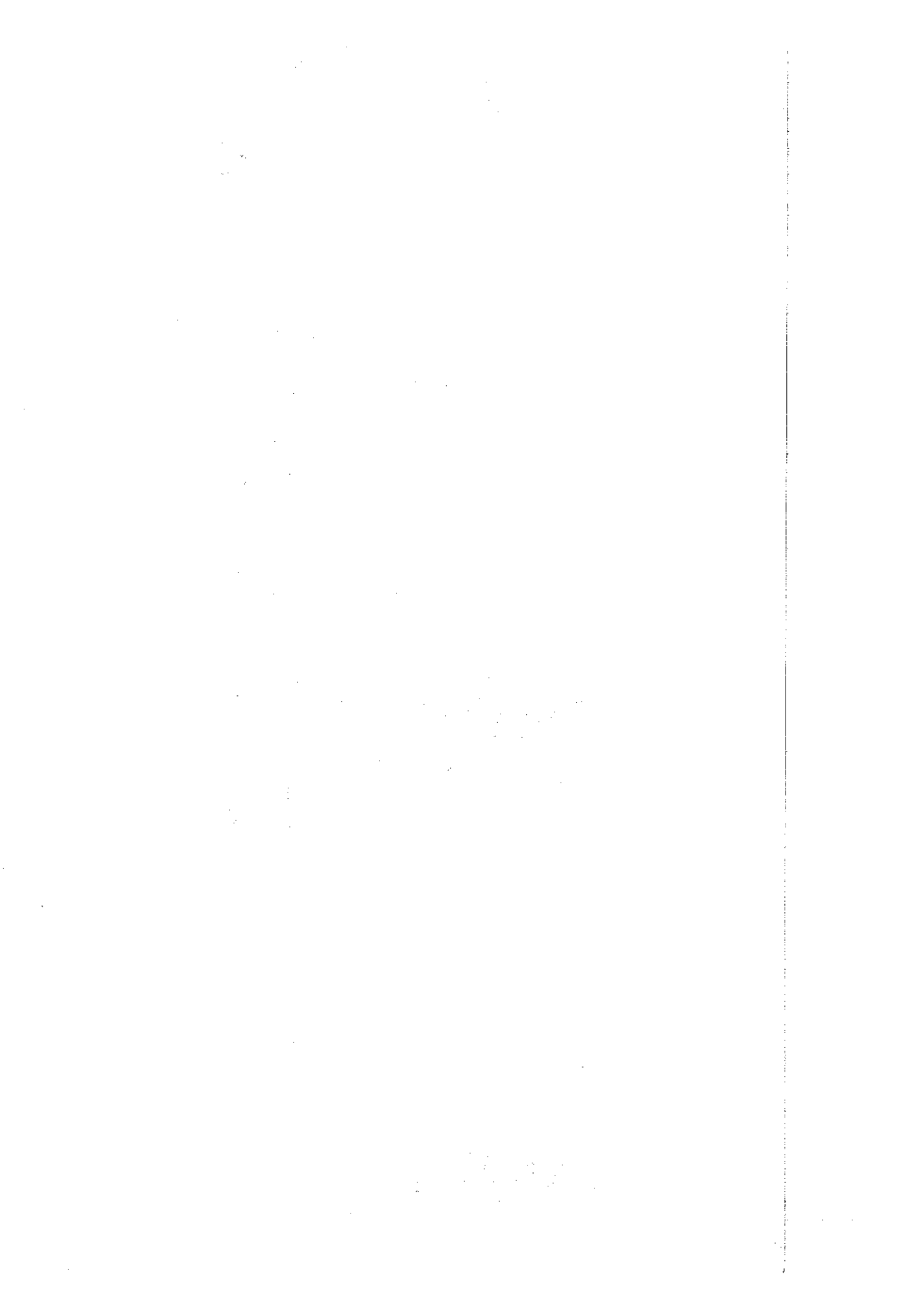


الندوة السادسة

موضوع الندوة - التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور
تاريخ الندوة - ١٩٨٧/٤/٢٧
رئيس الندوة - د. حسن الإبراهيم
المتحدث الرئيسي - د. علي الطراح

المشاركون :

- ١ - د. عبدالله عبد الدايم خبير أول في وزارة التربية الكويتية
- ٢ - د. أسامة الخولي مستشار أول في معهد الكويت للأبحاث العلمية
- ٣ - د. أحمد عبدالله جامعة الكويت
- ٤ - د. محمود بستان جامعة الكويت
- ٥ - د. محمد عودة جامعة الكويت
- ٦ - د. قاسم الصراف جامعة الكويت
- ٧ - د. بدر العمر جامعة الكويت
- ٨ - د. عبدالله الدنان جامعة الكويت
- ٩ - د. كافية رمضان جامعة الكويت
- ١٠ - السيدة منيرة المطوع الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين
- ١١ - السيدة حصة الشاهين معهد التربية للمعلمات
- ١٢ - الدكتور / عادل ياسين - وزارة التربية
- ١٣ - د. حامد الفقي - جامعة الكويت



التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور دراسة أولية

Socialization in Male - oriented Society

الدكتور علي الطراح

تمهيد:

موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع التي تناولها كثير من المختصين في العلم الاجتماعي بأبعاده المتعددة. وربما مازالت هناك بعض الجوانب المهمة في عملية التنشئة الاجتماعية التي تشكل مجالاً للبحث، كموضوع التنشئة الاجتماعية في مجتمع الذكور. فالدراسات التي أوردها لنا الباحثون في العلوم الاجتماعية في هذا الجانب ما زالت دراسات قليلة معظمها تمت في المجتمعات الأوروبية، أو الدراسات التي قام بها علماء الأنثروبولوجيا في المجتمعات الأفريقية.

أما من حيث الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في المجتمع العربي، فهي ضئيلة جداً، بل ربما نستطيع أن نقول إنها دراسات حديثة، بمعنى أن الاهتمام بها بدأ حديثاً، ورغم ضآلتها، فنجد معظمها عالج الأمر بشكل غير مباشر. وربما دراستنا هذه لا تشكل إضافة جديدة على الدراسات الأخرى، بشكلها الحالي، والحقيقة نحن بحاجة إلى إجراء دراسات أوسع كالدراسات الميدانية لكي نحصل على نتائج علمية تدعم كل ما كتب في هذا المجال.

الحديث عن مجتمع الذكور يقصد به هيمنة وسيطرة قيم الذكورة Masculinity في المجتمع الإنساني . فما لا شك فيه أن المجتمع قد وصل إلى درجة وجد نفسه فيها أسير القيم الذكورية التي سيطرت على تكوين علاقاته وبنائه الاجتماعي ، مما يعني أن هناك أساساً وجذوراً أدت للوصول إلى مثل هذه الحالة ، وسيطرة قيم الذكورة تشكّل عاملاً مشتركاً في معظم ، إن لم يكن كل الثقافات الإنسانية ، فتدني قيم الأنوثة Femininity ومن ثمّ احتلال المرأة مكانة اجتماعية متدنية يشكّل اتجاهًا سائدًا في الثقافة الإنسانية . وربما الاختلاف فقط في الدرجة ، فبعض المجتمعات ونتيجة لتغييرات اقتصادية واجتماعية ، استطاعت أن تتخلص من بعض المفاهيم والقيم التي دعمت تفوق الذكورة وتفضيلها .

والحقيقة أنه في مناقشة مثل هذه القضايا نجد أن الجذور مرتبطة بطبيعة النظام الاجتماعي السائد في المجتمع ، فعلى سبيل المثال نرى أن النظام الرأسمالي يشكّل دعامة لمثل هذا التباين بينما نجد النظام الاشتراكي يسعى إلى إزالة مثل هذا التباين من حيث المكانة والدور الاجتماعي بين الجنسين .

أما التساؤل الذي من المفيد أن نثيره هنا فهو: هل استطاعت الإنسانية بتباين نظمها الاجتماعية ، أن تخلق مجتمعاً تسود فيه قيم العدالة بين الرجل والمرأة ، هل من الممكن أن نقيم مجتمعاً يتمّ التمايز بين أفرادهِ على أسس موضوعية بحيث يختفي فيه التمايز على أساس الجنس والعرق والدين ؟ . . . هل ما نصبو إليه يعدّ حلماً يصعب علينا ترجمته إلى واقع ملموس ؟ .

طبعاً لست بصدد الإجابة عن مثل هذه التساؤلات ، بقدر ما أنشد إثارة المستمعين القراء ولفت انتباههم إلى تعقّد الموضوع وتداخل أبعاده . فالموضوع يرتبط بقيم اجتماعية وثقافة المجتمع الذي أنتج لنا ذهنية وسلوكاً إنسانياً قائماً على التمايز اللاموضوعي وبما أننا نتحدث عن إرث ثقافي وذهنية وسلوك ، فإن الأمر لا يبدو سهلاً . فإعادة بناء الإنسان مهمة صعبة تحتاج إلى جهود منظّمة ، جهود توجّه إلى بناء وتصحيح مسار المؤسسات الاجتماعية التي تقوم - وبشكلها الحالي - بدور الداعم والمساند لمثل هذا التمايز اللاموضوعي .

علم الاجتماع والطفولة :

شكّلت مرحلة الطفولة موضوعاً جذاباً لمختلف باحثي العلوم الاجتماعية والنفسية وذلك بغية فهم طبيعة هذه المرحلة والعوامل المختلفة المؤثرة فيها. وعلم الاجتماع يأتي ضمن هذه العلوم التي بدأت تكتف جهودها خصوصاً في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الدراسات المسحية والميدانية التي تناولت دور المؤسسات الاجتماعية المختلفة في تأثيرها على مرحلة الطفولة.

واهتمامات علم الاجتماع ربما نستطيع أن نحصرها في التالي :

- ١- دراسة العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي وأثر ذلك في تكوين شخصية الطفل.
- ٢- دراسة أثر البناء الاجتماعي Social Structure وموقع الأسرة فيه وتأثير ذلك على شخصية وسلوك الطفل.
- ٣- دراسة مفهوم الدور الاجتماعي Social Role وأساليب تعلّمه والعوامل المؤثرة فيه.
- ٤- دراسة الثقافة بمكوّناتها المختلفة وأثرها على عملية التنشئة الاجتماعية.
- ٥- دراسة الآثار الناجمة عن التصدّع الأسري وأثر ذلك على حياة الطفل.

فهذه الاهتمامات التي يدرسها علم الاجتماع حظيت بدراسات عديدة في المجتمعات الأوروبية، إلا أن منطقتنا العربية، ورغم الجهود التي يبذلها بعض من الباحثين العرب المتميزين، ما زالت تحتاج إلى جهود منظّمة ومكثّفة بحيث تتمكننا من فهم طبيعة الطفولة العربية واحتياجاتها، وأثر المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على شخصية الطفل العربي.

وموضوع الشخصية الإنسانية يعدّ مبحثاً أساسياً لعلم الاجتماع وذلك باعتبار هذه الشخصية نتاجاً لظروف اجتماعية معقدة. ودراسة الشخصية الإنسانية يتجسد في محورين أساسيين في علم الاجتماع، الأول يتبلور في تأثير الجماعة على الفرد وعلاقته بها وهذا ما يطلق عليه أو ما يعرف بعملية التفاعل

الاجتماعي Social Interaction والثاني يشتق من الأول حيث أن عملية التفاعل الاجتماعي تتم من خلال استيعاب الفرد لدوره في المجتمع وهذا يتم من خلال ما يعرف بعملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل ضمن إطار ثقافي خاص بالمجتمع أو الجماعة وهذا يعتبر المحور الثاني ويطلق عليه Cultural Heritage .

ونتيجة لعملية التنشئة الاجتماعية التي تتم ضمن إطار ثقافي معين تتحدد لنا معالم شخصية الفرد واتجاهاته واعتقاداته وذهنيته وسلوكه، فالفرد من خلال هذا التشابك والتداخل بين الثقافة وعملية التنشئة الاجتماعية يستوعب دوره ومكانته ويبدأ القيام بوظائف بناء على ما يحدده له المجتمع من خلال مؤسساته المختلفة .

الذكور والأنوثة :

المجتمعات الإنسانية تختلف من حيث درجة التباين فيما بين الجنسين فنجد مجتمعات تبدأ عملية العزل بين الجنسين في سن مبكرة وأخرى لا تفرق بينهما بدرجة كبيرة. فالتباين على أساس الجنس Sex، شكّل عبر العصور أداة من أدوات تقسيم نظام العمل، فهذا التباين حقيقة يعكس حالة من حالات تنظيم المجتمع والتي حظيت بعملية تدعيم من خلال ثقافته .

إن هيمنة قيم الذكورة تعكس حالة المجتمع بقيمه واعتقاداته وثقافته التي تمنح الذكورة قيماً تفضيلية مقارنة بالأنوثة وعندما نقول بأن الذكورة تحتل قيمة أفضل في المجتمع لا نقصد بذلك بالضرورة أن كل رجل وكل امرأة يشعران بذلك ، بل نقصد الحالة العامة للمجتمع التي سيطرت على ذهنية أفرادها بحيث أصبح يمارسها دون وعي منه . فهذه الحالة تتجسد في رموز الثقافة وفي التعابير اللغوية وفي أنماط التفكير والسلوك ، التي تصل إلى درجة تشكل قناعات لدى الفرد وتصبح جزءاً من عالمه الاجتماعي الملموس .

الذكور من حيث المعنى تشير إلى قيم السيطرة والتسلط والعدوانية، والأنوثة تشير إلى الخضوع Submissiveness والحياء Modesty والتربية والرضاعة Nurturance . وعندما تتفحص هذه الصفات ونحاول أن نحدد أصولها، فلا

نجد لها أي ارتباط بيولوجي فيما بين الجنسين. والدراسات الثقافية المقارنة Cross-cultural التي قام بها الانثروبولوجيون تؤكد بأن المجتمع، نتيجة لتطور نظم تقسيم العمل المختلفة، هو الذي ربط الذكور بالعدوانية والقوة والتسلط، فيما ربط الأنوثة بالعاطفية والخضوع والانقياد. فالمجتمع من خلال مؤسساته الاجتماعية المختلفه يقوم بتعليم أفراده الدور المتوقع والسلوك المرتبط به.

وربما من أهم الدراسات الانثروبولوجية، دراسة ميد Margaret Mead حول قبائل غانا الجديد New Guinea فتتائج الدراسة تشير إلى أن كلا من الذكور والإناث في قبيلة الاربيش Arapesh يحملون قيم التعاون والحب والعطف التي من الممكن أن نصفها بأنها قيم الأنوثة، بينما في قبيلة مندمجور Mundugumor وجد أن كلا الجنسين يحملان قيم العدوانية والتسلط التي نصفها بأنها قيم الذكور^(١).

فالحديث عن الذكورة والأنوثة- وإن كان يحمل مضامين بيولوجية- إلا أنه في حقيقة الأمر ذو مفاهيم ثقافية على أساسها يتم تحديد الأدوار لأفراد المجتمع. فنحن من خلال الثقافة السائدة في المجتمع نبدأ بعملية توارث المفاهيم المرتبطة بالذكور والأنوثة ونقوم بتدعيمها من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية. فالأنوثة في أغلب الثقافات الإنسانية تشكل مصدر الشر والمتعة في آن واحد، كما أننا دائماً ننظر لها ونقيمها من خلال اتجاه ونظرة الذكر للأنثى، بمعنى أن القيمة الاجتماعية التي تكتسبها المرأة تأتي من خلال إظهار قيم الذكور التي شكلت عبر العصور نسيج العلاقات الاجتماعية في المجتمع. ولو أخذنا على سبيل المثال اللغة

(١) Lenore J. Weitzman, Sex Role Socialization: A Focus on women 1979

California: Mayfield pub. Company, p.5.

M.Kay Martin and Barbara boorhirs, Female of the Species. 1975 New york:

columbia univ.

Erenestine Fried, Women and Men: An Anthropological view. 1975, New york:

Holt, Rinehart and winston.

التي تعدّ رمزاً من رموز ثقافة المجتمع، فإننا نجد حتى اللغة قد صيغت تعابيرها المختلفة على أساس التمايز وتفوق الذكر على الأنثى. فمثلاً نحن نسمي المرأة غير المتزوجة آنسة والمتزوجة سيدة ولكن ليس هناك رديف للرجل المتزوج أو الأعزب.

وربما التقليل من الأنوثة في ثقافات الشرق أشد من غيرها، فنجد في ثقافة الصين التقليدية ينشأ الأطفال الإناث على طاعة الرجال سواء الأب أو الأخ أو الزوج.

ولو جئنا إلى الثقافة العربية، فإننا نجد أن الأنوثة شكلت مصدر الشر والقلق للمجتمع، وربما كان مصدر ذلك أن المجتمع صورها بالكائن الضعيف، فهي معرضة للسبي في حالة الحرب مما يترتب عليه تحطيم شرف العائلة وهذا يفسر لنا المحاولات العديدة التي يرويها لنا التاريخ العربي حول قضايا وأد البنات. فالأنثى كانت تشكل العار المنتظر الذي يهدد العائلة العربية^(٢).

والأمر يزداد حدة، عندما نجد التراث الثقافي العربي يتسم بحالة من الانقسام والتناقض، فبينما نجد تمجيداً للأنوثة المرتبطة بالأمومة فإننا في الوقت نفسه نجد الأنوثة تصور من حيث ارتباطها بالدونية العقلية ومصدراً من مصادر فساد الأمة.

ويصف لنا أحد الباحثين العرب علاقات الحب بقوله:

«إذن المرأة العربية مسلوبة وسط الجماعة، وحين تدعى إلى سلوك طبيعي كالسلوك الجنسي. نجد نفسها شيئاً موصوفاً داخل البيت، كوعاء ينتظر الامتلاء من الرجل، وتوصف بالضعف القاتل، فمن يقتل الآخر في هذه الدراما التاريخية العظيمة؟ يقول الرجل في ثقافته العربية السلفية: المرأة إذا احبتك آذتك وإذا

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦، مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل سيكولوجية الإنسان المقهور. معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٧٦.

أبغضتك خانتك. إذن ما العمل أمام هذا الطريق المسدود؟^(٣)» .

يصوّر لنا تراثنا العربي وظيفة المرأة بأنها تتجسد بمهمة امتناع الرجل، فالمرأة الصالحة هي التي يرضى عنها الرجل وقد قيل في المرأة الصالحة . «المؤاتية لما تهوى، والمجانبة لما لم لا ترضى» .

وربما لنا أن نتساءل إذا كانت الأنثى تشكل مصدر قلق وخوف للمجتمع، فياترى كيف تصبح علاقتها بنفسها وهي تحمل بين ظهر أنينها كل قيم الدونية. فالأحساس بالدونية عندما يتمكن من الفرد له انعكاسه على شخصيته ويفقده المبادرة والإبداع وتسيطر عليها سمات الخنوع والطاعة كما يقود إلى فقدان الثقة بالذات مما يترتب عليه فقدان فاعلية الدور. وهنا تكمن الأزمة الحقيقية فإذا كانت المرأة ينظر لها وتُنظر إلى ذاتها ضمن هذه الرؤية، فلنا أن نتصور كيف يكون الشيء.

الثقافة والنشئة الاجتماعية :

تشكل الثقافة العامل الأساسي في التمايز بين الشعوب، التمايز في أساليب التفكير، في تكوين الاتجاهات في النظر إلى المحيط الاجتماعي وفي اكساب الأشياء معانيها. فالثقافة هي من صنع الإنسان وهي نتاج لاحتكاكه مع بيئته.

ورغم درجة التمايز في الثقافة بين الشعوب إلا أننا نجد بأن هناك ما هو مشترك بين مختلف الثقافات، فعلى سبيل المثال الإتجاه نحو المرأة، وكذلك وظيفة الأب في الأسرة كثير ما يرمز للسلطة في ثقافات متمايزه.

كما أننا نجد في ثقافة المجتمع الواحد درجة من الاختلاف والتمايز، فهي أما أن تكون قائمة على أسس دينية أو عرقية وهذا ما يطلق عليه بالعمومية والخصوصية في الثقافة.

(٣) خليل أحمد خليل: المرأة العربية وقضايا التغيير: بحث اجتماعي في تاريخ القهر بيروت ١٩٨٢،

الحوار

الدكتور حسن الإبراهيم:

شكراً للدكتور علي الطراح على هذه الملاحظات واعتقد أن هناك كثيراً من التساؤلات التي أثرت في هذه الورقة . وأرى التساؤلات على وجوه الأخوان والرغبة في نقاش هذا الموضوع . إن نظرة المجتمع الدونية للمرأة سوف تفرز في الواقع تنشئة دونية للطفل وإذا نظرنا للمرأة كحاملة ثقافة فقط فإن هذا لا نظيره في المجتمعات المتقدمة على حين أننا في المجتمع العربي في الوقت الحاضر نأمل في تنشئة طفولة تتصدى لتحديات المستقبل واتفق . مع د . علي بأن هذه ملاحظات مبدئية وتحتاج لكثير ولزيد من البحث في هذا الموضوع ولسوء الحظ تظل الدراسات في مجال المرأة في الوطن العربي دراسات محدودة وما هو موجود منها قد يتسم بالحماس لوجهة نظر معينة ويتعد عن الأسلوب العلمي في مناقشة هذه الأمور وبحثها .

الدكتورة كافية رمضان:

إن القضية التي أثارها الدكتور المحاضر هي قضية ملحة ولكنها لا تحظى بالدرس العلمي الكثير من الباحثين على الرغم من أن مثل هذا الموضوع له تأثير بالغ في تكوين شخصية الفرد وخاصة في المجتمع العربي الذي مازال يعاني الكثير من السلبيات نتيجة للتنشئة الاجتماعية الخاطئة التي ما زال يسيطر عليها إلى درجة كبيرة التفكير الذكوري . تفضل الباحث باستعراض كثير من القضايا وربما أفضل

علينا كثيراً من أبواب النقاش بذكره أنها مجرد دراسة أولية ولكن لتتحدث قليلاً عما يتعلق بواقع المجتمع العربي حالياً طالما أن الباحث تطرق لهذا الموضوع وخاصة في المرحلة الأخيرة ، إذ بين أن الفكرة ما زالت سائدة بالنسبة لدونية المرأة بالقياس إلى الرجل وسيادة المفهوم الذكوري على الرغم من التطور الذي حدث بعد الطفرة الاقتصادية وكل تأثيراتها الاجتماعية ولكن لم نر انعكاساً شديداً أو واضحاً لها فيما يتعلق بهذا البعد بالذات في نظمتنا التربوية فمناهجنا التعليمية ما زالت تؤكد على دور المرأة داخل البيت وقيامها بالوظائف الأولية داخل الأسرة وتهمل دورها الفعال في المجتمع الإنساني ككل فلماذا هذه الاستمرارية ومن يملك القدرة على التغيير؟ لوظل مفهوم الذكورية سائداً بهذه الدرجة فستنعكس هذه القضية على بناء شخصية الفرد - كما أشارت إلى ذلك الدراسات الكثيرة - وهذا أمر خطير على مستقبل أجيالنا .

الدكتور أحمد عبدالله :

الدكتور علي الطراح بدأ حديثه بقضية التمييز اللاموضوعي ضد المرأة وهذا يمكن اعتباره إرثاً ثقافياً بمعنى أن المجتمعات البشرية جميعها تكاد تشترك في هذا التمييز كذلك ذكر قضية أثارت اهتمامي عندما تحدث عن الجذور والأسباب لهذا التمييز وذكر بأن المجتمع الرأسمالي يخلق أو يعمق مثل هذا التمييز بعكس المجتمع الاشتراكي فلا بد أن المجتمع الاشتراكي بشكل أو بآخر يحتوي على متغيرات يمكن أن تخفف أو تزيل هذا التمييز اللاموضوعي وكان بودي لو كان الوقت كافياً ليذكر لنا بعض المتغيرات التي يمكن أن توجد في هذا المجتمع رغم أننا لن نستطيع أن نغير بنية المجتمع والبناء الثقافي والاجتماعي في مجتمعا. إنما على الأقل يمكن أن نعرف ما هي المتغيرات وما هي العناصر الموجودة في المجتمع الاشتراكي والتي يمكن أن تخفف من وجود هذا التمييز وتجعل هذا المجتمع متميزاً بالنسبة لمجتمعاتنا هكذا فهتمت إشارة الدكتور الطراح فإذا كنت مصيباً فأرجو من الدكتور أن يتوسع في هذا المجال .

الدكتور حسن الإبراهيم :

أنا أعتقد أيضاً أن موضوع طريقة التنشئة في المجتمع الرأسمالي أو الاشتراكي يحتاج إلى بحث خاص به ولكن تخطر على بالي بعض القضايا التي يمكن التأمل فيها ففي بعض البلدان العربية تقوم المرأة بدور أساسي في الحياة الاقتصادية فهي تفلح الأرض وتحصد وتكسب دخل العائلة ولكن الرجل عندما يتحدث عن المرأة يقول (تكرم). وضعنا نحن لا يدخل في موضوع التقسيم الرأسمالي أو الاشتراكي بل هو ميراث ظروف تاريخية كثيرة واعتقد أن علماء الاجتماع في الوطن العربي مقصرون لأنهم لم يتعرضوا بالدرس العميق لقضايا جوهرية مثل دور المرأة في المجتمع وهيمنة الذكور فيه وأثر ذلك في تنشئة الأطفال وهذه كلها أمور مصرية.

الدكتور عبدالله عبد الدايم :

من الصعب التعليق على هذا البحث الغني الذي عرج بنا على مشكلات كثيرة وعديدة في وقت قصير وتحدث عن أمور وجوانب كل منها يحتاج إلى بعض التريث وبعض الدراسة. ففي حديثه عن الطفولة حدثنا عن الشخصية وتكوينها ثم عن الثقافة ثم عن السلوك وعلم نفس السلوك وسوى ذلك غير أنني أريد أن أدع هذا البحث الغني وما جاء فيه من معلومات ذات شأن وما يثيره من تساؤلات وأفكار كثيرة لأطرح ما بدا لي أنه السؤال الأساسي في هذه الندوة والذي كنت اتوقع أن أجد جوابه عند د. الطراح ولعلني أخطأت القصد. عندما تأملت في العنوان « الطفل العربي في مجتمع الذكور » خطر ببالي أن يدور البحث بالدرجة الأولى حول النتائج التي يخلقها مجتمع الذكور على تنشئة الطفل في البلاد العربية وما هي الآثار الضارة التي تخلفها مثل هذه التنشئة المرتبطة بمجتمع الذكور وما هو بالتالي التوازن الذي ينبغي أن يقوم في تنشئة الطفل بين مسؤولية الأب ومسؤولية الأم خطر ببالي أن الموضوع ينبغي أن يتحلق حول هذا الجانب بالدرجة الأولى ولعلني أخطأت القصد. الموضوع

الأساسي ليس أن نتحدث عن سيطرة مجتمع الذكور، هذا أمر من الأهمية الإشارة إليه وقد قامت حوله دراسات كثيرة ولكن الأهم أن نرى ما هي نتائج مجتمع الذكور بالنسبة للطفل العربي وتكوين شخصيته بجوانبها المختلفة الانفعالية والفكرية والجسدية وإلى غير ذلك من القيم والنظر للأشياء والنظر للكون وكل عوامل التنشئة الاجتماعية وهل المطلوب في النهاية أن يكون لدينا نوع من الوحدة بين الرجل والمرأة فيما يتصل بنمط التنشئة أم على العكس ينبغي أن يكون هناك غطان متكاملان من التنشئة تنشئة الرجل التي لا غنى عنها للطفل وتنشئة المرأة التي لا غنى عنها للطفل والدراسات هنا كثيرة وهي تبين أن للمرأة دوراً لا يستطيع أن يضطلع به الرجل، المرأة في فلسفة وجودها ومعناها تربط الكائن بالحياة وبجذور الحياة وبكل ما هو حي وإبداع وعطاء واغناء واثراء للحياة. المرأة في الأساطير وفي التاريخ وفي الحياة وفي الدراسات التي بحثت في علم نفس المرأة بدءاً من ألن روج وما بعدها، تقوم بدور لا يقوم به الرجل عندما تربط الإنسان بجذور الحياة، بالحياة، بحرارتها، بدفئتها بتغذيتها لذلك فهي أحرص على الحياة من الرجل دوماً. الرجل يخلق في الخيال يخلق بعيداً، لهذا التحليق أيضاً جوانبه وابداعه ولكن لا بد أن يتوازن مع دور المرأة.

المرأة ربما تستطيع أن تخلق طرازاً من الناس مختلفاً لو صحّ أن يسود مجتمع الأنوثة مقابل مجتمع الذكور كذلك من الممكن خلق طراز من الناس لا يتوافر فيه التوازن اللازم رغم أننا نجد شخصاً مثل جارودي الفيلسوف الفرنسي والذي أسلم كما تعلمون في كتابه الشهير (اقبال المرأة) يشير إلى أن الأمل في إصلاح الحضارة الحديثة يكمن في مدى الاعتماد على المرأة. لا أريد أن أخوض في هذا ولكن من الهام جداً التركيز على هذا الجانب، ما هو الدور الذي ينبغي أن تقوم به المرأة وما هو الدور الذي ينبغي أن يقوم به الرجل وكيف يتحقق التوازن في شخصية الطفل وفي تنشئة الطفل النفسية والاجتماعية عن طريق التكامل بين دور كل من المرأة والرجل؟ وليست الغاية في النهاية أن نزيل الفروق بين المرأة والرجل ولن نستطيع إزالتها على كل حال. وهنا اختلف في شكل التعبير الذي قدمه الدكتور الطراح. ليس صحيحاً أن مسألة الفوارق بين المرأة والرجل في كثير من الجوانب هي مسألة

ثقافية محضة . الثقافة تلعب دوراً كبيراً وتعطي الفوارق معنى معيناً وقد تنحرف بها باتجاه معين ولكن هناك بلا شك أصولاً بيولوجية واضحة للفوارق بين المرأة والرجل والأصول البيولوجية تنعكس بعد ذلك في مواقف نفسية واتجاهات نفسية، وليس صحيحاً أن الثقافة وحدها هي التي تخلق الأنوثة أو الذكورة . وليس صحيحاً أننا لا نحتاج إلى الأنوثة حاجتنا إلى الذكورة أو العكس، فالدراسات الثقافية المختلفة- وبصورة خاصة دراسات علماء الانثروبولوجيا مارجريت ميد أو كاردنر أو من جاء بعدهم- درست بعض الشعوب البدائية دراسة بسيطة ولم يكن القصد موضوع المرأة والرجل وإنما كان القصد بيان أثر روح المسالمة أو العدوان لدى بعض الشعوب وأثر الثقافة في تكوين روح المسالمة أو العدوان . هذه بحوث ناقشها وبين حدودها كثير من الباحثين فيما بعد ولم تؤيدها كثير من الدراسات المختلفة . وليس من الصحيح أيضاً أن الثقافة وحدها هي التي تولد كل شيء من أنماط السلوك في المجتمع . الإنسان أخيراً له اتجاهاته المعينة . لقد أردت أن أنبه إلى هذا الجانب الذي بدا لي هاماً وبدا لي أنه صلب الموضوع وحبذا لو أكمل د . الطراح بحثه في المستقبل بحديث عن الصفات التي ينبغي أن تتوافر في التنشئة عن طريق تحقيق توازن بين دور المرأة والرجل فيها وما هو دور المرأة وما هو دور الرجل وبأي معنى يتكامل هذان الدوران .

الدكتور حسن الإبراهيم :

أتفق معك أن تتركز الدراسة على معطيات هذا المجتمع الذي نعيش فيه وليس من المستحسن من علماء الاجتماع في الوطن العربي أن يتقبلوا النظريات السائدة في الغرب على إطلاقها فهناك بعض الدراسات في الولايات المتحدة أثبتت تعاسة المرأة بسبب تغيير دورها التقليدي في الأسرة .

الدكتور عبدالله الدنان :

المحاضرة شيقة بلا شك لكنني اتابع منذ مدة النقاش حول الذكورة والأنوثة

في كثير من التعليقات والمحاضرات التي جرت في الكويت مؤخراً وفي جامعات الكويت بالذات ، لاحظت أن هنالك محاولة من قبل الباحثين لتصوير الموضوع على أنه صراع بين المرأة والرجل . في اعتقادي أن طرح الموضوع بهذا الشكل . . . مجتمع الذكور يسيطر على مجتمع الإناث وأن هناك حلبة صراع بين الفريقين . . . بجانب الغاية من البحث . أما النقطة التي أوردتها . الطراح في البداية وهي تحقيق العدل فأضيف إليها ما قاله د . عبدالله عبدالدايم . . . حول تحقيق التوازن ، أما الدعوة إلى تحقيق التمايز والاختلاف بدعوى أن الذكور مسيطرون والمرأة مظلومة وأنه لا بد من إلغاء الفروق بين الفئتين . . . فهذا ليس بيدنا لأن من طبيعة الخلقة التي خلقنا بها وجود التمايز وهذا التمايز بالضرورة لصالح جهة من الجهات إنما هو تمايز متكامل وإذا حصل وأن أصبح هذا التمايز صراعاً أثنى نعقد الدفة التي تسيّر المجتمع .

الدكتور أسامة الخولي :

أجد نفسي واقفاً بجانب الدكتور الطراح على طول الخط وأعتقد أن كثيراً مما قيل هو أحد أمرين إما فرض أحكام قيمة على موضوع بحث علمي ، أو إثارة تساؤلات الرد عليها يأتي عند استكمال البحث . أحسب أن الدكتور التزم بمنهج علمي دقيق وسليم ولم يحاول أن يفرض أي مفاهيم قيمة أو رغبات ذاتية على البحث فقد ابتدأ بتعريف مفهوم الذكور، قد نختلف أو نتفق معه فيه وربطه هيمنة هذا المفهوم بالنظام الاقتصادي والاجتماعي ومن ثم بتقسيم العمل فإن كان لنا أن نناقش منطلقاً في البحث العلمي المنهجي فقد يكون في هذه القضايا بالذات التي ربما أدى استكمال البحث فيها إلى فهم الظواهر التي نريد بعد ذلك أن نتعاون على تغييرها وهذا لن يكون إلا بفهمها، أما من منطلق استكمال ما سبناه دراسة أولية في إحدى القضايا التي تحتاج إلى المزيد من البحث هي هذه العلاقة الغامضة بين ربط هيمنة الذكور بالنظام الاجتماعي وتقسيم العمل . الملاحظ أنه مع تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي لم يتغير هذا المفهوم كثيراً على الأقل فهذه

القضية تحتاج إلى مزيد من التدقيق والبحث كيف حدث هذا وهل هذا ينعكس على الافتراض الأصلي بأن هذه إحدى أدوات تقسيم العمل أم أن هناك اعتبارات أخرى . . . هذه الأسئلة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث لتوضيح الموقف والأمر الآخر هو ما قاله عن تناقض الموقف من المرأة وأيضاً هذه قضية تحتاج إلى مزيد من البحث كيف ومتى تنشأ التفرقة في المكانة الاجتماعية بين الأم وغيرها من الناس؟ هناك مجموعة من القضايا - كما تفضل الدكتور الطراح تحتاج للمزيد من الدراسة والبحث - في إطار العلوم الاجتماعية بأساليبها وقوانينها وانطباعاتها العلمي وبصرف النظر عن الأحكام القيمية أو الرغبات في تحقيق العدل أو عدم تحقيق العدل - هذه الأشياء تأتي بعد ذلك .

الدكتور حامد الفقي :

فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين هناك دراسات علمية كثيرة حول هذه القضية وتمنيت لو أنه اتسع للباحث الفاضل الوقت لدراسة هذه البحوث . لقد أشار الدكتور الطراح للأمم المتحدة . . . الأمانة البيولوجية والاجتماعية وأثبت أنه توجد فروق بيولوجية ولكن بصفة عامة . . . الفروق البيولوجية الموجودة تؤكد ضرورة هذا التفريق بين الجنسين في معدلات القوى . بعض هذه الدراسات أكدت أن هناك فروقاً في التكوين الانفعالي بين الرجل والمرأة وأن الانفعالية أكثر عند المرأة منها عند الرجل . وهناك دراسات كثيرة حول القيم أكدت أن الإناث أكثر تمسكاً بالقيم الأخلاقية والدينية من الذكور . وهناك دراسات كثيرة قمنا بعرضها عرضاً شاملاً عند ظهور الكلام عن الجنس الثالث في الصحف الكويتية . لقد طلب إلينا المركز العربي للبحوث التربوية دراسة هذه القضية عندما طرح موضوع تأنيث التعليم الابتدائي والآن توجد مدارس في دول الخليج هيئتها التدريسية كلها من الإناث نتيجة لقلّة عدد المدرسين الذكور وتسربهم من المدارس وقد دلت الدراسات التي أجريت على هذه المدارس أنه لا يوجد تأثير سلبي على شخصية الأطفال البنين في المدارس التي تمّ تأنيث هيئة التدريس بها وحتى عند عرض هذه الدراسة اعترضت إحدى دول الخليج على نشرها وظلت فترة طويلة مجمدة وقد

نادينا بأنه لا ضرر من عملية التأنيث ويمكن تعميم التجربة حتى الصف الرابع الابتدائي . فعلاً هنا ارتباط صحيح بين الأنوثة والذكورة والتفريق بينهما اجتماعي ومتأثر بالثقافة الاجتماعية ولكن هناك أيضاً أساساً بيولوجياً يقتضي توزيع الأدوار وإسناد بعض الأعمال التي تناسب الذكور للذكور وبعض الأعمال التي تناسب الأنوثة للإناث ولا شك في هذا بيولوجياً وعلمياً .

الدكتور حسن الإبراهيم :

شكراً للدكتور الفقي على الملاحظة القيمة فيما يتعلق بتأنيث المرحلة الابتدائية . لقد تابعت الدراسة التي تفضلتم بعملها وتابعت النقاش الذي دار حول موضوع التأنيث في المرحلة الابتدائية وفي عدد الطفولة العربية الأخير كان هناك مقال للدكتور أسامة الجمالي حول هذا الموضوع والإنسان يتمنى أن نقلد الغرب في التصدي للمشاكل التي ندرسها . تأنيث المرحلة الابتدائية في الولايات المتحدة بدأ مع مطلع هذا القرن وفي الستينات مولت الحكومة الفيدرالية بحثاً لجامعة هارفارد لمدة ثلاث سنوات حول هذه القضية، ويبدو أن الدكتور أسامة كان أحد الذين ساهموا في هذا البحث - الذي توصل إلى نتائج سلبية نتيجة انفراد جنس بعينه بتعليم الطفل في هذه المرحلة إلا إذا كانت الأسرة تتكون من فرد واحد بسبب الطلاق والأم هي التي تقوم بتربية الطفل أما إذا تواجد الرجل إلى جانب المرأة في التدريس فإن النتائج تكون إيجابية . إنه حقاً لأمر مثير للعجب أن نربط تأنيث التعليم الابتدائي بالجنس الثالث ولا نربطه بوجود المربيات وفي العصر الفكتوري في إنجلترا ربط وجود المربيات بخلق جيل من الشاذين والمنحرفين .

الدكتور علي الطراح :

لديّ ملاحظات بسيطة رغم أن طبيعتها تحتاج لكثير من التوضيح وأنا اعتقد بشكل عام أنه كان هناك نوع من سوء الفهم حول ما أردت أن أقوله أو أهداف إليه . هناك دراسات عديدة تثبت دور الثقافة في عملية تعلم السلوك والتي

تعتبر العامل الحاسم في تعليم السلوك للإنسان الحديث . حول الفروق البيولوجية أنا لم أنكر هذه الفروق ولكني وقفت بها حيث هي فروق بيولوجية وحسب ولا يترتب عليها بالضرورة فروق اجتماعية . وما سمعته حولها يذكرني بالحديث عن الـ IQ قضية قياس الذكاء ، وكيف أن دعاة هذا المبدأ راحوا يروجون أن الذكاء ذو طبيعة بيولوجية وأن هناك جينات تختلف بين الرجل الأبيض والرجل الأسود وبالتالي الأسود إذا كان فقيراً فعليه أن يتحمل نتيجة فقره لأنه غير ذكي . هناك كثير من الدراسات التي تثبت وترفع من شأن العامل الثقافي في عملية تعلم السلوك الاجتماعي وعندما نتحدث حول موضوع المرأة فمخطيء من يعتقد بأن ذلك يمثل قضية صراع بين الرجل والمرأة وأنا لم أتطرق لذلك ولا أعرف كيف فهم بأنه صراع بين الرجل والمرأة . إن الأمر عملية مجتمعية وبالتالي هو صراع يأخذ أبعاداً مختلفة وعديدة وبعيدة ومن هنا يأتي خطره . فهمنا لموضوع المرأة - ربما أغنائي د . أسامة الخولي بالرد على بعض الملاحظات في هذا الصدد - إن فهمنا للمرأة ينبغي أن ينطلق من كوننا نتحدث عن إنسانية الإنسان في المرأة نتحدث عن امرأة من خلال دورها الاجتماعي في المجتمع الذي يجب أن يكمل إنسانيتها . ما هو ممارس الآن يعد جزءاً من هذه الإنسانية والمرأة لا تقوم بدورها الذي يجب أن تقوم به في المجتمع ، والحديث ليس هو المساواة بمعنى جعل المرأة ذكراً أو تحويلها لذكر وتحويل الذكر إلى أنثى إنما الحديث هو عن الدور الاجتماعي الكامل للمرأة - ما دور المرأة الإنسان في عملية البناء الاقتصادي أو الاجتماعي في المجتمع ؟

اختتم ملاحظاتي بالحقيقة التالية . خلال إعدادي للدراسة وجدت في إحدى القبائل الهندية أن المرأة إذا لم تتزوج فهي تحتل مكانة اجتماعية مساوية للرجل وتقوم بدور الرجل وعندما تتزوج تفقد هذه المكانة ويبدأ المجتمع ينظر لها بأنها امرأة تحتل مكانة دونية ، القضية هي تقليد ثقافي اجتماعي يخلد من خلال احتكاك الإنسان بالبيئة وما ينتج عن ذلك يؤدي إلى هذا التكوين أو هذا الفهم . لقد قلت في البداية إن بحثي هو دراسة أولية والملاحظات التي أوردتها د . عبدالله عبد الدايم والزملاء هي ملاحظات قيمة وتساعد على بلورة هذه الأبعاد التي كان بودي تغطيتها .